# الفصل الأربعون

## مملكة الغساسنة

وحكم عرب بلاد الشام في دولة البيزنطيين ، عربٌ عرفوا بـ ( آل غسان )، وبـ ( آل جفنة ) وبـ ( الغساسنة ) . وقد استمر ملكهم الى الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد الشأم،زالت حكومتهم ، وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسوهم في العراق .

وقد نقلت كلمة (غسّان) في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له (غسان)، ببلاد ( عك ) بزبيد وربيع ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده ، فلما أقاموا عليه وشربوا منه،أخذوا اسمهم منه،فسموا ( غسان )[1] ، وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان) .

ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم ، وتهدم السدّ . لذلك لا نستطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساسنة الى بلاد الشأم . وحادث تصدع السدّ لم يكن حادثاً واحداً ، حتى نعتبره مبدأ لتأريخ هجرة الازد وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال . فقد تصدع السدّ مراراً ورمّ

---

١ حمزة ( ص ٧٦ ) ، المروج ( ٢/٣٠ ) ، القاموس ( ٤/٢٥٣ ) ،
أما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان
البرقوقي ( ص ٤١٣ ) ، شرح ديوان كعب بن زهير لابي سعيد السكري ، ( ص ٣٢ وما بعدها ) ، ( طبعة دار الكتب المصرية ) ، الاشتقاق ( ص ٢٥٩ ) ديوان حسان ( ص ) ( هرشفلد ) .

مراراً . والذي يفهم من أقوال الأخباريين أن هـذا التصدع كان قـد وقع قبل الإسلام بزمن ، وقد بقيت ذكراه عالقة في الذاكرة الى أيام الاسلام .

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة ، فلانتسابهم الى جدّ أعلى يدعونه ( جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ) على رأي[1] ، أو الى (جفنة) قبيلة من غسان من اليمن[2] . ويذكر ( ابن دريد ) ان ( جفنة ) إما من ( الجفنة ) المعروفة ، أو من ( الجفن ) ، وهو ( الكرم) ، وجفن السيف وجفن الانسان . ويذكر ان المثل المشهور بين الناس : « وعند جهينة الخبر اليقين » ، هو خطأ تقوله العامة، وان صوابه : « وعند جفينة الخبر اليقين »[3] .

ولم نظفر حتى الآن باسم غسان في نصوص المسند ، كذلك لم نظفر بـه في الأرضين التي عدّها الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة .

ويزعم الأخباريون ان الذي قاد الغساسنة في خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بـ ( مزيقيا ) ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث[4] . ولهم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات[5] .

وروى ( ابن قتيبة الدينوري ) ان ( عمرو بن عامر مزيقياء ) لما خرج من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الأزد ، أتوا بلاد عك ، وملكهم ( سملقة ) ( سلمقة ) ، وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقـام حتى يبعثوا من يرتاد لهم المنازل ويرجعوا اليهم ، فأذنوا لهم . فوجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده : الحارث بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، ووجه غيرهم روّاداً فمات عمرو ابن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه ولده وروّاده ، واستخلف ابنه ثعلبة بن عمرو، وان رجلاً من الأزد يقال له جذع بن سنان احتال في قتل سلمقة (سملقة)،

---

١ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
شرح ديوان حسان بن ثابت ، ( اخراج البرقوقي ) ، ( طبع المطبعة الرحمانية )، القاهرة ١٩٢٩ م ، ( ص ٣٠٩ ) شمس العلوم ( حـ ١ ق ١ ص ٣٤٢ ) ، اللسان ( ٩١/١٣ ) ، ( جفن ) .

٢ شمس العلوم ، ( حـ ١ ق ١ ص ٣٤٢ ) .

٣ الاشتقاق ( ص ٢٥٩ ) ، اللسان ( ٩١/١٣ ) ، ( صادر ) ، ( جفـن ) .

٤ حمزة ( ص ٧٧ ) .

٥ مروج ( ٣٠/٢ ) .

ووقعت الحرب بينهم ، فقتلت عك أبرح قتل وخرجوا هاربين ، فعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، فحلف أن لا يقيم ، فسار ومن اتبعه حتى انتهوا الى مكة وأهلها يومئذ جرهم ، وهم ولاة البيت ، فنزلوا بطن مرّ وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام معهم ، فقاتلتهم جرهم ، فنصرت الأزد عليهم ، فأجلوهم عن مكة ، ووليت خزاعة البيت ، فلم يزالوا ولاته حتى صار ( قصي ) الى مكة ، فحارب خزاعة بمن تبعه ، وأعانه قيصر عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشاً ، وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي مجمعاً ، وأقامت الأزد زماناً[1].

فلما رأوا ضيق العيش شخصوا ، فصار بعضهم الى السواد، فملكوا بها . منهم ( جذيمة بن مالك بن الأبرش ) ومن تبعه. وصار قوم الى عمان، وصار قوم الى الشأم، فهم ( آل جفنة ) ملوك الشأم . وصار جذع بن سنان قاتل سلمقة الى الشأم أيضاً ، وبها سليح ، فكتب ملك سليح الى قيصر يستأذنه في انزالهم ، فأذن له على شروط شرطها لهم ، وأن عامل قيصر قدم عليهم ليجبيهم فطالبهم وفيهم جذع ، فقال له جذع خذ هذا السيف رهناً أن نعطيك . فقال له العامل: اجعله في كذا وكذا من أمك ، فاستل جذع السيف فضرب به عنقه . فقال بعض القوم : خذ من جذعٍ ما أعطاك ، فذهبت مثلاً .

فمضى كاتب العامل الى قيصر فأعلمه ، فوجه اليهم ألف رجل وجمع له جذع من الأزد من أطاعه ، فقاتلوهم فهزموا الروم ، وأخذوا سلاحهم ، وتقووا بذلك ، ثم انتقلوا الى يثرب وأقام بنو جفنة بالشام وتنصروا . ولما صار جذع الى يثرب وبها اليهود ، حالفوهم ، وأقاموا بينهم على شروط فلما نقضت اليهود الشروط ، أتوا تبعاً الآخر ، فشكوا اليه ذلك ، فسار نحو اليهود حتى قتل منهم وأذلهم ، وصار الأمر في يثرب للأزد[2] .

وللأخباريين تفاسير في سبب تلقيب عمرو بن عامر بمزيقياء. وقد ذكر (حمزة) بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وتزعم الأزد أن عمراً انما سمي مزيقياء لأنه كان يمزق كل يوم من سني ملكه حلتين لئلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزيقياء . وسمي ولده المزاقية . فهذا قول وقيل : إنما سمي مزيقيا ، لأن الأزد

---

١ المعارف ( ص ٦٤٠ ) ، ( تحقيق ثروت عكاشة ) .

٢ المعارف ( ص ٢٧٨ وما بعدها ) ، (٦٤٠) ، ( تحقيق ثروت عكاشة ) .

تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم ، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنو فلان أيادي سبأ »[1] . ومال ( نولدكه ) الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية . « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبارٍ شكور »[2].

ويظهر أن الغساسنة اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للإشارة الى غنى جدّهم ( عمرو ) واقتداره[3] . وأما ما ذهب اليه ( نولدكه ) ، فهو في نظري نوع من الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة الخاص بتفرق الأزد عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقد زعم أنه نزح معهم من اليمن قومهم من الأزد ، فنزل المدينة رهط « ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ومنهم الأوس والخزرج،ونزل مكة رهط حارثة ابن عمرو بن عامر،وهم خزاعة،ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام،وهم الغساسنة ونزل لخم في العراق ومنهم المناذرة أو آل نصر »[4] . فوصل أهل الأخبار بذلك تأريخ خزاعة والأوس والخزرج وآل لخم بآل غسان . وجعلوا ابتداء ظهورهم في أماكنهم منذ ذلك العهد ، أي منذ وقوع حادث ( سيل العرم ) .

وقد روى الأخباريون في ذلك شعراً لنفر من الأنصار ، ورد فيه انتساب أهل يثرب الى ( عمرو بن عامر ) ، واتصال نسبهم بنسب غسان . من ذلك شعر للشاعر الأنصاري المعروف ( حسان بن ثابت ) ، يقول فيه :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر  لنا شرف يعلو على كل مرتقى[5]

ومن ذلك شعر زعم ان قائله أحد الأنصار هو :

أنا ابن مُزيقيا عمرو ، وجدي  أبوه عامر ماء السماء[6]

---

١ حمزة ( ص ٧٧ ) ، ( وهو مزيقياء . كان يمزق كل يوم حلة لئلا يلبسها احد بعده ) ، الاشتقاق ( ص ٢٥٨ ) .

٢ سورة سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٨ ، نولدكه : أمراء غسان ، ( ص ٣ ) ، ملحوظة ١ ( الترجمة العربية ) .

٣ أمراء غسان ( ص ٣ وما بعدها ) ، ( ص ٥ ) من النص الالماني .

٤ شرح ديوان حسان ، للبرقوقي ( ص ٢٨٦ ) .

٥ البرقوقي ( ص ٢٨٦ ) .

٦ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، للبرقوقي ( ص ٢٨٦ ) .

فالأنصار ، أي أهل يثرب ، وهم من الأوس والخزرج ، هم من الدوحة التي أخرجت الغساسنة ، وقد ظهر تأريخهم في يثرب بعد حادث سيل العرم على نحو ما رأيت .

وافتخار أهل يثرب بآل جفنة يزيد كثيراً على افتخارهم بآل لخم، مع انهم على حد قولهم من أصل واحد ، وقد افترقوا جميعاً في وقت واحد ، وهم في درجة واحدة من القرابة . ونجد لحسان بن ثابت شعراً في الغساسنة ، هو أضعاف ما قاله في المناذرة . ويظهر ان لقرب الغساسنة من يثرب ، وللمصالح الاقتصادية، وللهبات والعطايا التي كان ينالها حسان وأمثاله من الغساسنة بيسر وسهولة، لقربهم منهم ، أثر كبير في هذا المدح والتعصب لغسان على آل لخم .

وأما عن نعت عامر بماء السماء ، فقال حمزة : « انه انما سمي ماء السماء لأنه أصابت الأزد مخمصة ، فأتاهم حتى مطروا ، فقالوا : عامر لنا بدل ماء السماء »[1]. وقد عرف أشخاص آخرون بـ ( ماء السماء ) من غير غسان ، منهم ( المنذر بن امرىء القيس اللخمي ) و ( ماء السماء بن عروة ) من ملوك (الحيرة) على زعم ( ابن الكلبي )[2] . وقد نعت ( حسان بن ثابت ) الغساسنة الذين جاءوا من بعده بـ ( أولاد مـاء المزن ) . و ( المزن = المطر ) . يريد بذلك ( أولاد ماء السماء ) ، أي : ( بني ماء السماء ) ، وماء السماء هو المطر ، وذلك كناية عن الجود والكرم والإغاثة . والمطر هو غوث للناس ورحمة والجود هو غوث لمن يجاد عليه ، فهو بمنزلة المطر للأرضين . فقصد الشاعر بذلك ان ( آل غسان)، للناس بمنزلة المطر للأرض . وقد يكون جدّ الغساسنة قد عرف بكرمه وسخائه ، فنعت بهذا النعت الـدال على السخاء والجود . ولا أستبعد أن تكون هذه النعوت من النعوت التي أطلقها الشعراء على المذكورين ، فلازمتهم حتى اليوم[3] .

ونسب آل غسان الى جد آخر ، يعرف بـ ( ثعلبة ) . وقد أشير الى (عرب الروم من آل ثعلبة )[4] . وقـد ذكر ( محمد بن حبيب ) ، أن رئيس غسان

---

١ حمزة ( ص ٧٧ ) ( مانهم ـ أي احتمل مؤنتهم ، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب ) البرقوقي ( ص ٢٨٧ ) .

٢ المحبـــر ( ص ٣٦٥ ) .

٣ كحفنة والقمقام عمرو بن عامـر وأولاد ماء المزن وابني محـرق
البرقوقي ( ص ٢٨٧ ) .

٤ غسان ( ص ٤ ) .

الذي قضى على ( الضجاعمة ) ، وانتزع الملك من ( سليح ) ، هـو ( ثعلبة ) ابن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مـازن بن الأزد[1] . ومن نسله كان ملوك غسان ، فهو اذن ( ثعلبة ) المذكور .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ ( الضجاعمة ) ، وهم من (سليح ابن حلوان )[2] .

وبنو سليح ، هم عرب ينسبهم النسابون الى ( سليح بن حلوان بن عمـران ابن الحاف بن قضاعة )[3] . وقد نسبهم ( ابن دريد ) الى ( سليـح بن عمران ابن الحاف ) ، وجعل لـ ( سليح ) شقيقاً هو ( تزيد ) جدّ ( التزيديين )[4] . ونسبهم ( السكري ) الى ( سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعـة )[5] . ولكن اختلاف النسابين هـذا في نسبهم ، يقف عند نهاية سلاسل النسب ، إذ تنتهي هذه النهاية في ( قضاعة ) حيث يتفق الكل أن ( سليحاً ) ، هم من قضاعة . أما صاحب كتاب المعارف ، فقد جعل سليحاً من غسان ، إلا أنه عاد فاستدرك على ذلك بقوله : « ويقال من قضاعة »[6] .

وقد ذكر أهل الأخبار ان ( بني سليح ) بقوا في بلاد الشأم ، اذ ذكروهم في أخبار الفتوح ، وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من عرب الشأم . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في ( قنسرين ) في ايام المهدي[7] .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون زياد بن الهبولة ملك الشأم، جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المرار ، وذكروا انه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم،فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاويـة . فلما سمع

---

١ المحبـر ( ص ٣٧١ ) .
٢ حمزة ( ص ٧٦ وما بعدها ) .
٣ حمزة ( ص ٧٦ وما بعدها ) ، الاكليل ( ١/١٨٢ ) .
٤ الاشتقاق ( ٢/٣١٤ ) .
٥ المحبر ( ص ٣٧٠ ) .
٦ المعارف ( ص ٢٧٨ ) ، ( أول من دخل الشام من العرب : سليح ، وهو مـن غسان ، ويقال من قضاعة ) ، ( ص ٦٤٠ ) ، ( تحقيق ثروت عكاشة ) .
٧ فتوح البلدان ، للبلاذري ( ص ١٥٢ ) ( طبعة القاهرة ( ١٩٠ ) .

حجر وكندة وربيعة بغارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وعمرو بن أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان وغيرهما . فأدركوا قوم زياد بـ ( البردان ) دون عين أباغ ، فحمل أتباع حجر عـلى أتباع ( ابن الهبولة ) ، فانهزموا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل[1] .

وتذكر رواية ان ( حجـراً ) أرسل ( سدوس بن شيبان ) و ( صليع بن عبد غنم ) الى عسكر ( زياد ) يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر، ثم عادا فأخبراه بخبره ، فسار على جيش ابن الهبولة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً، فشد (سدوس) على زياد واعتنقه وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه ( عمرو بن أبي ربيعـة ) حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس لأنه قتل أسيره ، وطالب بديته ، دية الملوك ، فتحاكما الى حجر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله[2] .

ويقتضي على هذه الرواية ان يكون ملك ( زياد بن الهبولة ) في وقت متأخر اذ لا ينسجم هذا القول مع ما يذكره أهل الأخبار من ان ملك (بني سليح) كان قبل الغساسنة[3] . ولو أخذنا بالخبر المتقـدم ، وجب علينا القول بأن زياداً كان يحكم في ايام الغساسنة لا قبل ذلك .

وقد ذكر ( ابن الأثير ) أن ( زياد بن هبولة ) لم يكن ملكاً على الشأم ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشأم مما يلي البرّ من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ، ولم تكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشأم ولا بشبر واحـد ، وزياد ابن هبولة السليحي أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل . ولم يكن زياد آخر ملوك سليح . ثم خلص من قوله برأي توفيقي ، بأن افترض ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم او متغلباً على بعض أطراف الشأم ، فهو غير ذلك الملك المذكور[4] .

---

١ ابن الاثير ( ٢٠٨/١ ) ، حمزة ( ص ٩٢ ) ، الاغاني ( ٨٢/١٥ ) ، أيام العرب (٤٢) .
٢ أيام العرب (٤٥) .
٣ ابن الاثـير ( ٢٠٨/١ ) .
٤ أيام العرب (٤٥) .

وقد تحدث ( أبو عبيدة ) عن ذلك اليوم، ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان[1] .

وقد تحدثت بعض الروايات عن ( زياد بن هبولة ) على هذا النحو : « منهم داوود اللثق بن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً ، ومنهم زياد ابن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً . وهو الذي أغار على حجر آكل المرار . وهو محرق ، وكان أول من حرّق بالنار »[2] . فجعلت والد زياد رجلاً اسمه ( هبالة ) ، وجعلت ( داوود اللثق ) شقيقاً له . أما الروايات الشائعة ، فتجعل ( داوود اللثق ) ابناً لـ ( هبالة ) أي انه أخو (هبولة ابن عمرو بن عوف )، فهبولة على هذا وهبالة أخوان ، وزياد وداوود ابنا عم[3] .

وأما ملوك ( سليح ) على رواية ( ابن قتيبة الدينوري ) ، فهم : ( النعمان ابن عمرو بن مالك ) ، وقد عينه ملك الروم على قومه — على حد قوله — بعد ان دانوا بالنصرانية ، ثم مالك وهو ابنه ، ثم ( عمرو ) ، وهو ابن مالك . قال : ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة . اذ انتقل الملك من بعد ( عمرو ) الى الغساسنة[4] .

ونسب الأخباريون ( الضجاعمة ) الى ( بني ضجعم بن حماطة بن سعد بن سُليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة )[5] . فهم على هذا النسب ، ومن ( بني سليح ) ومن قبايل قضاعة ، وقد حكموا بعد حكم ( بني سليح ) .

ونسب بعض الأخباريين ( ضجعم ) الى ( سعد بن سليح ) ، أي باسقاط اسم ( حماطة ) من النسب ، بأن جعلوا ( سعد بن سليح ) والداً لضجعم . وقد ذكروا ان منهم ( داوود اللثق بن هبولة بن عمرو ) وهو شقيق (زياد بن هبولة) المذكور . وذكر بعض منهم ان ( داوود بن هبولة ) هو شقيق ( هبالة بن عمرو ابن عوف بن ضجعم )[6] .

---

١ أيام العرب (٤٥) .
٢ الاشتقاق ( ٢/٣١٩ ) .
٣ الاشتقاق ( ٢/٣١٩ ) .
٤ المعارف ( ص ٢٧٨ وما بعدها ) ، ( ص ٦٤٠ ) ، ( ثروت عكاشة ) .
٥ المحبر ( ص ٣٧٠ ) ، الاشتقاق ( ٢/٣١٩ ) ، ابن خلدون ( ٢/٢٧٩ ) ، حمزة (٧٦) ، غسان (٦) ، الاكليل ( ١/١٨٢ ) .
٦ الاشتقاق ( ٢/٣١٩ ) .

ويظهر ان ( داوود اللثق ) كان قد اعتنق النصرانية ، وكان قد عمل للروم . واليه ينسب ( دير داوود ) ( دير الداوود )[1] .

ويظهر من بعض الروايات ان ( زياد بن هبولة ) الذي حارب ( حجراً آكل المرار ) ، كان أخاً لـ ( داوود ) . ويظهر من روايات أخرى انه كان ابن عم له[2] . واذا اخذنا برواية من زعم ان ( زياداً ) هذا حارب ( حجراً آكل المرار ) ، فمعنى هذا ان ( جفنة ) ، وهو مؤسس إمارة آل جفنة ، أي الغساسنة ، قد حكم بعد ( زياد ) . وقد زعم ( حمزة ) ان ملكاً من ملوك الروم اسمه ( نسطورس ) هو الذي ملك جفنة على عرب الشام[3] . وذهب بعض أهل الأخبار الى ان القيصر الذي عيّن (جفنة) على عرب بلاد الشام هو (أنسطاسيوس) (Anastasius) الأول ، الذي حكم من سنة (٤٩١) حتى سنة (٥١٨) للميلاد . فتكون نهاية حكم الضجاعمة وبداية حكومة ( آل جفنة ) في هذا العهد[4] .

و ( ضجعم ) هو (Zocomus) أحد ( العمال ) (Phylarch) الذين نصبهم الروم على عرب بلاد الشأم ، حرّف اسمه فصار على الشكل المذكور . وقد حكم في أواخر القرن الرابع للميلاد . وقد ذكره ( ثيوفلكتوس ) (Theophylactus) على هذه الصورة : (Zeokomos) [5] ، وذكر انه هو وقبيلته دخلوا في النصرانية وان الله وهبه ولداً بفضل دعاء النساك النصارى[6] .

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الاسلام . وقد كانوا مثل سائر القبائل المستعربة المستنصرة ضد الاسلام ، وقد وقفوا مع (دومة الجندل) في عنادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد، وكان رئيسهم اذ ذاك هو (ابن الحدرجان)[7].

لقد أشار المؤرخون اليونان والسريان الى ملكة عربية دعوها (ماوية) (Maula) (Mavia) (Mawiya) ، حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشأم، وهاجمت

---

١ Die Araber, II, S. 331.

٢ الاشتقاق ( ٢/٣١٩ ) ، ابن الاثير ( ١/٣٧٢ ) ، ابن خلدون ( ٢/٢٧٨ ) .

٣ حمزة ( ص ٧٧ ) .

٤ Die Araber, II, S. 332.

٥ Sozomenus, VI, 38, Theophylactus, 2, 2, Die Araber, II, S. 330.

٦ غسان ( ص ٦ ) ، ( ص ٨ ) من النص الالماني ،
Zosimus, 6, 38, Socrates, 4, 30, Rufinius, II, 6, Theodoretus, 40, 21.

٧ الطبري ( ٣/٣٧٨ ) ( خبر دومة الجندل ) .

فلسطين و ( فينيقية ) ، ويظهر ان هذا الهجوم كان قد حدث بعد ترك القيصر ( والنس ) (Valens) ( ٣٦٤ – ٣٧٨ م ) انطاكية وذلك سنة ( ٣٧٨ م )[١] . وقد حاربت الروم مراراً ، وانتصرت غير مرة ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يُسقَّف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشأم ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هـذا الراهب كاثوليكياً معارضاً لمذهب أريوس[٢] .

ويذكر المؤرخون أن غارات تلك الملكة على حدود الروم ، كانت عنيفة كاسحة ، أنزلت الدمار والخراب بقرى وبمدن عديدة ، وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمال . وقد شملت تلك الغارات أرض فلسطين و ( الحدود العربية ) (Arabici Limites) . وتذكر أن عربها كانوا من الـ ( سارسين ) ( سرسين ) (Saracene)[٣] .

وقد وليت ( ماوية ) الحكم بعد وفاة زوجها ، ويظهر أن نزاعاً وقع بينها وبين الروم أدى الى توتر العلاقات بينهما ، آل الى هجوم الملكة على حدود الروم. ولما عجز الروم من الانتصار عليها ، استعانوا ببعض سادات القبائل للتغلب عليها ، ولما وجدوا ان القبائل لم تفعل شيئاً ، اضطروا على التفاوض معها ، وعلى ترضيتها على نحو ما ذكرت[٤] .

وقد قام موسى (Moses) بنشاط كبير في نشر النصرانية بين العرب . وقد كان من مصلحة الروم تنصر الأعراب ، لأن في تنصرهم تأييداً لهم ، حتى وان خالف مذهبهم مذهب الروم[٥] .

وقد حكم قبل ( ماوية ) ( عامل ) عربي أشار اليه المؤرخ ( أميانوس ) (Ammianus) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، قال إنه (Assanitarum) وإنه من ( السرسين ) ، (Phylarchus Saracenorum Assanitarum)[٦] ، وقد حكم

---

١ Provincia Arabia, III, S. 286, Theophanes, 64, (Ed. De Boor), Socrates, IV, 36, Sozomenus, VI, 38, Eusebios, 2, 2.

٢ المشرق ، السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، ( ص ٥٢٤ ) ، Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. Eccl., 4, 36.

٣ Die Araber, II, S. 328.

٤ Die Araber, II, S. 328.

٥ Die Araber, II, S. 330.

٦ Ammianus, 24, 4, 2, Provincia Arabia, III, S. 286.

في أيام ( يوليان ) ( جوليان ) (Julian) ( ٣٦١ – ٣٦٣م ) . ويظن البعض أن مراد المؤرخ بـ ( اسانيته ) (Assanitae) الغساسنة ، أي ان الكلمة من أصل ( غسان )[١] .

غير أن هذا الظن معناه أن حكم الملكة ( ماوية ) ، كان في أيام الغساسنة ، وأنها أزعجت الروم في وقت كان فيه ( آل جفنة ) على عرب بلاد الشأم . وهذا ما لا تؤيده الموارد التأريخية المتوفرة لدينا الآن . لذلك أرى ان حكم (ماوية) كان قبل تولي ( الغساسنة ) الحكم رسمياً من الروم ، أو ان الملكة كانت تحكم في الأقسام الجنوبية من بادية الشأم ، ومنها أخذت تهاجم حدود الروم المؤلفة لكورة فلسطين ، وتتوغل بها حتى بلغت ( فينيقية ) و ( مصر ) ، ولم يكن حكم الغساسنة متمكناً إذ ذاك ، فاستغلت هذا الضعف ، وأخذت تهاجم الحدود .

وزعم المسعودي أن ملك العرب بالشأم يعود الى أيام ( فالغ بن هور ) (فالغ ابن يغور ) . وقد صيّره من صميم أهل اليمن ، ملك ثم ترك الحكم الى (يوتاب) ( سومات ) ، وهو ( أيوب بن رزاح ) . ثم انتقل ملك الشأم على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشأم ، وانضافوا الى ملوك الروم،فملّكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشأم من العرب. وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تنوخ بالشأم . ثم ملك بعده عمرو ، ثم ( الحواري بن النعمان ) . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان[٢] .

وقد كانت سليح – كما يذكر الأخباريون – يجبون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم. فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشأم حتى نزلوا بهم ، فقالت سليح لهم:إن أقررتم بالخرج،وإلاّ قاتلناكم . فأبوا عليهم ، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان . ورئيس غسان يومئذ ( ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد ) . فرضيت غسان بأداء الخرج اليهم . فكانوا يجبونهم لكل رأس ديناراً،ودينارا ونصفاً،ودينارين في كل سنة على أقدارهم فلبثوا يجبونهم حتى قتل ( جذع بن عمرو الغساني ) جابي سليح،وهو سبيط بن المنذر بن عمرو

---

١ Musil, Kusejr 'Amra, Wien, 1907, P. 130.

٢ مروج ( ٢/٢٩ وما بعدها ) ، ( ٢/٨٢ وما بعدها ) ، ( طبعة دار الاندلس ) .

ابن عوف بن ضجعم بن حماطة . فتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها . فالتقوا بموضع يقال له ( المحفئ ) ، فأبارتهم غسان . وخاف ملك الروم أن يميلوا مع فارس عليه ، فأرسل الى ثعلبة ، فقال: أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير . وقد قتلتم هذا الحي ، وكانوا أشد حي في العرب وأكثرهم عدة وإني جاعلكم مكانهم ، وكاتب بيني وبينكم كتاباً : إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين الف مقاتل من الروم بأداتهم ، وان دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون الف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس . فقبل ذلك ثعلبة،وكتب الكتاب بينهم . فملّك ثعلبة وتوّجهُ . وكان ملك الروم يقال له ( ديقيوس )[1] .

وقد تحدث الأخباريون وأصحاب كتب الأمثال عن هذا الحادث في معرض كلامهم عن المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وقد اتفقوا كلهم في اسم القائل ، وهو منصوص عليه في المثل ، ولكنهم اختلفوا في اسم المقتول ، فقال بعضهم انه سبيط ، وقال آخرون : انه سبطة[2] ، ويقول بعض آخر : انه كان رجلاً من الروم[3] .

وقد زعم بعض أهل الأخبار،ان اليوم الذي انتصر فيه الغساسنة على الضجاعمة هو ( يوم حليمة ) . وذلك أن الحرب لما ثارت بين الضجاعمة والغساسنة للسبب الذي ذكرته ، وقالوا « خذ من جذع ما أعطاك » ، كان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها ( حليمة ) ، فأعطاها خلوقاً لتخلق به قومها ، وانتصر الغساسنة بذلك اليوم على الغساسنة . فقالوا : « ما يوم حليمة بسر »[4] .

ونسب ابن خلدون ( سبطة ) القتيل الى المنذر بن داوود[5] ، ويظهر انه قصد ( داوود اللثق ) . والى داوود ينسب دير داوود ، وذلك يدل على انه كان نصرانياً[6] ، كما أشرت الى ذلك قبل قليل .

وعندي أن ( سبطة ) هو (Aspehetos) (Aspehbet) (Aspatylatos) ،

---

١ المحبر ( ص ٣٧٠ وما بعدها ) ، حمزة ( ص ٧٦ ) .
٢ ابن خلدون ( ٢/٢٧٩ ) .
٣ اليعقوبي ( ١/١٦٧ ) ( طبعة النجف ) .
٤ البلدان ( ٢/٣٢٥ وما بعدها ) ( طهران ١٩٦٥ م ) .
٥ ابن خلدون ( ٢/٢٧٩ ) .
٦ غسان ( ص ٧ ) ، الاصل الالماني ( ص ٨ ) .

الذي قيل إنه كان عاملاً ( فيلارك ) (Phylarch) عربياً من عمال الفرس ، فأغار على ( الكورة العربية ) (Arabia Provincia) ، وذلك في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأعلن نفسه عاملاً على الأرضين التي استولى عليها ، واعترف به وبأبنائه عمالاً عليها [1] .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث . وقد زعم انه ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملكه على عرب الشأم . فلما ملك ، قتل قضاعة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ، ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم ، وبني جلق والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر [2] .

وقد ابتدأ ( حسان بن ثابت ) بجفنة هذا في قصيدته التي افتخر فيها بنسبه [3]. وبجفنة هذا سمي ملوك الغساسنة ( آل جفنة ) ، كما سُمّي خصومهم ( المناذرة ) بـ ( آل لخم ) . والى هذا الرأي ذهب ( الأصمعي ) ، حيث قال : « وجفنة أول ملك ملك من غسان ، واليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في شعره » [4] . وقد نسب الأصمعي له وصية زعم أنه أوصى بها بنيه في كيفية السير بالناس ، وتسيير الملك [5] .

وعند المسعودي ان اول من ملك من بني غسان بالشأم الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة،وهو ابن مارية

---

١ Provincia Arabia, III, S. 286, Euthymili Vita, Ed : Cotelerius, Ecclesiae Graeca Monumenta, II, P. 221.

٢ حمزة ( ص ٧٦ ) ، ( جفنة بن علية بن عمرو بن عامر ) ، اليعقوبي ( ١٦٧/١ ) ( طبعة النجف ) ( جفنة بن مزيقيا ) ، ابن خلدون ( ٢٨١/٢ ) ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، للبطليوسي ( ص ٦ ) ، التنبيه ( ص ١٥٨ ) .

٣ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
الاصمعي ، تأريخ ملوك العرب الاولية ، ( ص ١٠٢ ) ، ( محمد حسن آل ياسين)
كجفنة والقمقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق .
البرقوقي ( ص ٢٨٧ ) .

٤ الاصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولية ( ص ١٠٢ ) .

٥ المصدر نفسه ( ص ١٠١ ) .

ذات القرطين[1] . أما ابن قتيبة ، فذهب الى ان أول من ملك منهم هو الحارث ابن عمرو المعروف بـ ( محرّق ) . وسمي بمحرّق لأنه أول من حرّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر[2] .

وقد ذكر ابن دريد ان الحارث بن عمرو بن عامر ، ( هو محرّق ، وهو أول من عذّب بالنار )[3] . فأيد بذلك رواية من يرى انه أول من عذّب وحرق الناس بالنار .

وذهب ( محمد بن حبيب ) الى أن أول من ملك من الغساسنة بالشأم هو ( ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد )، وذلك بعد فتك ( جذع ) بالضجاعمة فعهد اليه ملك الروم ( ديقيوس ) أمر تولي رئاسة عرب بلاد الشأم ، وملّكه وتوّجه ، فصار بذلك أول ملك من ملوك غسان[4] ، على نحو ما ذكرته قبل قليل .

و ( جفنة ) الذي صيّره حمزة أول من ملك من غسان ، هو ( جفنة بن عمرو ، وهو مزيقيا بن عامر ماء السماء ) . وقد نجل عمرو بن عامر على رواية ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنة ، والحارث وهو محرّق، وثعلبة وهو العنقاء ( العنقاه ) ، وحارثة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادعة ، وعوف ، وذهل ، وواكل[5] . فيكون جفنة على هذه الرواية أخاً للحارث بن عمرو الذي عدّه المسعودي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسنة في ديار الشأم .

وتولى الحكم بعد جفنة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملكه خمس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة ، منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هند[6] .

أما ( الأصمعي ) فقد أورد اسم ( الحارث بن جفنة بن ثعلبة بن عمرو ) ، بعد اسم ( جفنة ) . وقال عنه ( وهو الحارث الأكبر ) ثم ذكر له وصية وصى

---

١ مروج ( ١/٢٩٨ ) ( طبع المطبعة البهية ) .
٢ المعارف ( ص ٢٨٠ ) ، ( ولد عمرو بن عامر الحارث . وهو محرق . وهو أول من عذب بالنار ) ، الاشتقاق ( ص ٢٥٩ ) .
٣ الاشتقاق ( ص ٢٥٩ ) .
٤ المحبر ( ص ٣٧١ وما بعدها ) .
٥ ابن خلدون ( ٢/٢٧٩ ) ، الاشتقاق (٢٥٩) .
٦ حمزة ( ص ٧٧ ) .

بها ابنه ( عمرو بن الحارث ) وهي وصية نظمها شعراً. وقد قال له فيها إن هذه الوصية هي وصية أبـي لي ، وبها يا عمر أوصي وفيها الملك مرسوم[1] .

وأما ( محمد بن حبيب ) ، الذي جعل ثعلبة أول من ملك من الغساسنة، فقد جعل الحكم للحارث بن ثعلبة من بعده ، ثم لابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة ، ثم لابنه الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، ثم للنعمان بن الحارث ثم للمنذر ابن الحارث ثم للمنيذر بن الحارث ، ثم لجبلة بن الحارث[2] .

وأما ( ابن قتيبة ) ، الذي جعل ( الحارث بن عمرو بن محرّق ) أول ملوك آل غسان ، فقد وضع ( الحارث بن أبـي شمر ) من بعده . وقال : انه الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ، وأمه مارية ذات القرطين . وكان خير ملوكهم ، وأيمنهم طائراً ، وأبعدهم مغاراً . وكان غزا ( خيبر ) ، فسبى من أهلها ، ثم أعتقهم بعد ما قدم الشأم . وكان سار اليه المنذر بن ماء السماء في مئـة الف ، فوجه اليهم مئة رجل ، فيهم لبيد الشاعر وهو غلام ، وأظهر انه انما بعث بهم لمصالحته ، فأحاطوا برواقه فقتلوه ، وقتلوا من معه في الرواق ، وركبوا خيلهم فنجا بعضهم وقتل بعض وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزموهم، وكانت له بنت يقال لها ( حليمة ) كانت تطيب أولئك الفتيان يومئـذ وتلبسهم الأكفان والدروع وفيها جرى المثل : « ما يوم حليمة بسر » . وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد ، فأتاه النابغة ، فسأله اطلاقهم ، فأطلقهم ، وأتاه علقمـة ابن عبدة في أسارى من بني تميم ، فأطلقهم اكراماً لشأنه . وفي جملة من أطلق حريتهم شأس بن عبدة شقيق علقمة[3] .

وروى ( ابن قتيبة ) أيضاً ان ( علقمة بن عبدة ) قال في ( الحارث بن أبـي شمر ) هذه الأبيات :

الى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي بكلكلها ، والقُصْرَيَنْ وجبيبُ
وفي كل حيّ قد خَبطت بنعمة فحقّ لشأس من نداك ذُنوب

فقال الحارث : نعم وأذنبة[4] .

---

١ الاصمعي ، تاريخ ( ١٠٣ وما بعدها ) .
٢ المحبر ( ص ٢٧٢ ) .
٣ المعارف ( ص ٢٨٠ ) ، (ص ٦٤١ وما بعدها ) ، ( طبعة ثروت عكاشة ) .
٤ المعارف ( ص ٢٨٠ ) ، ( ص ٦٤١ وما بعدها ) ، ( ثروت عكاشة ) .

وزعم ( ابن قتيبة ) ان الذي ولى الملك بعد ( الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ) ، هو ابنه ( الحارث بن الحارث بن الحارث ) ويسميه بالحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر . وكان له اخوة ، منهم : النعمان بن الحارث ، يقول ، وهو الذي قال فيه النابغة :

هـذا غلام حسن وجهـه مستقبل الخـير سريع التمام
للحرث الأكبر والحارث الأصغر والحرث الأعرج خير الأنام

وله يقول النابغة أيضاً ، وكان خرج غازياً :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتي معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك المنى لو أننا نستطيعها[1]

وقد وهم ( ابن قتيبة ) في ( الحارث بن أبي شمر ) إذ صيّره الملك الثاني ، وجعله ابناً للحارث الأكبر ، في حين أنـه ( الحارث بن جبلة ) الذي حارب المنذر بن ماء السماء ، وهو صاحب يوم حليمة . ووهم في ( الحارث الأصغر ) أيضاً حين صيّره في هذا المكان ، وجعله على هذا النسب ، ولابن قتيبة أوهام أخرى من هذا القبيل .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يـلي البلقاء[2] . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يـلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة[3] .

ثم تولى من بعـده ( الحارث ) ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وذكر حمزة أنه لم يبنِ شيئاً . ثم ذكر من بعده ( جبلة بن الحارث ) ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين[4] . وجعل ( البطليوسي ) مدة حكمـه عشر سنين أيضاً[5] .

---

١ المعارف ( ص ٢٨٠ ) .
٢ حمزة ( ص ٧٧ ) .
٣ البطليوسي ( ص ٦ ) .
٤ حمزة ( ص ٧٧ ) .
٥ البطليوسي ( ص ٦ ) .

وجبلة هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنان وهو ( جبلس ) (Jabalac) عند ثيوفانس . وقد ذكر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد[١] . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطليوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل . وقالا إنه حكم عشر سنين[٢] . وذكره (ابن دريد) على هذا النحو : « ومنهم جبلة بن الحارث الملك . وهو ابن مارية التي يقال لها قرطا مارية »[٣].

وجاء بعد ( جبلة ) ابنه ( الحارث بن جبلة ) ، الذي يمكن عدّه أول ملك نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من ملوك آل جفنة . وهو في نظر (نولدكه) ( اريتاس ) (Aretas) (Arethas) الذي ذكره المؤرخ السرياني ( ملالا ) (Malalas) . وقد ذكر انه كان عاملاً للروم[٤] . ويظن أن حكمه كان من حوالي سنة (٥٢٩) حتى سنة (٥٦٩) للميلاد تقريباً[٥] . وأرى ان حكمه كان قبل سنة (٥٢٩) للميلاد بقليل ، اذ ذكر أنه حارب (المنذر) (Alamundarus) في حوالي السنة (٥٢٨) للميلاد[٦] . ومعنى ذلك أنه ولي الحكم في هذه السنة ، أو قبلها بقليل .

وقد عرف الحارث هذا عند أهل الأخبار بـ ( الحارث الأعرج ) وبـ(الحارث الأكبر ) .

وذكر حمزة والبطليوسي وآخرون أن والدة الحارث هي ( مارية ذات القرطين، بنت عمرو بن جفنة )[٧] . وذكر المسعودي ومحمد بن حبيب أنها ( مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ) . واستدرك ( محمد بن حبيب ) على ذلك بقوله : « ويقال : بل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور ، من كندة »[٨] . وهي أخت هند الهنود امرأة حجر الكندي ، وقد

---

١ غسان ( ص ٨ ) ، Theophanes, 218, O'Leary, P. 164.
٢ حمزة ( ص ٧٧ ) ، البطليوسي ( ص ٦ ) .
٣ الاشتقاق ( ص ٢٥٩ ) .
٤ غسان ( ص ٩ ) ، Malalas, (Melalas), 2, 166.
٥ Provincia Arabia, II, S. 174, III, S. 285.
٦ Provincia Arabia, III, S. 352.
٧ حمزة ( ص ٧٨ ) ، البطليوسي ( ص ٦ ) .
٨ المحبر ( ص ٣٧٢ ) .

ضرب المثل بحسنها ، فقيل : « خذوه ولو بقرطي مارية » . وقالو : وكان في قرطيها مئتا دينار[1] .

وذكر البطليوسي ان الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى ( الحفير ) ومصنعة بين ( دعجان ) وقصر أبير ومعان[2] . وكان حكمه على رأيه عشرين سنة[3] . وهو دون العدد الذي يقدره الباحثون لحكمه ، حيث قدّر بأربعين سنة . إذ حكم على تقديرهم من حوالي السنة (٥٢٩) حتى السنة (٥٦٩) للميلاد[4] .

ويشك بعض الباحثين في صحة نسبة الأبنية المذكورة الى الحارث ، اذ يرون أنها من عمل شخص آخر . غير أنهم يرون احتمال بنائه للقصر الأبيض في (الرحبة). ولقصر الطوبة[5] .

وجعل ( ابن دريد ) للحارث بن جبلة من الولد : النعمان والمنذر والمنيذر وجبلة وأبا شمر ، ذكر انهم ملوك كلهم[6] .

وذكر الأخباريون ان الحارث بن مارية الغساني ، كان قد اجتبى أخوين من بني نهد اسمها حزن وسهل ، وهما ابنا رزاح ، فحسدهما زهير بن جناب الكلبي وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له انهما عين للمنذر ذي القرنين عليه حتى قتلهما . ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتيلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطق زهير على ذلك صبراً ، حتى تخلّص منه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له وبرجوع زهير الى ما كان عليه[7]. وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين ، أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملالا ان الحارث بن جبلة حاربت (المنداروس) (Alamundarus) (Alamoundros) أمير عرب الفرس ، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ( ٥٢٨ م )[8] ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : ( جنوفاس ) (Jnophas) ،

---

١ المحبر ( ص ٣٧٢ ) ، البرقوقي ( ص ٣٠٩ ) .
٢ حمزة ( ص ٧٨ ) ، البطليوسي ( ص ٧ ) ، Provincia Arabia, II, S. 8.
٣ البطليوسي ( ص ٧ ) ، حمزة ( ص ٧٨ ) .
٤ Provincia Arabia, II, S. 174.
٥ Provincia Arabia, II, S. 174.
٦ الاشتقاق ( ٢٥٩ ) .
٧ الاغاني ( ١١٨/٥ وما بعدها ) .
٨ غسان ( ص ١٠ ) . Melalas, 2, 166.

و ( نعمان ) (Naaman) . ويرى ( نولدكه ) ان ( جنوفاس ) هو ( جفنة ) وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نعمان فهو أيضاً اسم أمير من أولئك الأمراء الجفنيين[1] .

وقد تحدث الطبري عن الحرب التي وقعت بين المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ، الا انه وهم في اسمه فصيّره ( خالد بن جبلة ) . وقال عن الحرب : « وقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لخم ، كان ملّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النعمان ناثرة ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا المنذر الى كسرى ، وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد . فكتب كسرى الى يخطيانوس[2] ، الا انه لم يحفل بكتاباته فغزا كسرى بلاده ، وتوغل فيها واضطر ( يخطيانوس ) عندئذ الى عقد صلح معه ، والى ارضائه .

ويرى ( نولدكه ) أيضاً ان هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا انه أخمد ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة ( ٥٢٩ )[3] .

وقد ورد في تأريخ ( بروكوبيوس ) (Procopius) ان المنذر ملك العرب ( سركينوى ) (Sarakynou) الذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انبراطورية الروم ، وعجز قواد الروم من أرباب لقب (Dux) (Duce) (Duxe) وسادات القباب من أرباب لقب (فيلارخ)(Phylarchus) المحالفين للروم عن صدّه والوقوف أمامه،رأى القيصر(يسطانوس)(Justinianus) ان يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية (Arabia) لقب (ملك) ليقف بوجه ( المنذر ) (Alamoundaros) . وقد ذكر ان هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرعو مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشأم والعبث بها مدة طويلة من الزمن[4] . وقد ذهب ( نولدكه ) الى أن هذه الحوادث

---

١ غسان ( ص ١٠ ) .
٢ الطبري ( ١٤٩/٢ وما بعدها ) ( طبعة دار المعارف بمصر ) .
٣ غسان ( ص ١٠ ) ، O'Leary, P. 164, Malalas, 2, 180.
٤ Procopius, I, XVII, 43-48, J. B. Bury, II, P. 91.

كانت في سنة ( ٥٢٩ م )[١] .

وقد بلغ المنذر في هجومه على بلاد الشأم أسوار ( انطاكية ) ، ولكنه تراجع بسرعة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من قوات الروم ، تراجع بسرعة أعجزت الروم عن اللحاق به[٢] . ويشك نولدكه في رواية بروكوبيوس بشأن منح الحارث لقب ملك ، ذلك لأن لقب ملك كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم[٣] .

ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب ملك على الأمراء العرب ، مثل ( ماوية ) ، فقد لقبت بـ ( ملكة ) . ولم يستعملوا كلمة ( فيلارخوس ) (Phylarcos) (Phylarque) (Phylarkos) التي تعني العامل أو سيد قبيلة . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب ( ملك ) في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي[٤] . ولكن نولدكه يرى أن هذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لاثبات أن الروم أطلقوا لقب ملك على الحارث أو على خلفائه رسمياً ، لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم .

والذي صح اطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب ( بطريق ) (Patricius) ، ولقب ( عامل ) أو سيد قبيلة ( فيلارخوس ) (Phylarchus) (Phylarkos) (Phylarcos) مقروناً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة ( فلارخوس المنذر ) ، و ( المنذر البطريق الفائق المديح ) ، وما ورد عن الحارث ( الحارث البطريق ورئيس القبيلة )[٥] .

ولقب ( البطريق ) من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة حتى ان بعض الملوك كانوا يحبذون الحصول على هذا اللقب من القيصر[٦] . وقد منح القيصر

---

١ غسان ( ص ١١ ) .
٢ J. B. Bury, I, P. 81.
٣ غسان ( ص ١٢ ) ، المشرق . السنة الاولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ( ص ٤٨٥ ) .
٤ غسان ( ص ١٢ ) .
٥ غسان ( ص ١٢ وما بعدها ) .
٦ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ( ص ٤٨٥ ) .

(يسطنيانوس) (Justinianus) ( الحارث ) هذا اللقب ، وكذلك لقب ( فيلارخ) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة يمنح هذين اللقبين اللذين انتقلا منه الى أبنائه فيما بعد[1] .

ويلاحظ ان نص أبرهة الذي ذكر في جملة مـا ذكره ان الحارث بن جبلة أرسل رسولاً عنه الى مدينة مأرب ليهنئه بترميمه سد مأرب ، لم يدوّن كلمـة ( ملك ) مع اسم الحارث ، ولكن ذكر ( ورسل حرثم بن جبلت ) ، أي : ( ورسول الحارث بن جبلة )[2] . فلم يلقبه بلقب ( ملك ) ، ويدل عدم اطلاق أبرهة لقب ملك على الحارث على انه اتبع الأصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين وان لقب ملك لم يكن لقباً رسمياً له مقرراً دولياً. وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله في سنة (٥٤٢ م) .

ويتبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملالا ان الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة ( ٥٣١ م )، وانتهت باندحار الروم ، وكان قائدهم (بليزاريوس)[3] . وذكر ان الفرس أسروا رجلاً اسمه (عمرو) (Amros) ، وكان حائزاً على درجة ( قائد ) (Dux) [4] .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة ( ٥٤١ م ) بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحذر منه ، اذ ما كان يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمـل يذكر في هذه الحرب[5] . وهذا مما حمل الروم على الشك في صداقته لهم ، وجعلهم يحذرون منه ويراقبون حركاته ، خوفاً من انقلابه عليهـم وإلحاقه الأذى بهم واتفاقه سراً مع الفرس .

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنذر حوالي سنة ( ٥٤٤ م ) ، وانتهى

---

١ Provincia Arabia, II, S. 174.

٢ راجع النص الموسوم Glaser 618.

٣ غسان Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, I, 8. Malalas, 2, 199.

٤ غسان ( ص ١٨ ) . Malalas, 2, 202.

٥ غسان ( ص ١٨ ) . Malalas, 2, 203, Procopius 2, 5, 16, 18, Musil, Palmyrena, 266.

بسقوط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت في سنة ( ٥٥٤ م ) ، على مقربة من ( قنسرين ) بالقرب من الحيار . وهذه المعركة هي معركة يوم حليمة على رأي تولدكه[١] . ويظهر أن المنذر كان قد هاجم بلاد الشأم ، وتوغل فيها حتى وصل الى حدود قنسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك في السنة السابعة والعشرين من حكم ( يوسطنيانوس ) (Justinianus) على رواية ابن العبري .

وقد كان سبب اختلاف الحارث مع المنذر ، تنازعهما على ارض يطلق الروم عليها اسم (Strata) جنوب تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشأم وهي من الطرق العسكرية المهمة ومرعى مهم للأعراب ، يرعى فيها أعراب العراق وأعراب بلاد الشأم . وقد ألف ( جستنيان ) لجنة تحكيم ، لم تتمكن من فض النزاع . وقد اتهم الفرس أعداءهم الروم بأنهم يريدون الاتصال سراً بالمنذر ورشوته لتحريضه على القيام على الفرس[٢] .

وقد ذكر ابن العبري في أثناء كلامه على هذه الحرب أن ( برحيرت ) ، (Bar-Herath) أي ( ابن الحارث ) سقط قتيلاً في الحرب[٣] . وكان قد ذكر قبل كلمات ان المنذر بن النعمان ، لما هاجم منطقة (Rhomaye) وتوغل فيها ، نازله ( الحارث بن جبلة ) (Herath bar Gebala) بهجوم مقابل ، فهزمه وقتله في قنسرين . ثم ذكر ان ابن الحارث سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة[٤] .

ونجد في شعر ( حسان بن ثابت ) إشارة الى ( زمين حليمة ) أي زمن حليمة[٥] . كما نجد في الأمثال ( ما يوم حليمة بسر )[٦] ، دلالة على شهرة ذلك اليوم .

وكان الحارث من أنصار ( المنوفستيين ) (Monophysites) ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال انه سعى لدى الانبراطورة ( ثيودورة )

---

١ غسان ( ص ٢٠ ) .
٢ J. B. Bury, II, P. 92.
٣ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 76.
٤ Michael the Syrian, Chronicle, (ED : Chabot), Vol., 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144.
٥ البرقوقي ( ص ١٤٦ ) .
٦ كذلك ( ص ١٤٦ ) .

في تعيين ( يعقوب البرادعي ) ورفيقه (ثيودورس) ، أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح في مسعاه هذا في سنة ( ٥٤٢ – ٥٤٣ م ) ، وبذلك وطد هذا المذهب في بلاده[١] .

ونسب المؤرخ السرياني ( ميخائيل الكبير ) الى الحارث محاورة جرت بينه وبين البطريق ( افرام ) ( ٥٢٦ – ٥٤٥ م ) في السريانية أو اليونانية في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب (يعقوب البرادعي) المتوفي سنة ( ٥٧٨ م ) . وقد صيغت الحكاية بأسلوب يفهم منه انه تغلّب بأدب ولطف على خصمه البطريق[٢] .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للانبراطورية عدّ الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقاوموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوسطنيانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب المناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب السياسية في الزمن الحاضر[٣] ، الا ان الحارث سعى جهد امكانه في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن التقريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيستين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقائه ، وفي انتشاره بين السريان وعرب الشأم[٤] .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣ م ) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال القصر والحاشية ، ويقال ان رجال البلاط كانوا يخوفون القيصر ( يوسطينوس ) (Justinius) بعد خرفه بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سماعه اسمه[٥] . والظاهر ان الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفي السياسة التي يجب سلوكها تجاه عمرو

---

١ François Nau, Les Arabes Chrestiens, PP. 52.

٢ المشرق ، المجلد ٣٤ ( السنة ١٩٣٦ ) ، الجزء الاول ( ص ٦١ وما بعدها ) .

٣ E. Gibbon, Der Sieg, S. 66.

٤ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، ( ص ٤٨٦ ) .

٥ غسان ( ص ٢٠ ) .
J. of Ephesus Eccl., 3, 2, O'Leary, P. 165, Huart, I, 60, Les Arabes Chrestiens, PP. 58, Michel the Syrer, Chronique, I, II, P. 314.

ملك الحيرة [1] .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له ظلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثأر حسب رواية الأخباريين . واليه تنسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا باعادة دروع امرىء القيس التي أودعها لديه في القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون في معرض كلامهم على امرىء القيس وقصة السموأل والوفاء . وهناك جماعة من الأخباريين ترى ان الحارث الذي طالب بتسليم دروع امرىء القيس اليه ، هو شخص آخر اسمه الحارث بن ظالم [2] . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن ظالم وامرىء القيس ، وحملته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد ذكر ( الجمحي ) أن ( الحارث بن أبي شمر الغساني ) هو الذي طلب الى ( السموأل بن عادياء ) أن يدفع اليه سلاح ( امرىء القيس ) الذي استودعه عنده ، فأبى السموأل أن يسلمه اليه [3] . وقد ذكر ( أبو زبيد الطائي ) أنه زاره ونعته بأنه ( الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم ) . وقد كان ( أبو زبيد ) هذا « من زوّار الملوك ، وللملوك العجم خاصة . وكان عالماً بسيرها » [4] .

وقد تعرّض ( ابن قتيبة ) لموضوع ( امرى القيس ) ، فقال : « وكان امرؤ القيس في زمان أنو شروان ملك العجم ، لأني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغسّاني ، وهو الحارث الأكبر ، والحارث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الذي نصبه أنو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة » [5] . وذكر أيضاً ان « الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، لما بلغه ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل ، بعث اليه رجلاً من اهل بيته يقال له ( الحارث بن مالك ) وأمره ان يأخذ منه سلاح امرىء القيس وودائعه فلما انتهى الى حصن السموأل أغلقه دونه ، وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه

---

١ غسان ( ص ٢٠ ) .
٢ الاغاني ( ٦/٣٣١ وما بعدها ) .
٣ طبقات الشعراء ( ص ٧٠ ) .
٤ طبقات الشعراء ( ص ١٣٢ ) .
٥ الشعر والشعراء ( ص ٥٠ ) .

الحارث ، وقـــال للسموأل : إن انت دفعت إليّ السلاح وإلا قتلته ، فأبى ان يدفع اليه ذلك . وقال له : اقتل أسيرك ، فإني لا ادفع اليك شيئـــاً ، فقتله ، وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء»[1] .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج – وهو في روايتهم هـــذه الحارث بن أبي شمر الغساني – غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هـــذا الغزو مروره بجماعات منهـــا لم تهتم به كما كان يجب ان يكون . وقـــد نصحه الشاعر ( عمرو بن كلثوم ) – على حدّ قولهم – بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقُتل منهم عدد كثير كان في جملتهم أحد إخوة الحارث[2] .

ويظن بعض الباحثين ان الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافـــة الكبرى لا الملك يوسنيانوس ، ذلك لأن المؤرخ ( بروكوبيوس ) لم يشر في أثناء كلامه على هذا القيصر الى أي أثر له في هذه المدينة،على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى احترامه العظيم للقديس ( سرجيوس ) المدفون بها ، وهو قديس له منزلة كبرى في نفوس نصارى عرب الشأم[3] .

وينسب الى الحارث اصلاح ذات البين فيما بين قبائل طيء ، وكانت متخاصمة متحاربة ، فلما هلك عادت الى حربها،ووقع بينها يوم اليحاميم حيث دارت الدائرة فيه على جديلة من طيء ، ويعرف أيضاً بقارات حوق[4] .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة ، أمير اسمه ( أبو كرب ابن جبلة ) ، لعله شقيق الحارث . وقد ورد اسمه في نص ( أبرهة ) ، حيث كان ( أبو كرب ) قد أرسل اليه رسولاً لتهنئته بترميمه سد مأرب . والأمـــير (قيس) (Kaisus) وكان عاملاً على ( فلسطين الثالثة ) في حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ، ويظهر انه كان قد تحارب مع الحارث[5] .

---

١ الشعر والشعراء ( ص ٤٦ ) ، ( طبعة ليدن ) .
٢ ابن الاثير ( ٢٢٢/١ ) .
٣ Rusafah, P. 12, Hertzfeld., I, S. 167.
٤ أيام العرب (٦٠) .
٥ غسان ( ص ١٧ ملحوظة ٤٨ ) .

وعثر في احدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى ( شرحيل بن ظالم ) يرى نولدكه انه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة في كنـــدة ويرجع تأريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية الى حوالي سنة ( ٥٦٨ م ) . وقد دُوّنت عند تدشين هذا العامل بناءً اقامه للقديس يوحنـا المعمدان ، فيكون ( شراحيل ) شرحيل اذن من المعاصرين للحارث بن جبلة[١] . ويستنتج نولدكـــه من ذلك ان عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بسلطانهم حتى بعد تألق نجم آل غسان. ويرى ان ذلك ممـــا يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي وإنما كان من مصلحتهم وجود جملة امراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض[٢] .

وقد دعي الأمير المذكور بـ (Asaraelus) ودعي أبـــوه بـ (Talemus) وكان يحكم ( اللجاة ) ، فيظهر من ذلك ان إمارات كانت تنافس امارة الغساسنة في هذا العهد[٣] .

وقد توفي الحـــارث في سنة ( ٥٦٩ م ) او ( ٥٧٠ م ) على رأي نولدكه ، استنتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنسية التي يعود تأريخها الى سنتي ( ٥٦٨ و ٥٦٩ ) ، والى ربيع سنة ( ٥٧٠ م ) حيث حل اسم ابنه المنـذر في محلّه ، فاستدل من هذا التغيير على أنه توفي في هذا الزمن[٤] .

وقد حكم ( المنذر ) من سنة ( ٥٦٩ — ٥٧٠ م ) حتى سنة ( ٥٨١ م ) ، على تقدير بعض الباحثين[٥] .

وقد عرف المنذر بـ (Alamundaros) (Alamoundaros) عند اليونان والسريان وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس . والظاهر ان عرب الحـــيرة كانوا هم البادئين بها ، فانتصر عليهم في يوم ٢٠ أيار (مايس) من سنة ٥٧٠م[٦].

---

١ غسان ( ص ١٧ ) ،
Waddington, Inscriptions Grecques, 3, P. 563, ZDMG., 38, 53.

٢ غسان ( ص ١٦ ) ، النص الالماني ( ص ١٦ ) .

٣ Provincia Arabia, III, S. 268, Waddington 2464, Nöldeke, S. 13, Anm : 2.

٤ غسان ( ص ٢٥ ) .

٥ Die Araber, I, S. 10.

٦ غسان ( ص ٢٥ ) . Land : I, 13.

ثم انتصر عليهم في معركـة أخرى فيما بعد[1] . ويرى نولدكه ان المعركة الأولى هي عين أباغ[2] .

والمنـذر هو أبوكرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني عثر عليه في احدى ضواحي تدمر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما : يعقوب البرادعي وصاحبه[3] .

لقد حدث سوء تفاهم بين القيصر ( يسطينوس ) (Justinus) وبين المنذر تطوّر حتى صار قطيعة . ولما أحس المنذر بأن القصر قد دبّر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق ( مرقيانوس ) (Marcianus) بأن يحتال عليه ليقتله ، تمرّد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وايقاع الرعب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم عـلى مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجوّ أرسلوا اليه البطريق ( يوسطنيانوس ) ليجتمع به في مدينة الرصافـة عند قبر القديس ( سرجيوس ) لاقناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله. وعند القبر المقدّس عقد الصلح بينهما في صيف سنة ( ٥٧٨ م ) . فعـاد المنذر الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام[4] .

وقد أشار ابن العبري الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب ( طيايـة ) كانوا منقسمين الى جماعتين : جماعة المنذر بن الحارث ( منذر برحيرت ) (Mundar bar Herath) ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده وجماعة قابوس ، فهـاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الغساسنة ، واستاق ما وجده أمامه من ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المنذر ما حدث ، جمـع جيشاً هجم به على قابوس ، فتغلب عليه ، ورجع بغنائم عديـدة وعدد كبير من الابل . وعاد قابوس فهاجم المنذر ، غير أنه مُني بهزيمة ثانية اضطرته الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه امداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقتله ، لظنـه

---

١ J. of Ephesus, 6, 3.

٢ غسان ( ص ٢٧ وما بعدها ) ، Provincia Arabia, III, S. 355.

٣ غسان ( ص ٢٧ ) Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان ( ص ٢٦ ) J. of Ephesus, 6, 3-46, Provincia Arabia, II, S. 174.

أنه كان السبب في غزو الفرس لـ (Rhomaye) وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ في منطقة ( نصيبين ) (Nisibis) أن يتربص بالمنذر فيقبض عليه، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسالة، فأرسل الرسالة الخاصة بالبطريق مرقيانوس الى المنذر، وأرسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى البطريق . فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف مما أراد القيصر أن يفعله به، غضب غضباً شديداً، وتصالح مع قابوس، وصارا يهاجمان بلاد الشأم. فظن يسطينوس ان مرقيانوس قد خانه، وانه أخبر المنذر بالمؤامرة، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه ولما صار ( طيباريوس ) (Tiberius) قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينية ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولكنه قدّره واحترمه كثيراً حينما أراه رسالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتيال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وألطاف سنيّة ، ثم عاد مكرماً الى مركزه السابق[1] .

لقد قام المنذر بالزيارة المذكورة للقسطنطينية في اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠م مصطحباً معه ابنين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر ( طيباريوس ) (Tiberius) عليه بلقب (Rex) وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير في انبراطورية الروم . ويرى نولدكه ان الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشأم من قبل الا ( الاكليل ) ، ودرجته دون درجة ( التاج )[2] . وقد أغدق القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة ومن بينها مصوغات من ذهب وفضة ، مما لم ينعم به على أي ملك عربي من قبل . كما أنعم على ولديه بدرجات عسكرية[3] .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب ( الطبيعة الواحدة ) والمدافعين عنه، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسعى في اقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر انه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة ( ٥٨٠ م ) لمعاضدة هذا المذهب والدفاع عنه، كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير انه خابت مساعيه بالرغم من اظهار البطاركة رغبتهم في ذلك وعدم ممانعتهم فيه[4] .

---

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 80, 82.

٢ غسان ( ص ٢٦ ) J. of Ephesus, 4, 39, 42, P. 265, 271.

٣ J. of Ephesus, 4, 39, P. 265, 4, 43, P. 271, Provincia Arabia, II, P. 174, Die Araber, I, S. 10.

٤ غسان ( ص ٢٧ ) ، المشرق ، السنة ٣٤ حـ ١ ( ص ٦٤ ) ، السنة ١٩٣٦ ، J. of Ephesus, 4, 40, Les Arabes Chrestiens, P. 63, Die Araber, I, S. 10.

وقد ذكر ان المنذر بنى صهاريـــج لايصال المـــاء الى الرصافة مدينة القديس ( سرجيوس ) ذي المكانة العظيمة عند عرب الشأم . وظهر من كتابة عثر عليها في أنقاض كنيسة في الرصافة ان المنذر بنى أو جدّد بناء تلك الكنيسة . وأما بناؤها فهو على الطراز البيزنطي[1] .

ولم تمنع قدسية مدينة الرصافة الأعراب ، ولا سيما أعراب العراق من التحرش بها ، فغزتها مراراً ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غـــزو المدينة[2] ، وهدّم أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً ، ولحمايتها من الهجمات أحاطها القيصر ( يوسطنيانوس ) بسور قوي ، بدلاً من سورها القديم[3] .

وذكر ان المنذر لما كان في القسطنطينية طلب من البيزنطيين مساعدته في بنـاء قصر يكون أعظم قصر غساني بُني حتى أيامه ، وذلك بأن يرسلوا اليـــه أحسن المعمارين والبنّائين الحاذقين . فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج اليه من معمارين ومن مواد بناء. ومن أبنيته الخربة المعروفة اليوم بناء يعرف باسم(البرج). وقد عثر على اسمه مدوناً على حجارة من ذلك البناء[5] .

ولما حاول الروم غزو حدود الفرس في سنـــة ( ٥٨٠ م ) ، وجدوا الجسر المنصوب على نهر الفرات مهدّماً ، فاضطروا الى التراجع وترك الغزو . وكان المنذر معهم في هذه الحملة ، فذهبوا الى ان المنذر كان على اتفاق سري مع الفرس ، وانه هو الذي أوعز بهدم الجسر ، ليكتب للحملة الاخفاق ، وقرروا القبض عليه والايقاع به ، انتقاماً منه للخيبة التي منوا بها . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيما بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً اياها طعمة للنيران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تحدي المنذر لهم ، ورغبته في الخروج على طاعتهم،فقرروا الانتقام منه بقتله،فأصدروا الى حاكم بلاد الشأم ( ماكنوس ) (Magnus) صديق

---

١ Kirchengeschichte., V, S. 315, H. Gelzer, in Byzantinischer Zeitschrift, I, 1892, S. 245. Les Arabes Chrestiens, P. 69, Musil, Palmyrena, PP. 165, 264, 323.

٢ ديوان الاخطل ( ص ٣٠٩ ) ، ( طبعة الصالحاني ) ، Musil, Palmyrena, PP. 263, 267.

٣ Musil, Palmyrena, P. 264, Rusafah, P. 12.

٤ Provincia Arabia, II, P. 175.

٥ Wetzstein, NO : 173, Waddington 2562C, Provincia Arabia III, S. 200.

المنذر أمراً سرياً بالعمل على قتله . وصادف ان الروم كانوا قد انتهوا من بنـاء كنيسة في ( حوارين ) ، وقد عزم ( ماكنوس ) على تدشينها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الاقامة فيها مع احدى نسائه وبعض أولاده وبناته ، وذلك في أيام القيصر طباريوس وفي ابتداء السنة (٥٨٢) للميلاد . ولما انتقل العرش الى موريقيوس ، وكان يكرهه ويعاديه ، أمر بنفيها الى صقلية وبقطع المعونة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام[١] .

وقد لقب حمزة المنذر بلقب الأكبر ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين، ونسب اليه بناء ( حربا ) وموضع ( زرقا ) على مقربة من الغدير[٢] . وقد أخطأ (حمزة) في مدة حكم المنذر ، إذ هي تزيد على تلك المدة ، فقد حكم على رأي الباحثين من سنة (٥٦٩) حتى سنة (٥٨٢) للميلاد[٣] .

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز إلى القائد ( ماكنوس ) بتجهيز حملة من أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعدّ ليتولى مقام أخيه ، غير انه توفي بعد أيام . ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر في البادية ، عمد القائد الى المكيدة فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر انه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلتـه ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه[٤] .

وكان موضع ( حوارين ) في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعد ارتحال ( ماكنوس ) عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها، وأسروا قسماً من الباقين،ثم عادوا بغنائم كثيرة الى البادية للاحتماء بها من هجمات الروم[٥] .

---

١ غسان ( ص ٣٠ وما بعدها ) .
Evagrius, 6, 2, Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82, J. J. of Ephesus, Eccl. His., III, PP. 40, 42, 54, Provincia Arabia, II, P. 175.

٢ حمزة ( ص ٧٨ ) ، البطليوسي ( ص ٧ ) .

٣ Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان ( ص ٢٢ وما بعدها ) . Evagrius, 6-2.

٥ Musil, Palmyrena, P. 38.

وذكر ابن العبري ان النعمان لما بلغته رسالة القائد ماكنوس لم يذهب اليـــه ، وإنما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان . فلما وصل الشاب الى القائد ، سألـــه : أأنت النعمان ؟ فقال لـه : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : أقبضوا على عدوّ الملك ، وقيدوه بالحديد . ولما تبين للقائد أنـــه لم يكن النعمان ، هَمَّ بقتله ، ثم أمر باخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماكنوس بعد ذلك بأمد قصير[1] .

ويدعي ابن العبري أن النعمان ذهب بعد ذلك الى (موريقيوس) (Mauricius) واعتذر اليه،وبين له أنه إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من انقاذ والده من الأسر . ولما طلب منه ( موريقيوس ) أن يدخل في المذهب الخلقيدوني ، أجابه ان جميع القبائل العربية ( طياية ) هي على المذهب الحنيف (الأرثدوكس) (Orthodox) ، وانه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما قفـــل راجعاً ، قبض عليه ونفي[2] .

لقد تصدّع بناء الغساسنة وتفكك ، وانقسم الأمراء على أنفسهم،وذلك حوالي سنة (٥٨٣) أو ( ٥٨٤ م ) على تقدير نولدكه . ويشير ميخائيل السوري وابن العبري الى انهم انقسموا بعد القبض على النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق وتشتت الباقون ، ولم يبق لهم شأن يذكـر . ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الغساسنة بعد هذا الحادث[3]،وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . اذ حرمنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تأريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب في الأمن وفوضى بين القبائـل التي أخذت تتنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، ولخطورة مثل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسلامة الحدود ، كان هذا مما حمل البيزنطيين عـــلى التفكير في اختيار رئيس قوي من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائـل واعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة[4] .

---

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82.
٢ Bar Hebraeus, I, P. 82.
٣ غسان ( ص ٣٣ ، ٣٥ ) .
٤ Nöldeke, S. 31, Ency., II, P. 143.

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر انهم لم يعرفوه . وقد ذكر حمزة ان الذي حكم بعد المنذر هو شقيقه النعمان . وقد جعل مدة حكمه خمس عشرة سنة وستة أشهر[1] .

وزاد في رَبْك وضع الغساسنة وفي انقسامهم على أنفسهم ، غزو الفرس لبلاد الشأم سنة ( ٦١٣ — ٦١٤ م ) ، فقد اكتسح الفرس كل بلاد الشأم ، وصار عرب بلاد الشأم أمام حكام جدد ، لم يألفوا حكمهم من قبل ، ولكن ألفوهم دائماً في جانب عرب الحيرة أعداء الغساسنة ومنافسيهم .

وقد تمكن الغساسنة من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك في حوالي سنة ( ٦٢٩ م ) ، فقد تمكن البيزنطيون من طرد الفرس من الأرضين التي استولوا عليها ومن إجلائهم نهائياً عنها ، وإعادة فرض حكمهم عليها ، غير أن الأقدار أبت ان تبقيهم هذه المرة مدة طويلة في بلاد الشأم ، فأكرهتهم على فتح أبوابها للإسلام ، فتساقطت مدنها في أيدي المسلمين تساقط ورق الشجر في أيام الخريف . وصارت دمشق درة بلاد الشأم من أهم حواضر الاسلام . أما ملك الغساسنة ، فقد ولى ، ولم يبق للغسانيين حكم في هذه البلاد منذ هذا الزمن .

وقد خمد اسم رؤساء غسان في الموارد اليونانية والسريانية منذ قبض على النعمان ، فَعُدنا لا نجد في تلك الموارد شيئاً يذكر عنهم . وفي سكوت هذه الموارد عن ايراد أخبارهم ، دليل على زوال شوكتهم وهيبتهم وعدم اهتمام الروم بأمرهم ، حيث ضعف أمرهم بسبب تفرق كلمتهم وتنازعهم بينهم. أما الموارد الاسلامية ، فإنها بقيت تذكر أسماء رجال منهم زعمت انهم ملكوا وحكموا ، بل زعمت أن بعضهم حكموا دمشق ، وبقيت تذكر أسماءهم الى ايام الفتح الاسلامي . ومن هذه الموارد تأريخ حمزة الاصفهاني ، الذي استمر يذكر أسماء من ملك من آل غسان حتى انتهى بآخرهم وهو جبلة بن الأيهم . وفي هذه الأسماء تكرار وزيادات ، لذلك زاد عدد من ذكرهم من ملوك غسان على عدد ما ورد عند سواه من المؤرخين .

وأنا لا استطيع أن اوافق حمزة على العدد المذكور ، واخالفه في مدد حكمهم

---

١ حمزة ( ص ٧٨ ) ، البطليوسي ( ص ٧ ) .

وفي ترتيبهم على النحو المدوّن في تأريخه . فالذين ذكرهم على أنهم ملوك لم يكن مجال حكمهم كبيراً واسعاً،وهم لم يكونوا في الواقع إلا سادات بيوت أو سادات عشائر منشقة ، تمسكت باللقب القديم الموروث : لقب ملك . وقد كان بعضهم يعاصر بعضاً ، ويدعي الرئاسة لنفسه ، وذلك بسبب تخـاصمهم ، ولهذا كثرت أسماؤهم في قائمة حمزة . وقد انحسر مدّ حكمهم وانكمش فاقتصر على البوادي، ولا يتعارض ذلك بالطبع مع ورود أخبار بسكناهم في قصورهم عند أطراف المدن ومشارف القرى ، فإن سادات القبائل في هذا اليوم أيضاً يحكمون القبائل ويعيشون في قصور في المدن ، وهم لا يحكمون المدن بالطبع .

والذي يظهر من روايات أخرى من روايات أهل الأخبار من غير حمزة ان أبين رجل من غسان ظهر بعد النعمان ، هو (الحارث) المعروف بـ ( الأصغر ) ثم ( عمرو بن الحارث ) ، وهو الذي مدحه (النابغة) ، ثم (النعمان بن الحارث ) وهو شقيق (عمرو) ، وقد مات مقتولاً كما يظهر ذلك من شعر للنابغة الذبياني ، ثم ( شرحبيل بن عمرو الغساني ) ، و ( جبلة بن الأيهم ) .

ولما كنا قد سرنا على قائمة حمزة في ترتيب الملوك ، فاننا نجاريه في ترتيبه لهم فنذكر أسماء من حكم الغساسنة بعد النعمان على وفق هذه القائمة ، فنقول :

حكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين ( المنذر بن الحارث ) أي شقيق المنذر والنعمان ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقّبه بلقب ( الأصغر ) وكنّاه بـ ( أبـي شمر )[1] .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ ( حارب ) ونسب اليه بناء ( قصر حارب ) و ( محارب ) و ( صنيعة ) ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة[2] .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ونسب اليه بناء ( دير ضخم ) و ( دير النبوة ) و ( دير سعف )[3] .

ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً الى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحـد

---

١ حمزة ( ص ٧٨ ) ، المحبر ( ص ٣٧٢ ) .
٢ حمزة ( ص ٧٨ ) ، البطليوسي ( ص ٧ ) .
٣ حمزة ( ص ٨٧ ) .

أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر انه نزل السدير ، وبنى قصر ( الفضا ) ( قصر الفضة ) و ( صفاة العجلات ) و (قصر منار )[1] .

وعمرو هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني،وقد كان متكبراً دميماً قبيح السيرة أنشأ في دمشق وضواحيها – على حد قول أهل الأخبار – عدة قصور شامخات ، منها : قصر الفضة ، وقصر ( صفات العجلات ) ، وقصر منار . وقد صوّر في بعض هـذه القصور مجالسه وجلساءه ورؤساء دولته ، وأشكـال صورته . ثم اتعظ وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصعق العدواني ، وكان قد أسر الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة[2] .

ويقول أهل الأخبار إن من قديم الشعر الذي قاله النابغة في مـدح عمرو بن الحارث ، قصيدته الباثية التي يقول في جملة ما يقول فيها :

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة  لوالده ليست بذات عقارب

وقد أوغل فيها في مدح الغساسنة وفي ذكر ملوكهم ، وهي من عيون شعره . وقد قال هـذا الشعر حينما اختلف مع النعمان بن المنذر في موضوع الشعر الذي وصف به زوجـة النعمان ( المتجردة ) ، وصفاً استغله أعداؤه ، فوشوا بـه الى النعمان ، فهرب منه ، وانحاز الى خصومه آل غسان . ولجأ الى زعيمهم في تلك الأيام ، وهو ( عمرو بن الحارث )[3] .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح ( عمرو بن الحارث بن أبـي شمر الغساني ) ، في جملتها أبيات يعتذر النابغة فيها اليه من وشاية أثارت حنق عمرو عليه ، فنظمها في استرضائه، وقد ذكر فيها انه اكرمه وحباه بمئة من الابل ، وانه يريش قومـاً ويبري آخرين ، وانه يجزي الناس على أفعالهم[4] .

ونجد في قصيدة للنابغة مطلعها :

أهاجك من أسماء رسم المنازل  بروضته نعمى فذات الأجاول

---

١ حمزة ( ص ٨٧ ) .
٢ البطليوسي ( ص ٧ ) .
٣ ديوان النابغة الذبياني ( ص ٩ وما بعدها ) ، ( بيروت ١٩٢٩ ) .
٤ ديوان النابغة ( ص ٤٦ ) ( بيروت ١٩٢٩ ) .

خبر غزو قام بـــه ( عمرو بن الحارث ) لبني مرة ، وقد أوجعهم فيها عـلى ما يظهر من هذه القصيدة[1] .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعـــد الحارث بن جبلة ، هم أبناؤه إذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو الى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منذر قصد. وذكر أنه كان سيّارة جوّاباً . ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة[2] .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . حكم سنة واحدة ، ولم ينسب اليه بناء ما[3] .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة الى النعمان بن عمرو بن المنذر ولم يكن أبوه عمرو على رأي حمزة ملكاً،وانما كان غازياً يغزو بها بالجيوش،وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة ، ونسب اليه بناء ( السويدا ) و ( قصر حارب )[4] .

وذكر حمزة ان ( عمرو ) المذكور ، أي والد النعمان على زعمه ، هو الذي مدحه النابغة بقوله :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وذكر انه ، أي النابغة ( ذكر أباه المنذر بقوله )[5] :

وقصر بصيداء التي عند حارب

وقد أخطأ حمزة في ذهابه الى أن الشخص الممدوح هو ( النعمان بن عمرو ) ، فان رواة هذا الشعر يذكرون ان الملك الممدوح الذي قصده النابغة بمديحه ، هو ( عمر بن الحارث بن أبي شمر ) المتقدم ذكره ، وهو شقيق ( النعمان بن الحارث ابن أبي شمر ) الذي مدحه النابغة كذلك ، وكانت له صلات حسنة وثيقة به[6].

---

١ ديوان النابغة ( ص ٨٥ ) ( بيروت ١٩٢٩ م ) .
٢ حمزة ( ص ٧٨ ) .
٣ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٤ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٥ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٦ ديوان النابغة ( ص ٩ وما بعدها ) .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنـــه جبلة وزعم ان منزله بـ ( صفّين ) ، وانه صاحب ( عين أباغ ) ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة [1] .

ثم ملك – بعد جبلة – النعمان بن الأيهم بن الحارث بن مارية ، وكان ملكه إحدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعـده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لخم خربها ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة [2] .

ويرى ( الويس موسل ) ان النعمان هذا كان قـد حارب الفرس من حوالي سنة (٦٠٤) حتى سنة (٦١٦ م) ، وانه قد احتمى مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لخزن الماء [3] .

وذكر حمزة اسم ( المنذر بن النعمان ) بعد النعمان بن الحارث ، وهـو ابنه . قال : ولم يحدث شي في أيامه ، ثم هلك وكان ملكه تسع عشرة سنة [4] .

ثم صار الحكم من بعده – على رأي حمزة – الى عمرو بن النعمان . وهو شقيقه ولم يحدث شيئاً في أيامه ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر [5].

ثم انتقل الحكم الى حجر بن النعمان ، وهو شقيق عمرو ، وجعـل حمزة ملكه اثنتي عشرة سنة . ثم صيّر الملك الى ابنه من بعده ، وهو الحارث بن حجر . وجعل ملكه ستاً وعشرين سنة [6] .

وصيّر حمزة الملك الى جبلة بن الحارث ، بعد وفاة والده (الحارث بن حجر). وجعل مدة حكمه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً [7] .

ثم صيّر حمزة الحكم الى ( الحارث بن جبلة ) ، وهو على رأيـــه ابن الملك المتوفى ( جبلـــة بن الحارث ) . وذكر حمزة أنه يسمى أيضاً بـ ( الحارث بن أبـي شمر ) ، وهو الذي أوقع ببني كنانة ، وكان يسكن الجابية . وكان ملكه

---

١ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٢ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٣ Musil, Palmyrena, P. 267.
٤ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٥ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٦ حمزة ( ص ٧٩ وما بعدها ) .
٧ حمزة ( ص ٨٠ ) .

إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[1] . ويجب أن يكون هذا الحارث هو ( الحارث ابن أبـي شمر الغساني ) ، الذي ذكر أن الرسول وجه كتاباً اليـه ، حمله اليه : شجاع بن وهب كما سيأتي فيما بعد .

وذكر حمزة أن الذي حكم بعد ( الحارث بن جبلة ) ، هو ابنه ( النعمان بن الحارث ) ، وكنيته ( أبو كرب ) ، ولقبه ( قطام ) ، وهو الذي بنى مـا أشرف على ( الغور الأقصى ) . وكان ملكه سبعاً وثلاثين سنة وثلاثـة أشهر[2] .

وقد أخطأ حمزة في إضافة لقب ( قطام ) الى النعمان بن الحارث ، ولا نعرف ان أحداً اضاف هذا اللقب اليه .

ونجد للنابغة الذبياني أشعاراً في مدح ( النعمان ) المذكور ،وكان يزوره ويتوسط لديه في فك أسرى قومـه الذين كانوا يقعون في أسر الغساسنة ، وذلك بسبب غاراتهم المتوالية على بني غسان وأعرابهم . وكان قومه ( بنو ذبيان ) وحلفاؤهم ( بنو أسد ) الى جانب عرب الحيرة ، وكانوا ينقمون عـلى الغساسنة ويغيرون دوماً على أرضهم ، فيتدخل النابغة لـدى الغساسنة للصفح عن قومه ، ويتوسل اليهم في فك أسرهم . ولما أغار قومه على وادي ( ذي اقر ) ، نهاهم النابغـة عن هذه الغارة ، وحذرهم من عواقبها ، وهوّلهم بكثرة مـا لدى ( النعمان بن الحارث ) ، من جموع وحشود ، غير انهم لم يهتموا بنصح النابغة ، ولم يحفلوا بتخويفه لهم ، بل عدّوا نصيحته هذه لهم من امارات الخوف والجبن ، فتصدت لهم أعراب ( النعمان ) بقيادة ( النعمان بن الجلاح الكلبي ) ، وأوقعت بهم خسائر فادحة ، ويذكر بعض الرواة أن ( ابن الجلاح ) سبى ستين أسيراً وأهداهم الى قيصر الروم[3] . ولم يتطرقوا لبيان الأسباب التي أدت بالغساسنة الى اهـداء هؤلاء الأسرى الى الروم . وأعتقد ان اقحام ( قيصر الروم ) في هذا الاهداء ، هـو من مبالغات الرواة ، وقد عودونا أمثال هـذه المبالغات . إلاّ أن يكون أولئك الأعراب قد غزوا حدود الروم ، فأوجعوا أهلها ، فقدم ( ابن الجلاح ) الذي تعقبهم ، من وقع في أسره الى حاكم من حكّام الروم لتأديبهم .

---

١ حمزة ( ص ٨٠ ) .
٢ حمزة ( ص ٨٠ ) .
٣ ديوان النابغة ( ص ٥٤ ) ( بيروت ١٩٢٩ م ) .

وقد طلب ( النابغة ) في شعره في وصف هذه الغارة من ( حصن بن حذيفة) سيد ( ذبيان ) ومن ( ابن سيّار ) فك من وقع أسراً من النساء دفعاً للخزي والعار من وقوعهن أسيرات في أيدي العضاريط من الأتباع والأجراء .

ونجد النابغة يحذّر ( النعمان ) من غزو ( بني حُن بن حرام ) ، وينصحه بعدم التورط في قتالهم ، لأنهم أناس محاربون صعاب . فلما أبى إلا قتالهم، بعث النابغة الى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم أن يمدوا بني حُن ، ففعلوا . فلما غزاهم النعمان ، هزم بنو حُن وبنو ذبيان جمعه ، وحازوا ما معهم من الغنائم ، فقال النابغة في ذلك شعراً منه :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حُنٍ ببرقة صادر
تجنب بني حُنٍ فان لقاءهم كريه، وإن لم تلق إلا بصابر

فهو يعاتب بذلك النعمان ، ويذكره بعدم اهتمامه بنصحه له ، وتخويفه اياه من عاقبة هذه الغارة [1] .

وكان في جملة ما قاله النابغة عن بني حُن بن حرام ، وهم من عذرة ، انهم كانوا قد منعوا ( وادي القرى ) عن عدوهم ومن أهله وحموه منهم ، وهو كثير النخل ، فتمنّعوا بثمره ، وطردوا ( بَليّاً ) ، وهم من ( بني القين ) وهم أصحابه من هذا الوادي ، واستولوا على نخيلهم ، ونفوهم الى غير بلادهم، وهم الذين ضربوا أنف الفزارى ، وهم الذين منعوها من قضاعة كلها ومن ( مُضرّ الحمراء ) ، وقتلوا الطائي بالحجر عنوة ، ويريد به ( أبا جابر الجلاّس ابن وهب بن قيس بن عبيد ) ، وكان ممن اجتمع عليه جديلة طيء . ومثل هؤلاء قوم لا يغلبون [2] .

ويظهر من شعر للنابغة ان ( النعمان ) كان قد غزا تميماً وقيس وائل ، وانه أوجعهم ، وقد غزاهم في الربيع [3] .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح ( النعمان ) هذا ، منها أبيات استهلها بقوله :

---

١ ديوان النابغة ( ص ٦٠ وما بعدها ) ( بيروت ١٩٢٩ م ) .
٢ ديوان النابغة ( ص ٦٠ وما بعدها ) .
٣ ديوان النابغة ( ص ٨٢ ) .

واللهِ واللهِ لنعم الفتى إذ أعرجُ، لا النكسُ ولا الخامل[1]

وقد أدرك النابغة أجل ( النعمان بن الحارث بن أبي شمر ) ، اذ مات مقتولاً فرثاه بقصيدة ، يظهر منها انه كان يكنى بـ( أبي حجر ) ، وانه قبر في موضع يقع بين ( بصرى ) و ( جاسم )[2] .

وقد غزا ( النعمان ) العراق ، ولا يستبعد ( نولدكه ) أن يكون هو الذي قصده المؤرخ (ثيوفلكتوس) حين تحدث عن غزوٍ قام به عرب الروم على العراق في زمن الصلح أي حوالي سنة ( ٦٠٠ م )[3] .

وقد مدح النابغةُ ( النعمان بن الحارث الأصغر ) في القصيدة التي تبدأ بقوله :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو اننا نستطيعها[4]

ورثى ( النابغة ) النعمان في قصيدة جاء فيها ان شيبان وذهلاً وقيس بني ثعلبة وتميماً سُرّوا بوفاته ، لأنهم أمنوا بذلك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم[5]. ويظهر من شعر النابغة فيه انه كان محارباً يغزو القبائل ، ولذلك هابته . وقد بكاه بقوله :

بكى حارث الجولان من فقد ربه وجوران منه خاشع متفائل[6]

وذكر ( ابن قتيبة ) ان النابغة لما صار الى غسان ، انقطع الى ( عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني ) والى أخيه ( النعمان بن الحارث ) ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغمّ ذلك النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وبلغه ان الذي قُذف به عنده باطل ، فبعث اليه من يسأله أن يعود ، فاعتذر النابغة في شعر ، وقدم عليه مع زبّان بن سيّار ومنظور بن سيار الفزاريين ، وقبل عذره ورحب به[7] .

---

١ ديوان النابغة ( ص ٩٠ ) .
٢ ديوان النابغة ( ص ٨٤ ) .
٣ غسان ( ص ٤٢ ) ، Theophylactus, Historiae, 8, I.
٤ البطليوسي ( ص ٥٧ ) .
٥ البطليوسي ( ص ٦٠ وما بعدها ) .
٦ حمزة ( ص ٨٠ )
٧ الشعر والشعراء ( ص ٧٧ ) ( النابغة الذبياني ) .

ثم ملك بعده – على رأي حمزة – الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، وهو على حد تعبيره صاحب ( تدمر ) و ( قصر بركة ) و ( ذات أنمسار ) وغير ذلك[1] .

ثم ملك بعد الأيهم بن جبلة شقيقه المنذر بن جبلة ، وكان ملكه على رواية حمزة ثلاث عشرة سنة[2] .

ثم صار الملك الى شقيقه ( شراحيل بن جبلة ) على رواية حمزة . وكان ملكه خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر[3] .

ثم انتقل الحكم الى ( عمرو بن جبلة ) بعد وفاة ( شراحيل ) وهو على رأي حمزة شقيقه ، وقد حكم عشر سنين وشهرين[4] .

ثم حوّل حمزة الحكم الى (جبلة بن الحارث ) ، بعد وفاة (عمرو بن جبلة). وهو على رأيه ابن أخيه . وجعل حكمه أربع سنين[5] .

ثم صيّر حمزة الملك الى ( جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مارية )، وهو على رأيه آخر ملوك غسان . وكان ملكه ثلاث سنين . وهو الذي كان أسلم ثم تنصر ، ولجأ الى الروم[6] . وقد سرد المسعودي نسبه على هذه الصورة : ( جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم ابن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة )[7]،وسرده على هذه الصورة : ( جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ) في مكان آخر[8] .

وذكره ( ابن عبد ربه ) على هذه الصورة: ( جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني )[9] . وذكر ( الذهبي ) أن الأصل هو ( الأهيم ) ، لا ( الأيهم ) ، وكنّاه بـ ( أبي المنذر ) ، وقال إنه كان ينزل ( الجولان )[10] .

---

١ حمزة ( ص ٨٠ )
٢ حمزة ( ص ٨٠ )
٣ حمزة ( ص ٨٠ )
٤ حمزة ( ص ٨٠ ) .
٥ حمزة ( ص ٨١ ) .
٦ حمزة ( ص ٨١ ) ، المحبر ( ص ٣٧٢ ) ، لسان العرب ( ٩٦/١١ ) .
٧ التنبيه ( ص ١٥٨ ) .
٨ مروج ( ١٠٨/٢ ) ، ( ٣٠/٢ ) ، ( طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ) .
٩ العقد الفريد ( ١٨٧/١ وما بعدها ) ( القاهرة ١٩٣٥ م ) .
١٠ تاريخ الاسلام ، للذهبي ( ٢١٤/٢ ) ( نسخة دار الكتب المصرية ) .

وقد وُصِف بأنه كان طويلاً ، طوله اثني عشر شبراً ، وكان اذا ركب مسحت قدمه الأرض[1] .

وقد ورد اسم ( جبلة بن الأيهم ) في أخبار الفتوحات الاسلامية لبلاد الشأم، إذ ذكر في ( فتوح البلدان ) للبلاذري : أن ( هرقل ) لما سمع بتجمع المسلمين ومقدمهم ( يوم اليرموك ) ، بعث على مقدمته ( جبلة بن الأيهم الغساني ) في مستعربة الشأم من لخم وجذام وغيرهم لمقاتلة المسلمين ، غير أن ( جبلة ) انحاز في القتال الى الأنصار قائلاً : « أنتم إخوتنا وبنو أبينا ، وأظهر الإسلام »[2] . أما الطبري فقد ذكر : أن خالداً لما صار الى ( مرج الصفر ) ، لقي عليه غسان ، وعليهم ( الحارث بن الأيهم )[3] . ولم يشر الى جبلة . فيظهر أن وهماً في الاسم قد وقع للرواة ، فصار ( جبلة ) عند بعض ، وصار ( الحارث ) عند بعض آخر ، ولعل مرده الى سهو وقع من النساخ .

ولحسّان بن ثابت شعر في مدح ( جبلة بن الأيهم ) ، وفي ذكر ملكه وملك ( آل جفنة ) ، يظهر منه شدة تعلقه بهم على بعده عنهم وزوال ملكهم وابتعاده عنهم بالاسلام[4] . وقد أورد المسعودي بعض الأشعار التي مدح حسان بها ( جبلة ابن الأيهم ) منها :

أشهرنهـا فإن ملكك بالشا م الى الروم فخر كل يماني[5]

وقد ورد في رواية من روايات أهل الأخبار أن حسان بن ثابت زار ( جبلة ابن الأيهم ) ، وعنده ( النابغة ) و ( علقمة بن عبدة ) فأنشده شعراً ، فأعطاه ثلاثمئة دينار وعشرة أقصة لها جيب واحد ، في كل عام مثلها . وتذكر رواية أخرى ان الشخص الذي زاره ( حسان ) هو ( عمرو بن الحارث الأعرج ) ، وأنه مدحه فأعطاه ألف دينار مرجوحة ، وهي التي في كل دينار عشرة دنانير[6].

---

١ المعارف ( ص ٢٨١ ) .
٢ فتوح البلدان ( ١٤١ وما بعدها ) ، ( القاهرة ١٩٠١ م ) .
٣ الطبري ( ٢/٤١٠ ) ( دار المعارف بمصر ) .
٤ مروج ( ٢/١٣ ) ( محمد محيي الدين عبد الحميد ) ، البرقوقي ( ٤١٤ وما بعدها ) .
٥ مروج ( ٢/٣١ ) ( طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ) .
٦ الاغاني ( ١٤/٢ وما بعدها ) .

وذُكر ان ( جبلة بن الأيهم ) لما سمع ، وهو ببلاد الروم ، أن حساناً قد صار مضرور البصر كبير السن ، أرسل اليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية اليه ، نظم شعراً في مدحه أوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر ... لم يغـذهم آباؤهم باللـؤم
لم ينسني بالشأم إذ هو ربُّها ... كـلاّ ولا متنصراً بالروم

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضاها معه ومع بقية آل غسان[1].

وقد اتفقت روايات أهل الأخبار في موضوع دخول جبلة في الاسلام ، ثم في ارتداده ، إلا رواية واحدة ذهبت الى انه لم يسلم . وقد ذهب أكثرهم في سبب ردته الى ان أعرابياً من فزارة وطىء فضل إزار جبلة وهو يسحبـه في الأرض بمكة ، فلطمه جبلة ، فنابذه الأعرابي الى عمر ، فحكم عمر له بالقصاص ، فعدّ جبلة القصاص اهانة له وهو ملك ، ففرّ الى بلاد الروم وارتد بها ، وبقي بها مرتداً حتى وافته منيته[2] . ولكن رواية ( ابن قتيبة ) ، تختلف عن رواية أكثر أهل الأخبار في موضوع المكان الذي كان السبب في ارتداده عن الاسلام، اذ جعلته مدينة ( دمشق ) ، قالت : « وكان سبب تنصره انـه مرّ في سوق دمشق ، فأوطأ رجلاً فرسه ، فوثب الرجل فلطمه ، فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم سيدنا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : البينة ان هذا لطمك . قال : وما تصنع بالبينة ؟ قال : إن كان لطمك لطمته بلطمتك . قال : ولا يقتل ؟ قال : لا . قال : ولا تقطع يده . قال : لا . انما أمر اللهُ بالقصاص ، فهي لطمة بلطمة . فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر »[3] .

ونجد خبر ( ابن قتيبة ) المذكور مدوناً في كتاب ( الطبقات ) لابن سعد ، حيث جاء : « وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وكتب باسلامه الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب،

---

١ البرقوقي ( ص ٣٩١ وما بعدها ) .
٢ مروج ( ٢/٣١ وما بعدها ) ( طبعـة محمد محيي الدين عبد الحميد ) ابـن خلدون ( ٢/٥٨٦ ) ، تأريخ الخميس ( ٢/٦١ ) ، الاغاني ( ١٤/٢ وما بعدها ) .
٣ المعارف ( ص ٢٨١ ) .

فبينما هو في سوق دمشق اذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فلطمه، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبيلة،قال : فليلطمه، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : انما أمر الله، تبارك وتعالى بالقود. قال جبلة : أو ترون اني جاعل وجهي نداً لوجه جدي جاء من عمق ! بئس الدين هذا ! ثم ارتد نصرانياً ! وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشق عليه ، وقال لحسان بن ثابت : أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبلة بن الأيهم ارتد نصرانياً ؟ قال : وحق له ، فقام اليه عمر بالدرة فضربه بها »[1] .

وذكر بعض أهل السيَر والأخبار ، ان الرسول كتب الى جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، كتاباً دعاه فيه الى الاسلام . فلما وصل الكتاب أسلم ، وكتب الى الرسول يعلمه باسلامه[2] . وذُكر أن ( شجاع بن وهب ) انما بعثه رسول الله الى جبلة ، فأسلم[3] ، وأرسل الى رسول الله هدية . وكان ينزل بالجولان[4] .

وتزعم بعض الروايات أنه زار المدينة في خلافة ( عمر ) . وقد عدّ يوم مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاء اليها في موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلها من قبل ، وخرج الناس الى الطرق لرؤية موكبه. وفرح عمر بمجيئه ، وعدّ ذلك توفيقاً من الله للاسلام ، وأكرمه غاية الاكرام . وبعد أن قابل الخليفة ، استأذن منه بالذهاب الى الحج ، فوقع له عندئذ حادث الإزار مع الأعرابي ، ففرّ الى بلاد الروم ، ويقال : انه توفي بالقسطنطينية سنة عشرين من الهجرة[5] . وذكر أنه لما قدم المدينة كان في خمسمئة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة، ولبس تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا خرج ينظر اليه[6] .

وقد ذكر ( البلاذري ) أن ( جبلة بن الأيهم ) حكم بعد ( الحارث بن أبي شمر ) . وروى أنه لما قدم ( عمر ) الشأم سنة (١٧ ) للهجرة ، حدث أن لطم

---

١ طبقات ( ١/٢٦٥ ) .
٢ تأريخ الخميس ( ٢/٦١ ) .
٣ ابن خلدون ( ٢/٢٨١ ) .
٤ تأريخ الاسلام ، للذهبي ( ٢/٢١٤ ) ، ( نسخة دار الكتب المصرية ) .
٥ ابن خلدون ( ٢/٢٨١ ) .
٦ العقد الفريد ( ١/١٨٧ وما بعدها ) ( القاهرة ١٩٣٥ م ) .

( جبلة ) رجلاً من مزينة على عينه ، فأمره عمر بالاقتصاص منه ، فقال : أو عينه مثل عيني ! والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وروى رواية أخرى خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عمر عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر . فلما قال له عمر : ما عندي لك الا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب الى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم[1] .

وتذكر رواية أن ( جبلة بن الأيهم ) عاش في القسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة[2] .

فنحن أمام روايتين بشأن مكان ردة جبلة ، وتجاه رواية عن إسلامه . رواية تجعل ارتداده في مكة ، ورواية تجعل ارتداده بدمشق، ورواية تذكر أنه لم يدخل مطلقاً في الاسلام . ويظهر أن رواية دمشق هي أقرب الى المنطق ، اذ لا يعقل فرار جبلة من مكة الى بلاد الروم بمثل هذه السهولة التي تخيلها أهل الأخبار ، وبينه وبين بلاد الروم مسافات شاسعة ما كان في امكانه قطعها قط والنجاة من تعقب المسلمين له ، لو كان موضع هربه هو مكة . أما دمشق ، فانها قريبة من حدود الروم ، ولدى جبلة فيها وسائل كبيرة تساعده على الهرب .

والرأي عندي أن جبلة ، لم يدخل أبداً في الاسلام ، وانما بقي مع الروم . وغادر بلاد الشأم معهم ، وكان يحارب المسلمين الى جانبهم ، وانتقل بأتباعه ممن بقوا على دينهم الى بلاد الروم فأقاموا بها ، وقد مات هناك ودفن في تلك البلاد. وما هذا الذي روي عن اسلامه وعن زيارته ليثرب ولمكة إلا من قصص القصاص وضعوه فيما بعد .

إنّ ما يذكره أهل الأخبار من ملك ( جبلة ) ، لا يخلو من مبالغة . وما يقال عن ملكه وعن استقبال ( هرقل ) له ، ذلك الاستقبال العظيم ، لا يخلو من مبالغة أيضاً . نعم من الجائز أن الروم قبلوه لاجئاً ، ورحبوا به وساعدوه على أمل استخدامه لمهاجمة المسلمين ، واسترداد بلاد الشأم منهم . غير أننا لا نستطيع أن نوافق على ما ورد في روايات أهل الأخبار من ذلك الوصف الذي ذكروه من احتفال الروم في القسطنطينية ومن المعيشة التي كان يعيشها في عاصمتهم

---

١ فتوح البلدان ( ص ١٤٢ وما بعدها ) .
٢ ابن خلدون ( ٢/٢٨١ ) .

الى حين وفاته[1] . بل لقد شك بعض المستشرقين مثل (نولدكه) حتى في موضوع تملكه وتولية الحكم له على عرب الشأم[2] .

ونجد في خبر فتح دومة الجندل ، رجلاً من غسان كان قد تزعم قومه وجاء في ( طواف من غسان وتنوخ ) لنجدة أهل ( دومة الجندل ) . وقد دعاه ( الطبري ) ، ( ابن الأيهم ) . ولم يشر الى اسمه[3] .

ونجد في ( العقد الفريد ) وصفاً لمجلس ( جبلة ) ولمسكنه في القسطنطينية لا يخلو من مبالغة ، وقد نسب وصفه الى رسول ذكر أن الخليفة عمر كان قد أرسله الى ( هرقل ) ليدعوه الى الاسلام . ويذكر الرسول الموفد أن ( هرقلاً ) هو الذي أشار عليه بزيارة قصر ( جبلة ) فلما ذهب اليه ، وجد على بابه من القهارمة والحجّاب وكثرة الجمع مثل الذي على باب ( هرقل ) ، ثم وصف مجلسه وأرائكه المرصعة بالجواهر ، وغناء الجواري في مجلسه بغناء حسان بن ثابت مما يجعله في ثراء الملوك الحاكمين لا الملوك الفارين[4] .

واسم الرسول المذكور هو ( جثامة بن مساحق الكناني )[5] . ويذكر بعض أهل الأخبار أن الخليفة معاوية أرسل ( عبدالله بن مسعود الفزاري ) الى ملك الروم فوجد عنده ( جبلة بن الأيهم)،فوصف مجلسه وما كان عليه من فاخر الملبس والمأكل والمسكن ، وهو كلام فيه مبالغات وغلوّ في الكلام ، على نمط ما رأيناه في وصف ( جثامة )[6] . وهو يتفق معه في الخبر . والظاهر أن الرواة قد أخطأوا في هذا الخبر ، فنسبوه مرة الى رسول عمر،ونسبوه مرة أخرى الى رسول معاوية.

### ملوك الغساسنة

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة اثنان وثلاثون ملكاً ، ملكوا ستمائة وست عشرة سنة[7] . أما ( المسعودي ) ، فجعل عددهم أحد عشر ملكاً[8] .

---

١ العقد الفريد ( ١/١٨٨ وما بعدها ) .
٢ غسان ( ص ٤٥ ) من النص الالماني ، Provincia Arabia II, S. 174.
٤ الطبري ( ٣/٣٧٨ ) ( خبر دومة الجندل ) .
٣ راجع الوصف في العقد الفريد ( ١/١٨٨ وما بعدها ) .
٥ الاغاني ( ١٤/٢ وما بعدها ) .
٦ الاغاني ( ١٤/٢ وما بعدها ) ، البرقوقي ( ٢٣٤ وما بعدها ) ، ابن قتيبة ، الشعر (٢٢٣) .
٧ حمزة ( ص ٨١ ) .
٨ مروج ( ٢/٣٢ ) ( طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد ) ، ابن خلدون (٢/٢٨١)

وقد رتّب المسعودي أسماء الملوك على هذا النحو : ( الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس ) ، ثم (الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو) ثم ( النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة ) ، ثم ( المنذر أبو شمر بن جبلة بن ثعلبة ) ، ثم ( عوف بن أبي شمر ) ، ثم ( الحارث بن أبي شمر ) ، وكان ملكه حين بعث رسول الله ، ثم جبلة بن الأيهم[1] .

والأسماء المذكورة هي أقل من الرقم المذكور كما نرى بكثير ، إذ هي سبعة فقط ، على حين يجب أن تكون بحسب روايته أحد عشر اسماً .

وفي الذي ذكره حمزة عن مدة حكم الغساسنة ، مبالغة . فلو أخذنا بالعدد الذي ذكره لمجموع حكم ملوكهم ، وهو ست عشرة وستمائة سنة ، لوجب علينا القول بأن ابتداء حكمهم كان حوالي الميلاد . وهو قول لم يقله أحد ، ولا يؤيده أي سند أو دليل . والذي نعرفه أن مدة حكمهم هي دون المدة المذكورة بكثير، كما أن في الترتيب الذي ذكره حمزة لملوكهم تكراراً وزيادات . وهو يخالف ما نراه عند المؤرخين الآخرين الذين تعرضوا لآل غسان .

وتختلف قائمة ( ابن قتيبة الدينوري ) بأسماء ملوك غسان اختلافاً كبيراً عن قائمة ( حمزة ) وعن قائمة ( المسعودي ) . وقد ذكرت فيما مضى أنه جعل ( الحارث بن عمرو ) المعروف بمحرق أول ملك من ملوك غسان ، ثم جعل من بعده الحارث الأعرج، ثم الحارث الأصغر ، ثم النعمان، وهو شقيق الحارث الأصغر .

وقد ذكر أنه كان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين هم : حجر بن النعمان وبه كان يكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . وقال ان فيهم يقول حسان ابن ثابت :

من يغر الدهر أو يأمنه  من قتيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى  جانبي أيلة من عبد وحر[2]

وقال ( ابن قتيبة الدينوري ) : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث، الذي كان النابغة صار اليه حين فارق النعمان بن المنذر، وفيه يقول النابغة :

---

١ مروج ( ٢/٣٠ ) ( طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد ) ، ( ٢/٨٣ وما بعدها )، ( طبعة دار الاندلس ) .

٢ المعارف ( ص ٢٨١ ) .

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة  لوالده ليست بذات العقارب

قال: وكان يقال لعمرو أبو شمر الأصغر ، ومن ولده المنذر بن الحارث ، والأيهم بن الحارث ، وهو والد جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان[1] .

وقد ذكر في كتب السيَر والتواريخ اسم أمير غساني ، هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الذي أرسل الرسول اليه شجاع بن وهب ليطلب اليه الدخول في الاسلام ، وكان ملكه على ما يذكره الأخباريون في الشأم ، وكان له قصر منيف وحجّاب[2] . وذكر الطبري أنه كان ( صاحب دمشق )[3] . وقد أدخله ( محمد بن حبيب ) في جملة ( العرجان الأشراف )[4] . وقد عرف بـ ( الحارث الأصغر ) في شعر لحسان بن ثابت[5] .

وأرى ان الحارث بن أبي شمر هذا هو ( الحارث ) معاصر (جبلة بن الأيهم) الذي أشار حسان اليه .

وقد كان ( حسان بن ثابت ) زار الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان النعمان بن المنذر اللخمي يساميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن الفريعة، لقد نبئت أنك تفضل النعمان عليّ فقال : وكيف أفضله عليك ثم أخذ يشرح تفضيله له على النعمان حتى سرّ الحارث ، ثم عاد حسان فنظم ما قاله نثراً فيه في أبيات زادت من سروره ، وحصل على جوائزه وعطاياه[6] .

وذكر أن حسان بن ثابت كان يفد على جبلة بن الأيهم سنة ، ويقيم سنة في أهله . فقال : « لو وفدت على الحارث أبي شمر الغساني فإنّ له قرابة ورحماً بصاحبي ، وهو أبذل الناس للمعروف ، وقد يئس مني أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعي الى جبلة » . فخرج في السنة التي كان يقيم فيها بالمدينة ، حتى قدم على الحارث ، وقد هيأ له مديحاً . فقال له حاجبه وكان له ناصحاً : « إن الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة . فإياك أن تقع فيه ،

---

١ المعارف ( ص ٢٨١ ) .
٢ السيرة الحلبية ( ٢٥٥/٣ ) ، ( طبعة مصر ) ابن خلدون ( ٣٦/٢ ) .
٣ الطبري ( ٦٥٢/٢ ) ( دار المعارف ) .
٤ المحبر ( ص ٣٠٤ ) .
٥ البرقوقي ( ص ١٨٢ ) .
٦ البرقوقي ( ص ١٨١ وما بعدها ) ، مروج ( ٣١/٢ ) ( طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ) .

فانما يريد أن يختبرك ، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألك عنه ، فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعيبه ، امسح ذكره مسحاً وجاوزه الى غيره » . ثم نصحه بنصائح أخرى تنم عن سلوك الحارث ، وقد أفادته كثيراً . فلما دخل عليه ، حسنت منزلته عنده وصار يدعوه،ثم حباه وأعطاه خمسمئة دينار وكسيّ وألطافاً وعاد الى أهله[1].

ولو صح هذا الخبر ، فانه يدل على ان أمر الغساسنة في هذا الوقت لم يكن واحداً ، وان حكمهم كان قد تبدد وتشتت . وان جبلة بن جبلة كان يحكم على جماعة من غسان ، والحارث بن أبي شمر كان يحكم في الوقت نفسه على جماعة أخرى ، وكل منهما كان يحلّي نفسه بحلية الملك ، ومن يدري فلعل أشخاصاً آخرين كانوا ينازعونهما الحكم أيضاً ، ويحلّون أنفسهم بلقب ( ملك ) ، اللقب الحبيب الذي لم يكن يرتفع في الواقع عن درجة سيد قبيلة أو ( شيخ ) عشيرة في اصطلاحنا في الوقت الحاضر .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل قالوا انه كان قائداً من قواد ( الحارث بن أبي شمر ) ، ودعوه بـ ( النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي ) ، وذكروا أنه أغار على بني فزارة وبني ذبيان ، فاستباحهم ، وسبى سبياً من غطفان . وأخذ ( عقرب ) بنت النابغة الذبياني . فلما سألها ، فانتسبت الى أبيها ، منّ عليها ثم أطلق له سبي غطفان . فلما سمع بذلك النابغة ، مدحه بقصيدة[2] . وسبق أن تحدثت عن ( النعمان بن الجلاح الكلبي ) في أثناء كلامي على الملك ( النعمان بن الحارث ) حين أغار قوم النابغة على أعراب ( النعمان بن الحارث ) بوادي أقر،وكان النابغة قد نهى قومه وحذرهم من التحرش بهم ، فخالفوا رأيه،فأوقع بهم (ابن الجلاح) خسائر فادحة .

وفي ديوإن حسان قصيدة ، مطلعها :

إني حلفت يميناً غير كاذبة  لو كان للحارث الجَفْني أصحاب

يذكر شُرّاحها أنه نظمها في رثاء ( الحارث الجفني ) ، وقالوا إن الحارث

---

١ الاغاني ( ٢/١٤ وما بعدها ) .
٢ الاشتقاق ( ٣١٦/٢ ) ، ديوان النابغة ( ص ٣٢ ، ٤٠ ) .

الجفني المذكور هو الحارث بن أبي شمر الغساني . وقد ذكروا أنه دافع فيها عن هزيمة أدركت الحارث في إحدى حروبه ، فعاد ومن معه بغير أسلاب ولا أسرى بل يظهر من أبياتها أن العدوّ أوقع به فقتل من جمعه ، وقد اعتذر الحارث بأن من معه لم يكونوا من ( جذم غسان ) وإنما كانوا من ( مأشبة الناس ) اي جماعة أوشاب الناس وأوباشهم أي الأخلاط التي تجتمع من كل أوب . ومثل هؤلاء لا تكرثهم الهزيمة ، ولا يبـالون بذلك ، إذ لا أحساب لهم ولا شرف ، فلا عجب ان أصيب بخيبة في هذه المعركة ومعه مثل هؤلاء الناس[1] .

ويظهر من القصيدة المذكورة ، أن الحارث بن أبي شمر ، كان قد توفي قبل ( جبلة بن الأيهم ) . وذلك لرثاء حسان له ولاجماع أهـل الأخبار على ان جبلة عاش أمداً بعد ظهور الاسلام ، وأنه مات في بلاد الروم بعيـداً عن بلاد الشأم وعن أرض آبائه وأجـداده . وبدليل ما ورد في تأريخ الطبري من أن الرسول أرسل شجاعاً بن وهب الى رجل من غسان اسمه ( المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني ) . يدعوه الى الإسلام[2] . وهذا الرجل هو أحد أبناء الحارث المذكور .

وذكر الأخباريون رجلاً آخر من غسان ، دعوه ( عدياً ) ، وقالوا إنه ابن اخت الحارث بن أبي شمر الغساني ، وإنه أغار على بني أسد ، فلقيته ( بنو سعد ابن ثعلبة بن دودان ) بالفرات ، ورئيسهم ( ربيعة بن حذار الأسدي ) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عدياً[3] . وقد سمي ( محمد بن حبيب ) هـذا اليوم الذي وقع فيه القتال ( يوم الفرات )[4] .

وأشار الواقدي الى ملك غساني اسمه ( شرحبيل بن عمرو الغساني ) ، وذكر أنه قتل رسولَ رسولِ الله الى ملك بصرى في مؤتة[5] . ويشك (نولدكه) في نسبة هذا الأمير الى الغسانيين ، وحجته في ذلك أن الواقدي ذكره في موضع آخر مع أخويه ( سدوس ) و ( بر ) ، ونسبه في هذا الموضع الى الأزد . ثم انه لم يكن من عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم[6] .

---

١ البرقوقي ( ص ٢٩ ) .
٢ الطبري ( ٦٥٢/٢ ) ( دار المعارف ) .
٣ الاغاني ( ١٩٩/١١ ) ( طبعة دار الكتب المصرية ) .
٤ المحبر ( ص ٢٤٧ ) .
٥ الواقدي ( ص ٣٠٩ ) ، ( طبعة ولهوزن ) ، السيرة الحلبية ( ٦٦/٣ ) .
٦ غسان ( ص ٤٨ ) .

وأشير في كتب الأدب الى اسم ملك من ملوك ( غسان ) قالوا له (قرص)، لم يذكروا عنه شيئاً ذكروه في حديثهم عن ( عدي ) قالوا : انه ابن ( أخي قرص الغساني ) ، وكان ( عدي ) هذا قد غزا ( بني أسد ) فقتلوه،وأوردوا في ذلك شعراً نسبوه الى الغساني :

لعمرك ما خشيت على عديّ رماح بني مقيـدة الحمار
ولكـني خشيت على عديّ رماح الجن أوايّاك حار[1]

ولم يرد اسم هذا الملك في القوائم التي وضعها المؤرخون أمثال اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن خلدون وأمثالهم لملوك غسان . وعدي المذكور في خبر (قرص)، هو ( عدي ) المتقدم ولا شك .

وقد وفد ( حسان بن ثابت ) على ( عمرو بن الحارث ) ، فاعتاص الوصول اليه ، فلما طال انتظاره ، قال للحاجب : « إن أذنت لي عليه ، وإلاّ هجوت اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم » . فأذن له ودخل عليه ، فوجد عنده ( النابغة ) وهو جالس عن يمينه ، و ( علقمه بن عبدة ) وهو جالس عن يساره ، فقال له ( عمرو ) : « يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع ، فاني باعث اليك بصلة سنية ، ولا احتاج الى الشعر ، فإني أخاف عليك هـذين السبُّعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي » ثم تلا عليه شعراً مما قاله الشاعران في مدحه . فأبى إلا ان يقول شعراً فيـه ، وطلب من الشاعرين أن يسمحا له بالقول ، فقال فيه قصيدته التي تبدأ بقوله :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل[2]

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع ، منها : (الجوابي) ، أي ( جابية الجولان ) ، و ( البُضيع ) أو ( البصيع ) ، وهو جبل قصير أسود على تل بأرض البلسة فيما بين ( سيل ) و ( ذات الصنمين ) و ( حومل ) و ( مرج الصفرين ) ، وهو موضع بغوطة دمشق ، و ( جاسم ) ، وهي قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الى طبرية . وكل هذه الأماكن التي ذكرها

---

١ ديوان حسان ، ( ص ٢١٩ ) ، ( البرقوقي ) ، ( ص ٧٩ ) ( هرشفلد ) .
٢ ديوان حسان ( ص ٣٠٥ ) ، ( البرقوقي ) .

هي منازل كانت لآل جفنة ، الا انها خربت، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح[1] .

ثم تطرق الى ذكر من كان يناديهم بـ (جلق) ، وهو موضع قيل انه بقرب دمشق ، وقيل انه ( دمشق ) : كيف كانوا كرماء أجواداً يجودون على من يفد عليهم ، لا فرق عندهم بين غني وفقير ، يمشون في الحلل القشيبة المضاعف نسجها ، ويجيرون من يستجير بقبر أبيهم ( ابن مارية الكريم المفضل )، فلا يخاف من عدو ولا يخشى من اعتداء يقع عليه . كلابهم لا تهر ، لأنها ألفت الضيوف وأنست بهم من كثرة تدفقهم عليهم ، يسقون ماءً بارداً من ( البريص) ، ومن ( بردا ) ، وهما نهران بدمشق ، ممزوجاً بالرحيق . ثم تذكر ( قصر دومة ) أي دومة الجندل ، وكيف شرب الخمر في حانوتها من ساق متنطف،أي مُقَرّط وضع القرط في أذنه ، والمنطقة في وسطه[2] .

وجلق كما ذكرت موضع من مواضع الغساسنة ، ويظهر أن سلطان البيزنطيين لم يكن كبيراً عليه . وقد اشتهر ببساتينه وبكثرة أشجار الزيتون به، وبوفرة مياهه وقد تغنى به الشعراء في الاسلام ، فورد ذكره في شعر أبي نواس[3] . وكان الغساسنة يدفنون فيه موتاهم . ولهم ضريح ضم رفات ملوكهم . ومع شهرة المكان فقد اختلف الناس في تثبيت موضعه وتعيينه . والرأي الغالب انه ليس من أطراف دمشق كما ذهب الى ذلك بعض أهل الأخبار[4] .

وقد ترك الروم ساقتهم بـ ( ثنية جلق ) ، وعليها صاحب الساقة ، وذلك ليراقب المسلمين حينما تقدموا لطردهم من بلاد الشام . ولم يرد للغساسنة أي ذكر في الدفاع عن هذا المكان[5] .

ويظهر من نظم هذه القصيدة ، ومن أسلوبها ونَفَسها ، ومن تذكر (حسان) لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن ، ان هذا الشعر هو من الشعر المتأخر،

---

١ ديوان حسان ( ص ٣٠٧ ) ، ( البرقوقي ) ، ( ص ٣٢ ) ، ( هرشفلد ) .
٢ البرقوقي ( ص ٣٠٨ وما بعدها ) .
٣ اللسان ، مادة ( جلق ) ، البلدان ، ( جلق ) .
٤ الموسوعه الاسلامية ( ٨٦/٧ ) ، الاغاني ( ٢/١٤ ) اللسان ( ٣٦/١٠ ) .
٥ الطبري ( ٣٩٢/٣ ) .

ولا أستبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك (الغساسنة) ، وقد أنشده أمام أحد الغساسنة المتأخرين ، ولم يكن ملكاً بالمعنى المفهوم من الملك .

وقد رثى حسان بن ثابت رجلاً من غسان قتله كسرى ، ولم يذكر اسمه ، ولا الأسباب التي حملت كسرى على قتله ، ولا الأحوال التي قتل فيها[1] . ويظهر من سياق الشعر الذي رثي به ذلك القتيل أن هذا القتيل قد وقع بعد أفول نجم آل غسان وادبار الدنيا عنهم . ولعلّه كان قد قتله بعد احتلال الفرس لبلاد الشأم. فكان هذا الغساني من المعارضين للفرس المناوئين لهم ، ولذلك قتلوه في فترة احتلالهم لها .

وقد أشار ( أبو الفرج الأصبهاني ) الى أمير غساني سمّاه : ( يزيد بن عمرو الغساني ) ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم[2] . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث الى ( النعمان الغساني ) ، على حين تنسبه روايات ثالثة الى آل لخم ويرجح نولدكه الرأي الأخير[3] .

وقد ورد في شعر لحسان بن ثابت هجاء لـ ( سلامة بن روح بن زنباع الجذامي ) ، وكان يلي العشور للروم . ولا بد أن يكون ذلك في أيام الغساسنة المتأخرين . وقد شبهه بـ ( دمية في لوح باب ) ، أي كأنه صورة مصورة ، أو صنماً معلقاً على لوح باب[4] .

ومن الأماكن التي وردت في شعر ( حسان بن ثابت ) على أنها من مواضع الغساسنة ( الجواء ) و ( عذراء ) ، وهما موضعان بالشأم بأكتاف دمشق . والى ( عذراء ) هذه يضاف ( مرج عذراء ) ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ، لذلك ذكرها ( حصان ) في شعره[5] . وذكر كذلك ( بطن جلّق ) و ( البلقاء ) ، و ( المجبس ) و ( السند ) و ( بُصْرى ) و ( جبل الثلج )[6].

أما ما يفهم من شعر ( حسان ) وغير حسان من شمول ملك الغساسنة مدينة

---

١ البرقوقي ( ص ٣٨٧ وما بعدها ) .
٢ الاغاني ( ١٠/ ٢٨ وما بعدها ) .
٣ غسان ( ص ٤٨ ) .
٤ البرقوقي ( ص ٢١٩ ) .
٥ البرقوقي ( ص ١ وما بعدها ) .
٦ البرقوقي ( ص ١١٠ ) .

( دمشق ) أو تجاوزها ومن وصوله مواضع قريبة منها أو ملتصقة بها ، فيجب أن نحمله محمل المجاز أو محمل مبالغات الشعراء في التفاخر والتباهي والمدح . فإذا استثنينا هذا الشعر لا نجد أي مورد تأريخي يقول باستيلاء الغساسنة على ( دمشق) أو على مواضع متصلة بها . وكل ما نعرفه من الموارد التأريخية أن سلطانهم كان على أطراف بلاد الشأم ، أي على المواضع التي رأى الروم أن من الأصلح لهم تركها الى أمراء غسان ، لصعوبة ضبطها من الوجهة العسكرية بالنسبة اليهم . ولعل ما يذكره أولئك الشعراء هو تعبير عن قصور وأملاك اشتراها ملوك الغساسنة وأمراؤهم في ( دمشق ) وفي مواضع حضرية أخرى لقضاء بعض الوقت فيها كما يفعل الأمراء في الزمن الحاضر من شراء بيوت وقصور في لبنان وفي اوروبة يقيمون فيها بعض الوقت للتسلية والراحة . فزارهم فيها أولئك الشعراء ، ووصفوها وصفاً شاعرياً ، صوّر الشأم وما حولها كأنها ملك من أملاك الغساسنة .

لقد كان ( آل جفنة ) كلهم على النصرانية عند ظهور الاسلام ، وكانوا أصحاب دين وعقيدة، يدافعون عن مذهبهم كما رأينا . وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرعيتهم . وقد أشير الى رجل عرف بـ ( أرطبان المرني ) ، قيل انه كان ( شماساً ) في ( بيعة غسان )[1] ، مما يدل على انها كانت بيعة خاصة بآل غسان .

وقد نسب بعض أهل الأخبار أماكن أخرى الى الغساسنة ، وذلك بالاضافة الى الأماكن التي سبق ان تحدثت عنها . ومن هذه الأماكن : صفين . وقد زعموا ان منزل ( جبلة بن النعمان ) كان به . وقد كان في الوقت نفسه صاحب عين أباغ[2].

ومن الأماكن المنسوبة الى الغساسنة موضع ( حارب ) . وقد ورد اسمه في شعر ينسب الى النابغة حيث يقول :

لئن كان للقبرين قبر بجلق  وقبر بصيداء التي عند حارب[3]

وورد ( قصر حارب ) . وقد نسبه (حمزة) الى النعمان بن عمرو بن المنذر[4] .

---

١ الاصابة ( ١٠٢/١ ) .
٢ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الاول ، ( ص ٥٨٦ ) .
٣ البلدان ( ١٨٣/٢ ) ، البكري ، معجم ( ٤١٧/١ ) ، المعاني الكبير ( ١٠١٥/٢ )
٤ حمزة ( ص ٧٩ ) ، الهمداني ، صفة ( ص ١٧٩ ) .

ويذكر أهل الأخبار ( السويداء ) في جملة الأماكن التابعة للغساسنة . وقد رجع ( حمزة ) بناءها الى ( النعمان بن عمرو بن المنذر )[1] . وتقع في (حوران)[2] .

والرصافة من المواضع المهمة عند الغساسنة ، ففيها مشهد القديس (سرجيوس) وهو من القديسين الجليلين عند الغساسنة ، وكانوا يتبركون بزيارة قبره،ويتقربون اليه بالهدايا والنذور . وكان لآل جفنة مساكن فيها ، وقد قاموا باصلاح ما كان يتهدم منها ، فقام ( النعمان بن الحارث بن الأيهم ) باصلاح وترميم صهاريج المدينة . وكان ( النعمان بن جبلة ) فيمن أقام بها[3] .

أما حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك ، وتغيّرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والامارات التي تكوّنت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولنفوذ القبائل الفتية القوية التي تطمع في ملك الإمارات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفي رؤسائها دعة أو حزماً . ولهذا نجد ملك الغساسنة يتوسع ويتقلّص بحسب الظروف فيصل الى مقربة من دمشق،والى فلسطين الثانية و ( الكورة العربية ) و ( فلسطين الثالثة ) و ( فينيقية لبنان ) . والى ولايات سوريا الشمالية في بعض الأحيان[4] . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير،لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان ابن ثابت ان ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى ( خليج العقبة )[5] .

وتعدّ منطقة الجولان من أشهر مناطق الغساسنة . وقد ورد ذكرها في الشعر العربي ، وفيها قُبر بعض الأمراء الغسانيين . وهي من الأرضين التابعة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الاداري عند الروم،وبها كان في الغالب مقر آل غسان[6]. وقد اشتهرت ( الجابية ) بأنها كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ،

---

١ حمزة ( ص ٧٩ ) .
٢ الحموي ، المشترك ( ص ٣١١ ) ، مراصد الاطلاع ( ٢/٧٠ وما بعدها ) .
٣ البلدان ، مادة الرصافة ، البكري ، معجم ، الرصافة .
٤ غسان ( ص ٥١ ) .
٥ المشرق ، السنة الاولى ، حزيران ١٨٩٨ م ( ٤٨٥ ) .
٦ غسان ( ص ٥١ وما بعدها ) ، John of Ephesus, 4, 22.

كما عرفت أيضاً بجابية الجولان[1] .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر المشتى الذي نقلت بعض أحجار جدرانه المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين ، هو من القصور التي أنشأها الغساسنة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة في البادية .

وفي ( البرج ) عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « البطريق الشريف والأمير المنذر » . ويدل ذلك على أنه من آثار ( المنذر ) . أما بقية المواضع ، وهي عديدة منتشرة في أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

**أمراء غساسنة :**

وذكر الأخباريون أميراً جفنياً دعوه ( جفنة بن النعمان الجفني ) ، قالوا إنه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى الى البحرين ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وذكروا أنه هو الذي عناهُ عديّ بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

سما صقرٌ فأشعل جانبيها وألهاك المروّح والغزيب[2]

وذكر ( أبو حنيفة الدينوري ) اسم رجل من غسان ، دعاه ( خالد بن جبلة الغساني ) ، قال عنه : « قالوا : وإن خالد بن جَبَلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا منذرين ، ونُعمانين ، فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان ، وكان عمّال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر الى كسرى أنو شروان يخبره بما ارتكبه منه خالد بن جبلة »[3] . وقد ذكره في موضع آخر ، في أثناء كلامه على ذهاب ( كسرى ) الى قيصر ، إذ قال : « وسار كسرى حتى انتهى الى اليرموك ، فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر »[4] .

---

١ Ency., I, P. 1029.

٢ الاغاني ( ١١٧/٢ وما بعدها ) ، ( طبعة دار الكتب ) .

٣ الاخبار الطوال ( ص ٦٨ ) .

٤ الاخبار الطوال ( ص ٩١ ) .

وقد مدح حسان بن ثابت الأنصاري أميرين من أمراء غسان ، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من ( جبل الثلج ) حتى جانبي ( أيلة ) ، وانهما غزوا أرض فارس[1] . ويرى ( نولدكه ) احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذي كُنّي بأبي حجر[2] .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن عمراً المذكور في هذه الأبيات هو عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث . وأما حجر ، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر[3] . والذي يتبين من هذه القصيدة أن الملكين المذكورين حكما في زمن واحد ، وغزوا مشتركين أرض فارس ، ويقتضي ذلك أن يكونا قريبين ، كأن يكونا أباً أو ابناً ، أو أخوين ، أو أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم الى جملة ( مشيخات ) .

ويرى ( ابن الأثير ) أن : أبا جبيلة عبيد بن مالك بن سالم ، وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، لم يكن من آل غسان ، وانما كان من ( بني غضب بن جشم بن الخزرج ) ، ذهب الى غسان فصار عظيماً عند ملكهم ، مطاعاً بينهم ، واليه ذهب ( مالك بن العجلان الخزرجي ) مستجيراً به من يهود يثرب ، فأنجده وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً الى غسان[4] .

ولعل ( أبا جبيلة الغساني ) ، الذي ذهب اليه الشاعر الجاهلي ( الرمق بن زيد ابن غنم )[5] ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويتبين من شعر للأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغساسنة ، وصحب ملوكهم في ديار الشأم[6] ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : «اليك ابن جفنة»[7] ،

---

١ من يغر الدهر أو يأمنه ... من قبيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى ... جانبي أيلة من عبد وحر
الاغاني ( ٣/١٦ ) ، ( طبعة دار الكتب المصرية ) ، البرقوقي ( ص ٢٠٥ ) .

٢ غسان ( ص ٤٤ ) .

٣ الاغاني ( ٣/١٦ ) ، ( طبعة دار الكتب المصرية ) .

٤ الكامل ، لابن الاثير ( ١/٢٧٦ ) .

٥ البيان ( ١/٢٣٨ ) .

٦ وصحبنا من آل جفنة أملاكا ... كراما بالشام ذات الرفيف
ديوان الاعشى ( ص ٣١٥ ) ، ( طبعة الدكتور م . محمد حسين ) ، ( ص ٢١١ ) ( طبعة كاير ) (Geyer) ، القصيدة رقم ٦٣ ، البيت ١٣ .

٧ اليك ابن جفنة من شقة ... دأبت السرى وحسرت القلوصا
القصيدة ٣١ ، البيت العاشر ، ديوان الاعشى ( ص ٢٠٧ ) ، ( طبعة م. محمد حسين ) ، (١٣٩) ، ( طبعة كاير ) ، (Geyer)

غير أنه لم يذكر اسمه .

ووصل الينا اسم أمير من غسان ، هو ( الشيظم بن الحارث الغساني ) ، قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق أو بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت الملك ، ومكث أمداً متنكراً ، حتى وافق غيرة من القوم، فركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض، حتى نزل بحيّ من ( بهراء ) فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورمحاً وسيفاً وخرج حتى أتى الشام فصادف الملك متبدّياً ، فأتى قبته ، وقصّ قصته، فبعث الى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم[1] .

**قوائم ملوك الغساسنة :**

ولا بد لي ، وقد انتهيت من الكلام على الغساسنة ، من الاشارة الى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت اذا درست هذا الذي رووه عنهم ، وحللته تحليلاً علمياً لا تخرج منه الا بنتائج تأريخية محدودة ضيقة تريك انهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم الا القليل ، وانهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة ، وما عداها فتكرار واعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت اذا راجعت التواريخ مثل تأريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التأريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك الى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم ، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التي قيل فيها . فلولاه ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

وحتى القوائم ، وهي جافة في الغالب ، لا تستند أيضاً الى علم بالرغم من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه اظهاره لنا بمظهر الواقع والحق . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها . ولا اعتمادنا عليها . وقد اعتمد

---

١ النوادر ، للقالي ( ص ١٧٩ ) ، ( خبر الشيظم الغساني ونزوله بملك الشام مستجيرا ) .

أكثر من رتّب أسماء أمراء الغساسنة على رواية ( ابن الكلبي ) ، غير أنهم كما يظهر من مدوّناتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نقصوا منها وحرّفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى، واستعان بعض آخر بما رواه ( ابن الكلبي ) وبما رواه غيره وأضافوا اليه ما عرفوا من أسماء المذكورين في الشعر ، وهم من سادات قبيلة ( غسان ) ، ولم يكونوا كلهم ملوكاً ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها،وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين في المحاكمات وفي منطق التأريخ .

وقد درس ( نولدكه ) معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها ، وقارن الحاصل بما وجده في الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبوكرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

النعمان بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر .

الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر .

أبو حجر النعمان . بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤ م .

عمرو .

حجر بن النعمان .

؟ ؟ ؟ ؟

جبلة بن الأيهم . حوالي سنة ٦٣٥ م .

ورتب ( ابن قتيبة الدينوري ) ، أسماء ملوك الغساسنة على هذا النحو :

الحارث بن عمرو بن محرق ، وهو ( الحارث الأكبر )،ويكنى ( أبا شمر ).

الحارث بن أبي شمر ، وهو ( الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ) . وأمه ( مارية ذات القرطين ) .

الحارث بن الحارث بن الحارث . وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر .

وكان له أخوة ، منهم : النعمان بن الحارث . وهو والد ثلاثة بنين : حجر ابن النعمان ، وبه كان يُكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان .

ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر . ومن ولده : المنذر بن المنذر والأيهم بن الحارث . وهو أبو ( جبلة ابن الأيهم ) ، وجبلة آخر ملوك غسان[1] .

وأما المسعودي ، فيرى أن عدة من ملكوا من آل غسان أحد عشر ملكاً ، ذكر منهم :

١ ــ الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن ماس ( مازن ) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .

٢ ــ الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمر .

٣ ــ النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .

٤ ــ المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .

٥ ــ عوف بن أبي شمر .

٦ ــ الحارث بن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث رسول الله .

٧ ــ جبلة بن الأيهم[2] .

وذكر المسعودي ، أن جميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً . ولم يذكرهم في قائمته كلهم[3] .

أما ملوك ( الغساسنة ) ، على ما جاء في ( كتاب المحبر ) ، فانهم على هذا النحو : ( ثعلبة ) ، فابنه ( الحارث ) ، فابنه ( جبلة ) ، فابنه ( الحارث ) وهو المعروف بـ ( ابن مارية ذات القرطين ) ، و ( النعمان بن الحارث ) ، و ( المنذر ) ابنه ، و ( المنيذر بن الحارث ) ، و ( جبلة بن الحارث ) ، و ( أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن جفنة ) ، و ( الحارث الأعرج بن أبي شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف بن

---

١ المعارف ( ٦٤٢ وما بعدها ) ، ( طبعة ثروت عكاشة ) .
٢ مروج ( ٨٢/٢ وما بعدها ) ، ( دار الاندلس ) .
٣ مروج ( ٨٦/٢ ) ، ( دار الاندلس ) .

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحسحاس ) وهو ( حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد ) وليس بجفني ، ولكن أمه جفنية، فلم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم ( جبلة بن الأيهم بن جبلة ) ، وهو الذي اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب[1] .

وجاء ترتيب ملوك الغساسنة في التعليقات التي طبعها ( هرشفلد ) مع ديوان (حسان) على هذا النحو : « كان أول من ملك من غسان : الحارث بن عمرو ابن عدي بن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو، وهو أبو شمر الأكبر ثم الحارث بن الحارث بن أبي شمر ، فالحارث الأصغر بن الحارث الأوسط وهو الأعرج ، فالنعمان بن الحارث ، فجبلة بن الأيهم ، وهو الذي أدرك الاسلام »[2] .

**قائمة حمزة :**

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان،القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتتألف من :

١ ــ جفنة بن عمرو المعروف بمزيقياء .
٢ ــ عمرو بن جفنة .
٣ ــ ثعلبة بن عمرو .
٤ ــ الحارث بن ثعلبة .
٥ ــ جبلة بن الحارث .
٦ ــ الحارث بن جبلة .
٧ ــ المنذر بن الحارث .
٨ ــ النعمان بن الحارث .
٩ ــ المنذر بن الحارث .
١٠ــ جبلة بن الحارث .
١١ــ الأيهم بن الحارث .

---

١ المحبر ( ص ٣٧٢ ) .
٢ ديوان حسان ( ص ٩٦ ) ، ( هرشفلد ) .

١٢ – عمرو بن الحارث .
١٣ – جفنة بن المنذر الأكبر .
١٤ – النعمان بن المنذر الأكبر .
١٥ – النعمان بن عمرو .
١٦ – جبلة بن النعمان .
١٧ – النعمان بن الأيهم .
١٨ – الحارث بن الأيهم .
١٩ – النعمان بن الحارث .
٢٠ – المنذر بن النعمان .
٢١ – عمرو بن النعمان .
٢٢ – حجر بن النعمان .
٢٣ – الحارث بن حجر .
٢٤ – جبلة بن الحارث .
٢٥ – الحارث بن جبلة ( ابن أبي شمر ) .
٢٦ – النعمان بن الحارث ( أبو كرب ) .
٢٧ – الأيهم بن جبلة بن الحارث .
٢٨ – المنذر بن جبلة .
٢٩ – شراحيل بن جبلة .
٣٠ – عمرو بن جبلة .
٣١ – جبلة بن الحارث .
٣٢ – جبلة بن الأيهم .

وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التي نقل منها ابن خلدون مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي[1] . واكثر اعتماده في النقل على الطبري .

---

١ ابن خلدون ( ٢/٢٥٩ وما بعدها ) .

وقد اكتفى ابن خلدون بالنبذ التي أخذها من هذه الموارد ولم يُبدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسنة ، كما ذكرتها الموارد التي أخذ منها ، أو نقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتقيد بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بثعلبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليح . وتنتقل بالملك من ثعلبة الى ابنه الحارث ابن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض النسابين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شمر ، ثم عمرو ابن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة[1] .

وقد ناقش نولدكه في كتابه عن آل غسان هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها في التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكّن من الحصول عليها، وأظهر ما فيها من خلل ونقص في نهاية ذلك البحث[2] .

---

١ ابن خلدون ( ٢/٢٨٠ ) .

٢ ( ص ٥٨ وما بعدها ) من النص العربي ، ( وصفحة ٥٣ ) من النص الالماني .

## الفَصْلُ الحَادي وَالأربَعُون

# العرب والحبش

صلات العرب بالحبشة صلات قديمة معروفة ترجع الى ما قبل الميلاد . فبين السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصال وثيق قديم ، وتبادل بين السكان . اذ هاجر العرب الجنوبيون الى السواحل الافريقية وكوّنوا لهم مستوطنات هناك ، وهاجر الأفارقة الى العربية الجنوبية ، وحكموها مراراً ، وقد كان آخر حكم لهم عليها قبل الاسلام بأمد قصير .

ويرى بعض الباحثين ان أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال، وفي اليمن جبل يسمى جبل (حُبَيْش) ، قد يكون لاسمه صلة بالحبش الذين هاجروا الى افريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم، أي (حبشت) أو الحبشة[1] .

ويرون أيضاً ان (الجعز) أو (جعيزان) كما يدعون كذلك ، هم Cesani الذين وضع (بليني) منازلهم على مقربة من (عدن) . فهم من أصل عربي جنوبي . هاجر الى الحبشة وكوّن مملكة هناك[2] . والى هؤلاء نسبت لغة الحبش، حيث عرفت بالجعزية ، أي لغة الجعز[3] .

---

١ Beiträge, S. 75, 119, Conti Rossini, in Expeditions et Possessions des Habasat en Arabie, Journal Asiatique, 1921, P. 5, Die Araber, I, S. 114, E. Littmann, in : Handbuch der Orietalistik, III, 2-3, 350, 376.

٢ Die Araber, II, S. 274.

٣ Die Araber, I, S. 114.

ويظن ان العرب الجنوبيين هم الذين موّنوا السواحل الافريقية المقابلة بالعناصر السامية . وكانوا قد هاجروا مراراً اليها،ومن بين تلك الهجرات القديمة ، هجرة قام بها السبئيون في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد هاجر معهم (الحبش) في ذلك الوقت أيضاً . وقد توقف سيل الهجرات هذه حين تدخل ( البطالمة ) في البحر الأحمر،وصار لهم نفوذ سياسي وعسكري على جانبي هذا البحر. غير أنها لم تنقطع انقطاعاً تاماً ، إذ يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا قد دخلوا الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة فيما بعد الميلاد أيضاً ، فنزحوا اليها فيما بين السنة (٢٣٢) والسنة (٢٥٠) بعد الميلاد مثلاً ، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك[١] .

وقد تبين أن السبئيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم ( تعزية ) Ta'izziya من أرض ( أريتريا ) ونجد الحبشة ، وكوّنوا لهم حكومة هناك . وأمدوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العربية الجنوبية[٢] . ولم يقطع هؤلاء السبئيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت أنظارهم متجهة نحوه في تدخلهم وهم في هذا الوطن بشؤونه وارسالهم حملات عليه واحتلالهم له في فترات من الزمن . ولعلّ ما جاء في أحد النصوص من ( مصر ) الحبشة ، قصد به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من إفريقية[٣] .

وفي القرن السادس قبل الميلاد،كان الأوسانيون قد نزحوا الى السواحل الافريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ Pemba ولـ ( زنزبار ) Zanzibar وهي ( عزانيا ) Azania ، وتوسعوا منها نحو الجنوب . وقد عرف هذا الساحل في كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » ، باسم Ausaniteae ، وهو اسم يذكرنا بـ ( أوسان ) . وقد ذكر مؤلف الكتاب ، أنه كان خاضعاً في أيامه ( القرن الأول بعد الميلاد ) ، لحكّام Mapharitis[٤] . ويريد بهم حكام دولة ( سبأ وذو ريدان )[٥] .

وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من

---

١ Die Araber, I, S. 126.
٢ Arabien, S. 25.
٣ Glaser 1076, Arabien, S. 25.
٤ Periplus Maris Erythraei, 22, Arabien, S. 25.
٥ Arabien, S. 25.

(أكسوم ) ، وإذا به كتب بالسبئية ، وفيها اسم الإلهـة السبئية ( ذت بعدن ) ( ذات بعدن ) ( ذات البعد ) وعثر على بقايا أعمدة في موضع ( يحا ) الواقع شمال شرقي ( عدوة ) Adua ، تدل على وجود معبد سبئي في هـذا المكان ، كما عثر على مذبح سبئي خصص بالإلـه ( سن ) ( سين ) . وعثر على كتابات وأشياء أخرى تشير كلها الى وجود السبئيين في هذه الأرضين[1] .

وعرف ملك الحبش بـ ( النجاشي ) عند العرب . واللفظة لقب تطلقه العربية على كل من ملك الحبشة ، فهي بمنزلة ( قيصر ) ، اللفظـة التي يطلقها العرب على ملوك الروم ، و ( كسرى ) التي يطلقونها على من حكم الفرس ، و (تبع) التي يطلقونها على من يحكم اليمن . أما في العربية الجنوبية ، فقد أطلقت لفظـة ( ملك ) على من ملك الحبشة . وقد ورد ( ملك اكسمن )،أي (ملك اكسوم) وورد ( ملك حبشت ) ، أي ملك الحبشة . فأخذ العرب اللفظـة من الحبش . وهي في الحبشية بمعنى جامع الضريبة ، والذي يستخرج الضريبة ، فهي وظيفة من الوظائف في الأصل ، ثم صارت لقباً[2] . وورد في بعض النصوص العربية الجنوبية اذ لقب به ( جدرة ) مثلاً[3] .

ويظن ان مملكة ( أكسوم ) التي ظهرت في أوائل أيام النصرانية ، قد كانت دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد . وقد استطاع الباحثون من العثور على عدد من الكتابات تعود الى ملوك هذه المملكـة ، دوّن بعض منها باليونانية مما يدل على تأثر ملوك هذه المملكة بالثقافة اليونانية وعلى وجود جاليات يونانية هناك نشرت ثقافتها في الحبشة . وقد عرفت هذه المملكة بمملكة ( أكسوم ) (اكسمن) نسبة الى عاصمتها مدينة ( اكسم ) ( أكسوم )[4] .

وقد كان ملوك أكسوم وثنيين . بقوا على وثنيتهم الى القرن الرابع أو ما بعد ذلك للميلاد . ويظن ان الملك ( عزانا ) Ezana وهو ابن الملك ( الاعميـدا ) Ela-Amida ، هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود الى عهده ، ترينا القديمة منها أنه كان وثنياً ، وترينا الحديثة منها

---

١ Handbuch, I, S. 34.
٢ Die Araber, II, S. 293.
٣ Die Araber, I, S. 115, II, S. 295.
٤ Die Araber, I, S. 114.

أنه كان نصرانياً ، مما يدل على أنه كان وثنياً في أوائل أيام حكمه ، ثم اعتنق النصرانية ، فأدخل شعارها في مملكته ، وذلك بتأثير المبشرين عليه[1] .

وفي جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش ، هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي . وقرب لغة الكتابة والتدوين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية . وبعض الخصائص اللغوية والنحوية التي تشير الى أنها قد أخذت من تلك اللهجات . ثم عثور العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال . ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الافريقيين بالثقافة العربية الجنوبية،أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات .

وكما تدخل العرب في شؤون السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، فقد تدخل الافريقيون في شؤون السواحل العربية المقابلة لهم . لقد تدخلوا في أمورها مراراً . وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها الى مسافات بعيدة في الداخل حتى بلغوا حدود نجران .

ويظهر من الكتابات الحبشية ، أن الحبش كانوا في العربية الجنوبية في القرن الأول للميلاد . وقد كانوا فيها في القرن الثاني أيضاً . ويظهر أنهم كانوا قد استولوا على السواحل الغربية ، وهي سواحل قريبة من الساحل الافريقي ومن الممكن للسفن الوصول اليها وانزال الجنود بها . كما استولوا على الأرضين المسماة بـ Kinaidokolpitae في جغرافية ( بطلميوس )[2] .

وورد في نص من النصوص الحبشية ، أن ملك ( أكسوم ) ، كان قد أخضع السواحل المقابلة لساحل مملكته ، وذلك بارساله قوّات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من الـ (Arrhabite) ( الأرحب ) ( الأرحبية ) (أرحب)[3] والـ Kinaidokolpite ، وأجبرتهم على دفع الجزية ، وعلى العيش بسلام في البر

---

١ Handbuch, S. 34, D.H. Müller, Epigraph., S. 37, 44, Aksum Expedition, 1913, BD., IV, S. 32.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ ( أرحب : حي أو مكان . وفي المعجم : أنه مخلاف باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان ) ، ( أرحب : بلد على ساحل البحر بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ ) ، تاج العروس ( ٢/٤٩٢ ) ، ( طبعة الكويت ) ، ( رحب ) .

وفي البحر . ويرى بعض الباحثين أن المراد بـ (Arrhabite) بدو الحجاز . وأن Kinaidokolpite ، هم ( كنانة ) . وأن السواحل التي استولى الأحباش عليها تمتد من موضع ( لويكه كومه ) Leuke Komé ( القرية البيضاء ) الى أرض السبئيين[1] .

ويرى ( فون وزمن ) أن احتلال الحبش لأرض Kinaidokolpitae ، الأرض المسماة باسم قبيلة لا نعرف من أمرها شيئاً ، والتي ورد اسمها في كتابة Monumentum Adulitanum فقط وفي جغرافية ( بطلميوس ) ، كان قبل تدوين تلك الكتابة وربما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . ويراد بها ساحل الحجاز وعسير من ينبع Ianbia في الشمال الى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي شمال ( وادي بيش ) ، فشملت الأرض المذكورة والتهائم والساحل كله[2] .

غير اننا نجد أن مؤلف كتاب ( الطواف حول البحر الأريتري ) يشير من جهة أخرى الى أن الساحل الافريقي المسمى بـ (تنجانيقا) في الوقت الحاضر كان في أيدي الحميريين في ذلك الوقت[3] . ومعنى ذلك ان ملك حمير استطاع في أيام ذلك المؤلف من الاستيلاء على ذلك الساحل ومن ضمه الى ملكه . كما فعل أهل حضرموت وعمان فيما بعد .

ووردت جملة ( احزب حبشت ) في النص الموسوم بـ (CIH 314+954) . وهي تشير الى وجود ( أحزاب ) أي جماعات من الحبش في العربية الجنوبية . وقد يراد بها مستوطنات حبشية وقوات عسكرية كانت قد استقرت في تلك البلاد[4]. كما وردت في النص الموسوم بـ Ryckmans 535 الذي يتحدث عن حرب أعلنها ( الشرح يحضب ) على ( احزب حبشت ) ، و ( ذى سهرتن ) و ( شمر ذى ريدان )[5] .

وأشار ( اصطيفان البيزنطي ) الى قوم دعاهم Abasynoi ، يظهر من قوله ان مواطنهم كانت في شرق حضرموت . ويفهم من كلامه أن هؤلاء كانوا حبشاً

---

١ Beiträge, S. 119.
٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 472.
٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.
٤ Die Araber, II, S. 275.
٥ Le Muséon, 1956, P. 154, Die Araber, II, S. 275.

يقيمون في هذه الأرضين . وقد يكونون قد استولوا عليها بانقوة وألحقوا ما استولوا عليه بمملكة أكسوم[1] .

وورد في كتابات تعود الى أيام ( علهان نهفان ) ، بأن هـذا الملك كان قد تفاوض مع ( جدرت ) ( جدرة ) ملك ( أكسوم ) والحبشة لعقد صلح معه . ويظهر من جملة « واقول وقدمن واشعب ملك حبشت » ،أي « وأقيال وسادات وقبائـل ملك الحبشة » ، الواردة فيها ، أن ملك الحبشة كان يحـكم جزءاً من العربية الجنوبية في ذلك الوقت ، وان الملك ( علهان نهفان ) تفاوض معه لتحسين العلاقات السياسية فيما بينه وبين الحبش ولضمان مساعدتهم في حروبه مـع منافسيه وخصومه[2] . ويرى ( فون وزمن ) أن تلك المفاوضات كانت قد جرت في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد[3] .

وقد عقد ( علهان ) حلفاً مع الحبش ، ويظهر أنه عقده بعـد انتهائه من الحرب التي أعلنها على حمير . تلك الحرب التي اشترك الحبش فيها أيضاً وكذلك أهل حضرموت . ولما عقـد ( علهان ) الحلف مع الحبش ، كان ابنه ( شعر أوتر ) قد اشترك معه في الحكم[4] .

ولم يدم الحلف الذي عقد بين ( علهان ) وابنه ( شعر أوتر ) من جهـة والحبش من جهة أخرى ، إذ سرعان ما نقض ووقعت الحرب بين (شعر أوتر) وبين ( الحبش ) على نحو ما ذكرت في أثناء حديثي عن حكم ( شعر أوتر ) . إلاّ أنه لم يتمكن من القضاء عليهم ، ولم يزحهم عن اليمن . بل بقوا في الأرضين التي كانت خاضعة لهم والتي تقع في الجزء الغربي من اليمن[5] .

وقد جـاء اسم ( جدرت ) ( جدرة ) على هذه الصورة : ( جدر نجش اكسم ) في النصوص . وورد على هذه الصورة : ( جدرت ملك حبشت واكسمن) في النص الذي وسم بـ Jamme 631[6] .ومعنى الجملة الأولى ( جدر نجاشي أكسوم).

---

١ Die Araber, II, S. 275.
٢ Nami 71 + 73, CIH 308.
٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 47. f.
٤ CIH 308, 308a, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.
٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.
٦ Die Araber, II, S. 284, IV, S. 274.

ومعنى الجملة الثانية ( جدرة ملك الحبشة وأكسوم ) . وقد قدّر بعض الباحثين زمان حكم هذا النجاشي بحوالي السنة (٢٥٠) بعد الميلاد[١] .

ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول ( ظفار ) عاصمة حمير ، وذلك فيما بين السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وذلك في أيام ( لعزز يهنف يهصدق)[٢]. ولا ندري الى متى بقوا فيها . والظاهر أن حكمهم فيها كان قصيراً .

وقد كان نزول الحبش في أرض اليمن في أيام حكم الملك الحبشي ( عذبة ) على ما يظن . وكان هذا الملك على صلات حسنة بالرومان، ففتح بلاده للمصنوعات الرومانية النفيسة ، وظل الحبش في اليمن في أيامه حتى وفاته ، فلما توفي أو عزل تولى ملك آخر مكانه هو ( زوسكالس ) Zoskales وقد أدى هذا التغيير الى تبدل الحال ، اذ اضطر الحبش الى النزوح من الأماكن التي كانوا قد استولوا عليها . ويرى بعض الباحثين ان ثورة قامت في الحبشة على حكم (عذبة ) وأحلت ( زوسكالس ) محله . فانتهز أهل اليمن فرصة انشغال الحكومة بالاضطرابات التي وقعت بهذه الثورة ، ونهضوا على الحبش فأخرجوهم عن ديارهم، وأخرج الحبش من السواحل التي كانوا قد استولوا عليها ، المعروفة بـ Kinaidokolpitae ، ويراد بها ساحل الحجاز وعسير[٣] .

ووردت في النص الموسوم بـ (Ryckmans 535) ،لفظة ( و ذ ب ه ) (وذبه) ثم ذكرت بعدها جملة : ( ملك اكسمن ) ، أي ( ملك أكسوم ) ، أو ( ملك الأكسوميين ) . وهو الملك الذي استعان به ( شمر ذو ريدان ) . وقد قرأ بعض الباحثين لفظة ( وذبه ) على هذه الصورة ( عذبة ) أو ( وزبه ) . وذهبوا الى أنه ملك الحبشة الذي استعان به ( شمر ذو ريدان )[٤] ، والذي تدخل في شؤون اليمن فيما بين السنة (٣٠٠) و (٣٢٠) بعد الميلاد[٥] .

ويظهر من اللقب الطويل الذي تلقب به ملك (أكسوم)، أي الحبشة Ethiopia وهو الملك ( عيزانا ) Ezana، أن اليمن وما جاورها من أرضين كانت خاضعة

---

١ Le Muséon, 1958, 147, Die Araber, II, S. 285.
٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.
٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.
٤ Die Araber, II, S. 285.
٥ Die Araber, II, S. 295.

لحكم الحبش في أيامه أيضاً . أما لقبه الذي تلقب به فهو : ( ملك اكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحن ) ، ويذكر بعد هذا اللقب أسماء ثلاثة مناطق افريقية كانت تحت حكمه ، ثم ختم هذا اللقب بتتمته ، وهـي جملة : ( ملك الملوك )[1] . و ( سلحن ) ( سلحين ) ، هو قصر ملوك سبأ وذو ريدان بمأرب .

وكان الملك ( عيزانا ) ( عزانا ) ، قـد دخل في النصرانية بتـأثير المبشر ( فرومنتيوس ) ، الذي أرسله اليه الملك ( قسطنطين ) ملك البيزنطيين عام (٣٥٠) للميلاد أو (٣٥٦) . وقد فرض هذا الملك النصرانية على شعبه وأعلنها ديانة رسمية لمملكته كما جعلها الديانة الرسمية للعربية الجنوبية[2] .

وكانت العربية الجنوبية خاضعة لحكم أبيه ، ولعلّه هو الذي أدخلها في حكمه. اذ كان أبوه وهو ( الاعميدا ) Ella 'Amida ، قد لقب نفسه باللقب المذكور[3].

ويرى بعض الباحثـين أن حكم ( عيزانا ) لم يكن فيما بين السنة ( ٣٣٠ ) و (٣٥٠) بعد الميلاد أو بعد ذلك كما ذهب الى ذلك بعض البـاحثين ، بل كان في حوالي السنة (٤٥٠) للميلاد . ويرى أن ملكاً آخر كان قد تـدخل في شؤون اليمن واستولى على ساحل Kinaidokopitae ،هو الملك (سمبروتس) Sembruthes وقد حكم على رأيهم في حوالي السنة (٤٠٠) بعد الميلاد[4] .

ويرى بعض الباحثين أن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة ( شمر يهرعش ) ، وأن ذلك كان في حوالي السنـة ( ٣٣٥م ) . وأن ( ثيوفيلس ) نصّر عرب اليمن في حوالي السنة ( ٣٥٤م ) ، إذ أنشأ كنيسة في ( ظفار ) . وقد صار رئيس أساقفة ( ظفار ) يشرف على الكنائس التي أنشئت في اليمن وفي ضمن ذلك كنيسة ( نجران ) والكنائس الأخرى التي بنيت في العربية الجنوبيـة الى الخليج[5] .

وأعرف تدخل للحبش في العربية الجنوبية ، تدخلهم في شؤون اليمن في النصف الأول للقرن السادس واحتلالهم اليمن ، إذ بقوا فيها أمـداً حتى ثار أهل اليمن

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.
٢ Handbuch, I, S. 35, 36.
٣ Handbuch, I, S. 36, 104, E. Littmann, Deutsche Aksum Expedition.
٤ Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, 5, 175, Die Araber, II, S. 295.
٥ Grohmann, S. 29.

عليهم ، فتمكنوا من انقاذ بلادهم من الحبش بمعونة من الفرس . وتركوا بذلك اليمن أبداً .

ويظهر من بعض الكتابات أن حصن ( شمر ) والسهل المحيط به كان في أيدي الحبش ، وقد ورد فيها اسم موضع ( مخون ) ، وهو ( مخا ) . ويرد اسم هذه المدينة لأول مرة . وتتناول هذه الكتابات حوادث وقعت سنة (٥٢٨) بعد الميلاد[1] .

وتبدأ قصة دخول الحبش الى اليمن على هذا النحو : لما قتل ذو نواس من أهل نجران قريباً من عشرين ألفاً ، أفلت منهم رجل يقال له (دوس ذو ثعلبان) أو رجل آخر اسمه ( جبار بن فيض ) أو غير ذلك ، ففرّ على فرس له ، فأعجزهم حتى خرج فوصل الحبشة،وجاء الى ملكها ، فأعلمه ما فعل(ذو نواس) بنصارى نجران ، وأتاه بالانجيل قد أحرقت النار بعضه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن . وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى قيصر في ذلك وبعث اليه بالانجيل المحرق . فبعث اليه قيصر بسفن كثيرة عبر فيها البحر ودخل اليمن[2] .

وفي رواية أخرى ان ( دوس ذو ثعلبان ) قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ( ذي نواس ) وجنوده وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود . ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا، فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممن ظلمك . فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً من أهل الحبشة يقال له أرياط، وعهد اليه إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم . فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع بهم ذو نواس ، فجمع اليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا اليه على

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 438.

٢ الطبري ( ٢/١٠٥ ) ، المحبر ( ص ٣٦٨ ) ، تفسير القرطبي ( ١٩/٢٩٣ ) .

اختلاف وتفرق لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم تكن له حرب ، غير أنه ناوش ذا نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ودخلها أرياط بجموعه . فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه ، وجّه فرسه الى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه ، فكان آخر العهد به . ووطىء ( أرياط ) اليمن بالحبشة ، فقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلث سباياها ، ثم أقام بها[1] .

ويظهر من دراسة هذا المروي،أن الرواة كانوا على اختلاف بينهم في حديثهم عن ( أصحاب الأخدود ) . وقد أشار العلماء الى هذا الاختلاف[2] . وقد اختلفوا في زمانهم أيضاً ، واكتفى بعضهم بقولهم : « وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد »[3] . وقال بعضهم : انهم كانوا باليمن قبل مبعث الرسول بأربعين سنة، أخذهم « يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه[4] . وجعل بعضهم عدد من قتل من نصارى نجران عشرين ألفاً ، وجعله بعضهم اثني عشر ألفاً ، وذكر بعض آخر ان أصحاب الأخدود سبعون ألفاً . وقد قتلهم ( ذو نواس اليهودي ) واسمه ( زرعة بن تبان أسعد الحميري ) ، واسمه أيضاً ( يوسف ) . وجعله بعضهم ( يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري )[5] . وجعلوا زعيم نصارى نجران ، والذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران ، اسمه ( عبدالله بن ثامر ) . وكان قد أخذ النصرانية عن راهب ، رآه فلازمه وتعلق به ، وأثر في قومه ، بشفائه الأمراض بالدعاء لهم الى الله لشفائهم ، فدخل كثير ممن شفوا وبرؤوا بدينه ، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران[6] .

ولم يبين رواة الخبر المتقدم الأسباب التي دعت نجاشي الحبشة الى الطلب من قائده ( أرياط ) بأن يقتل ثلث رجال اليمن ، ويخرب ثلث البلاد ، ويسبي

---

١ الطبري ( ٢/١٠٥ وما بعدها ) ، ابن قتيبة ( ص ٣١١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢/١٥٩٤ ) . تفسير البيضاوي ( ٢/٣٩٥ ) .
٢ تفسير القرطبي ( ١٩/٢٨٧ ) .
٣ تفسير القرطبي ( ١٩/٢٨٧ ) .
٤ تفسير القرطبي ( ١٩/٢٨٩ ) .
٥ تفسير القرطبي ( ١٩/٢٩٠ ) .
٦ تفسير القرطبي ( ١٩/٢٨٩ وما بعدها ) .

ثلث النساء وأبناءهم وأن يتبع هذا النظام الثلاثي في العقوبة . ولم يذكروا الموارد التي أخذوا منها خبرهم على طريقتهم في أخذ الأخبار من غير تمحيص .

وزعم ( ابن الكلبي ) أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر ، حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المندب . فلما سمع بهم ذو نواس ، كتب الى المقاول يدعوهم الى مظاهرته ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً . فأبوا ، وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته . فلما رأى ذلك ، صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عدة من الابل ، وخرج حتى لقي جمعهم فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها . فلما وجه الحبشة ثقات أصحابهم في قبض الخزائن ، كتب ( ذو نواس ) الى كل ناحية أن اذبحوا كل من يريد اليكم منهم . ففعلوا . فلما بلغ النجاشي ما كان من ذي نواس ، جهز سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة . فلما صار الحبشة الى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به[1] .

هذا مجمل ما ورد في كتب المؤرخين الاسلاميين والأخباريين عن ذي نواس . وقد أخذ بعضه مما علق في أذهان أهل اليمن عن ذلك الحادث ، وأخذ بعض آخر مما علق بأذهان أهل الكتاب عنه ، ويعود الفضل في تدوينه وجمعه الى القرآن الكريم ، إذ أشار بايجاز اليه : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »[2] . فكانت اشارته هذه الى أصحاب الأخدود حافزاً دفع بالمفسرين وأصحاب التأريخ والأخبار على جمع ما علق بالأذهان من هذا الحادث ، فجاء على الصورة المذكورة[3] .

ولم يرد الينا شيء من هذا القصص الذي رواه الأخباريون عن ذي نواس مكتوباً في المسند . وكل ما ورد مما له علاقة بحادث دخول الحبشة اليمن ، هو ما جاء في النص المهم المعروف بنص حصن غراب والموسوم بـ REP. EPIGR. 2633 من أن الأحباش فتحوا أرض حمير وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين .

---

١ الطبري ( ١٢٧/٢ ) ( دار المعارف بمصر ) ، المحبر ( ص ٣٦٨ )

٢ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

٣ Loth, Tabari's Korancommentar, Die « Leute der Grube », in ZDMG., 1881, S. 610.

ولم يذكر في النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخه الى سنة ( ٦٤٠ ) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد[١] .

ويرى ونكلر مستنداً الى نص ( حصن غراب ) أن ( ذا نواس ) كان هو البادىء بالحرب ، وأن السميفع أشوع وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك ذي نواس في حملته على الحبشة ، غير انه لم يكتب له التوفيق ، وأصيب بهزيمة اذ سقط فهزم جمعه . وعندئذ غزا الحبش أرض اليمن واستولوا عليها . فأسرع السميفع أشوع وأولاده في الذهاب الى حصن ( ماوية ) للتحصن فيه ولتقوية وسائل دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع ذي نواس ، وانما أكرهوا على الذهاب معه . وبقوا في حصنهم هذا الى أن دخل الحبش أرض اليمن ، فتفاهم معهم[٢] .

وقد أشرت الى ملخص ما جاء في التواريخ الاسلامية عن ذي نواس وعن حادث تعذيب نصارى نجران ، وهو حادث لم يكن بعيد العهد عن الاسلام . فقد أشير اليه بايجاز في القرآن الكريم : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »[٣] . فجمع المفسرون والأخباريون ما علق بالأذهان من هذا الحادث ورووا أخباراً متناقضة متباينة في أصحاب الأخدود .

أما رأي اليهود — وهم طرف من أطراف هذا النزاع — عن حادث نجران فلا علم لنا برأي رجاله المعاصرين في الحادث . إذ لم يصل الينا شيء مدوّن بقلم مؤلف يهودي معاصر له . وقد أخذ الأخباريون — كما قلت — ما كان علق عن ذلك الحادث بأذهان يهود اليمن ويثرب ، على لسان وهب بن منبه ، وأضرابه ، أخذوه عن طريق الرواية والحفظ ، فهذا المدوّن في كتب أهل الأخبار والمنصوص على سنده هو كل ما نعرفه من رأي اليهود المتأخرين في حادث نجران .

وأما ما رواه النصارى عنه ، وهم الطرف الثاني في النزاع ، فإنه أطيب جداً وأوضح مما ورد في الموارد الاسلامية وفي الرواية اليهودية الشفوية اذ اعتمدت

---

١ REP. EPIGR., V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131-132, Mordtmann,in ZDMG., XLIV, 1890, S. 176.

٢ Winckler, AOF., IV, 1896, « Zur Alten Geschichte Yemens und Abessiniens », S. 327.

٣ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

المواد الاسلامية واليهودية على منابع شفوية ، هي السماع والرواية ، فجاء وصفها للحادث مزوّقاً . أما الموارد النصرانية فقد اعتمدت على السماع والمشافهة أيضاً ، ولكنها أخذت من موارد ووثائق مسجلة دوّن بعضها بعد وقوع الحادث بقليل ، وكان لتدوينها الحادث أهمية كبيرة بالنسبة لمن يريد تأريخه والوقوف على كيفية حدوثه ، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المبالغات والتهويل ، والعواطف ، لأنها كتبت في ظروف عاطفية حماسية . ونقلت من محيط للمبالغة فيه مكانة كبيرة ومن أفواه أناس ليس لهم علم بمنطق المحافظة على صدق الواقع . وقد دوّنت لبعث حمية النصارى على انقاذ أبناء دينهم المضطهدين في اليمن .

وقد أدرك بعضها زمن الحادث وأخذ سماعاً من رجال شهدوه ، أو من رجال نقلوا رواياتهم من شهود العيان . فلهذه الوثائق إذن شأن عظيم في نظر المؤرخ . ومن هؤلاء الرحالة : ( قزما ) ، والمؤرخ ( بروكوبيوس ) المتوفي في حوالي السنة (٥٦٠) للميلاد[١] . ومن المتأخرين: المؤرخ ( ملالا ) Johannes Malala[٢]. وقد نقل من كتابه بعض المؤرخين المتأخرين عنه،مثل ( ثيوفانس )Theophanes ( ٧٥٨ — ٨١٨ )[٣] و ( سدرينس ) Georg Cedrenus ، و ( نيقيفورس كالستي) Nicephorus Callisti[٤] .

وكان ( قزما ) المعروف بـ Cosmas Indicopleutes أي ( قزما بحار البحر الهندي )،وصاحب كتاب ( الطبوغرافية النصرانية ) Christian Cosmography وكتاب ( البحار الهنديـة ) ( بحار البحر الهندي ) Indicopleutes في مدينـة ( أدولس ) Adulis ، الواقعة على ساحل الحبشة على المحيط الهندي ينقل كتابة (بطلميوس) Ptolemaeus اليونانية بأمر النجاشي (Elesboas) (Elesboan) في العهد الذي كان فيه النجاشي يتهيأ لغزو أرض حمير[٥] . فكتب في جملة ما كتبه

---

١ Procopius, History of the Wars, Musil, Palmyrena, P. 336.

٢ Johannes Malala, Chron., ED : Bonn.

٣ Theophanes, Chronographia, ZDMG., 1881.

٤ Nicephorus Callisti, Hist. Eccl., Lib., XVII, Cap. 32, 2, Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, II, P. 625.

٥ ED : Montfaucon, P. 141, ZDMG., 1881, S. 5.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث والعشرون : الجزء الاول ، ١٩٤٨ ، ( ص ١٨ وما بعدها ) .

قصة غزو الحبشة لليمن بعد ٢٥ عاماً من وقوعه[١] . فلروايته عن الحملة شأن كبير لأنها غير بعيدة عهد عن الحادث ، ثم ان صاحبها نفسه كان قد أدركها وقد سمع أخبارها من شهود عيان . ولعله كان نفسه من جملة أولئك الشهود ، شاهد السفن وهي تحمل الجنود لنقلهم الى اليمن ، واتصل بالرسميين الحبش واستفسر منهم عن الحملة .

ويفهم من رواية ( قزما ) ، ان الحملة كانت في أوائل أيام حكم القيصر ( يسطينوس ) Justinus ( ٥١٨ — ٥٢٧ م )[٢] . أما (ثيوفانس) Theophanes و ( سدرينوس ) Cedrenus ومن اعتمد عليهما ، فقد جعلوا الحملة في السنة الخامسة من حكم هذا القيصر ، وذكروا ان الذي حمل النجاشي على هذا الغزو هو تعذيب ملك حمير لنصارى نجران ، وقد قتل هذا الملك[٣] .

ويحدثنا ( ثيوفانس ) و ( سدرينوس ) عن غزو ثانٍ قام به الحبش على حمير لاعتداءاتهم على تجار الروم، وذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم (يوسطنيانوس) Justinianus ( ٥٢٧ — ٥٦٥م ) ، وفي عهد النجاشي (أدد) Adad . أما ملك حمير ، فاسمه ( ديانوس ) Damianus . وقد ذكر ( ملالا ) هذا الحديث محرّفاً بعض التحريف ، فجعل اسم النجاشي ( أندس ) Andas بدلاً من ادد، وصيّر اسم ملك حمير (دمنوس) Damnus عوضاً عن (ديانوس) Damianus، وذكر حملة ( اندس ) هذه قبل جملة Elesbaas . وأشار الى أن النصرانية كانت قد انتشرت في الحبشة قبل أيام ( اندس ) . وذكر المؤرخان الآخران ان ( أدد ) تنصر على أثر احرازه النصر على الحميريين[٤] .

وتحدثنا رواية سريانية ان النجاشي المسمى ( ايدوك ) Aidog حارب الملك ( اكسينودون ) Xenedon ملك الهنود . ثم حارب ( دميون ) Dimion ملك حمير لاعتدائه على التجار الروم واستيلائه على أموالهم . فانتصر ( ايدوك ) على ملك حمير ، ثم تنصر ، وعيّن على حمير ملكاً نصرانياً . فلما مات هذا الملك ،

---

١ J.B. Bury, History of the Roman Empire, II, P. 323.
٢ Cosmas, P. 141, ZDMG., 31, 1877, 66.
٣ ZDMG., 31, 1877, 66, Theophanes, I, 260.
٤ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Theophanes, I, 346, Cedrenus, I, 656.

عذّب خلفه نصارى نجران ، فغزا ( ايدوك ) حمير وانتصر عليها . وأقام عليها ( ابرهام ) ( ابراهيم ) Abraham [1] . ولا يشك المستشرق ( فيل ) Fell في أن المراد بـ (Adad) (Andas) (Aidog) رجل واحد هو النجاشي (كالب)، وهو Elesbaas ( كلب الا أصبحه ) ( كالب الا اصبحه ) . وأما Dimion و Dimianus و Xenodon ، فيراد بها ( ذو نواس ) . وقد تحدث ( فل ) Fell باطناب عن مختلف الروايات الواردة عن النجاشي (كالب) (كلب الا أصبحه) و ( الاعاميدة ) ( عيلاميده ) وعن انتشار النصرانية في الحبشة ، وأمثال ذلك ، فإليه يرجع من يطلب المزيد[2] .

وفي المرويات اليونانية عن الشهداء أن الذي قام بتعذيب نصارى نجران هو الملك ( ذو نواس ) Dunaas ملك حمير ، وان ذلك كان في السنة الخامسة من حكم ( يوسطينوس ) Justinus ، أن الذي غزا اليمن هو النجاشي Ela Atzbeha Elesbas . فلما دخلت جيوشه أرض حمير ، فر Dunaas الى الجبال فتحصن فيها ، حتى إذا سنحت له الفرصة خرج فقتل من بقي من جيش النجاشي في اليمن واحتل مدينة ( نجران ) فقام عندئذ Elesbas بحملة ثانية فانتصر بها على ( Dunaas ) وعين Abrames في مكانه[3] .

وفي جملة ما لحق بقصص الشهداء الحميريين ، المناظرة التي جرت بين أسقف ( ظفار ) المسمى ( كريكنتيوس ) Gregentius وبين Herban اليهودي ، والظاهر أنها من القصص الذي وضع في السريانية وليست لها قيمة تأريخية بالطبع[4] .

وقد دوّن ( يوحنا الأفسي ) John of Ephesus المتوفي في حوالي سنة (٥٨٥) للميلاد في تأريخه الكنسي وثيقة مهمة جداً عن حادث تعذيب نصارى نجران ، هي رسالة وجهها ( مار شمعون ) أسقف (بيت أرشام) Simon of Beth Arsham المعاصر لهذا الحادث الى ( رئيس دير جبلة ) Abt von Gabula يصف فيها ما سمعه وما قصّه عليه شهود عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران

---

١ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Assemani, Bibl. Orient., I, 359, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

٢ Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

٣ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Anecdota Graecca, Vol., V, P. I, (Boissonade Ed.).

٤ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 69, Bury, II, P. 327.

وما لاقوه هنـــاك من أصناف العذاب[1] . ومنه أخذهـا البطريق ( ديونيسيوس ) Patriarch Dionysius ، فأدخلها في تأريخه المؤلف بالسريانية . وقـد نشرهـــا ( السمعاني ) في مؤلفه ( المكتبة الشرقية ) . وتجد هذه الرسالـة أيضاً في تأريخ ( زكريا ) Zacharias von Mitylene المتوفي في حوالي سنة (٥٦٨) للميلاد ، وهو بالسريانية أيضاً[2] . وفي الرسالة اختلافات عن نسخ الرسالة الأخرى ، ولكنها غير مهمة على كل حال ولا تغير من جوهرها شيئاً[3] .

وقد ذكر (شمعون) في رسالته أنه كان قد رافق (ابراهيم) (ابراهام) Abraham والد (نونوسوس) Nonnosus الشهير في رسالة خاصة أمر بها القيصر (يوسطينوس) Justinus الأول الى ملك الحيرة (المنذر الثالث) . وكان ذلك في العشرين من كانون الثاني من سنة (٨٣٥) من التأريخ السلوقي، وتقابل هذه السنة سنة(٥٢٤) للميلاد. فلما بلغا قصر الملك ، سمعا بأخبار استشهاد نصارى نجران . وعلم به ( شمعون ) من كتاب وجّهه ملك حمير الى ملك الحيرة ، يطلب منه أن يفعل بنصارى مملكته ما فعله هو بنصارى نجران . وقد قرىء الكتاب أمامه ، فوقف على ما جاء فيه، وعلم به أيضاً من رسول أرسله في الحال الى نجران ليأتيه بالخبر اليقين عن هـذه الأعمال المحزنة التي حلت بالمؤمنين[4] .

وقد وجّه شمعون في نهاية الرسالة نداءً الى الأساقفة خاصة أساقفة الروم ليعلمهم بهذه الفاجعة التي نزلت باخوانهم في الدين ، والى بطريق الاسكندرية ليتوسط لدى

---

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، المجلد الثالث والعشرون الجـزء الاول السنة ١٩٤٨ ( كتاب الشهداء الحميريين ) ، لمار أغناطيوس أفرام ، النصرانية ( ٦١/١ ) ،
Fell, « Die Christenverfolgung, in Südarabien und Himjarish Athiopischen Kriege nach Abessinischer Uberlieferung », in ZDMG., 35, 1881, S. 2, Assemani, Bibl. Orient., I, P. 364, Bury, II, P. 323.

٢ النصرانية ( ٦١/١ ) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكـور ( ص ١٨ ) ، اللؤلؤ المنثور في تأريخ الآداب والعلوم السريانية ( ٢٥٤ ) ، حمص سنة ١٩٤٣ ،
Assemani, Bibl. Orient., I, 369, ZDMG., 35, 1881, S. 3.

٣ Zacharias, Historia Miscellanea, by J.P.N. Land, Entitled Zachariae Episcopi Mitylenes Aliorumquae Scripta Historica Graeca Plerumque Deperdita, Constituting, Land, Anecdata Syriaca, vol., 3, Leiden, 1890.

٤ ZDMG., 35, 1881, S. 3, Bury, II, P. 323, Fragmanta Histori. Greega, IV, P. 177.

نجاشي الحبشة في مساعدة نصارى اليمن ، كما وجّه نداءه الى أحبار ( طبرية ) للتأثير على ملك حمير ، والتوسط لديه بالكف عن الاضطهاد والتعذيب[1] .

وقد درس عدد من الباحثين هذه الرسالة ، ونقدوها، وهي في الجملة صحيحة ووثيقة مهمة لا شك في ذلك بالنسبة الى من يريد الوقوف على موضوع استشهاد نصارى نجران. أما ما جاء فيها على لسان ملك حمير من جمل وعبارات استخلصت على حد قول ( شمعون ) من الرسالة التي وجهها ملك حمير إلى المنذر،فمسألة فيها نظر ، وقضية لا يمكن التسليم بها ، فلا يعقل أن يكون ما قيل فيها على لسانه قد صدر منه . وما دوّن فيها من عبارات بحق الشهيد (حارثة)(الحارث) Arethas ونصارى نجران لا يعقل أن يكون قد صدر من ملك يهودي . ولكننا لا نستطيع أن ننكر أو نتجاهل أمر الرسالة التي أرسلها الملك إلى المنذر لحثه على اضطهاد نصارى مملكته مقابل مبلغ يقدمه ملك حمير اليه . ولا داعي يدعو إلى نكرانها والشك فيها . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الرسالة صحيحة ، ولكن ما دوّنه شمعون من جمل وعبارات على انها من كلام ملك حمير ، هو من انشائه وكلامه، لا ترجمة حرفية للكتاب . وخلاصة ما يقال في الرسالة انها وثيقة مهمة ، ولها قيمة تأريخية في الجملة بغض النظر عن التفصيلات الواردة فيها وعن عواطف كاتبها وعن المبالغات التي وردت فيها . وفي مركز صاحبها والمكانة التي كان فيها ما يسوغ صدور مثل هذه الأمور منه ووقفه عليها[2] .

ومن الوثائق التأريخية التي تتعلق بشهداء نجران كتاب ينسب إلى ( يعقوب السروجي ) في السريانية في نصارى نجران ، وقصيدة في رثاء الشهداء لـ (بولس) Paulus Bishop of Eddessa أسقف ( الرها ) Eddassa = Edessa ومدحه اياهم، ونشيد كنسي سرياني لـ ( يوحنا بسالطس ) Johannes Psaltes رئيس دير قنسرين المتوفى سنة (٦٠٠) للميلاد[3] ، وميمر ليعقوب الرهاوي[4] .

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 3.

٢ ZDMG., 35, 1881, S. 4.

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور ( ١٨ ) ، اللؤلؤ المنثور في تأريخ الآداب والعلوم السريانية ( ٢٥٤ ) ، وفي رواية أنه توفي في ٣٠ اكتوبر ٥٢٦ للميلاد راجع :
Bury, II, P. 324, ZDMG., XXXI, 324, 363, 400, XXXV, 1881, S. 4.

٤ النصرانية ( ١/٦١ ) ، Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, I, 372, 397.

ويظهر مما ورد في ( كتاب الشهداء الحميريين )[1] وفي رسالة ( شمعون الأرشامي) أن ( يعقوب السروجي ) أسقف (سرجيوبولس) Sergiopolis ، أي (الرصافة) كان من رجال البعثة المذكورة التي أوفدها القيصر (يوسطين الأول ) (يسطينوس) Justin I الى الملك ( المنذر ) . و ( الرصافة ) Sergiopolis هي ( متروبولية منطقة الفرات ) Metropolis of Euphratensis بالنسبة الى نصارى العرب . ويذكر مؤلف الكتاب المذكور أنه عمّد وهو في ( حيرة النعمان ) ( حيرتا دى نعمانا ) Hirtha Dhe' Na'mana أحد سادات حمير ، واسمه ( أفعو ) Af'u ، وكان أحد الوثنيين الذين جاؤوا من اليمن الى الحيرة ، وقد شاهد بنفسه تعذيب نصارى ( نجران )[2] . وقد كلفه ملكه ، أي ملك حمير ،السفارة عند ملك الحيرة. ولكنه كان رقيق القلب ، فرق قلبه وهو في الحيرة على النصرانية ، فتنصر على يديه[3] .

وقد نقل مؤلف كتاب الشهداء الحميريين صورة الكتاب الذي أرسله ملك حمير ، وقد دعاه ( مسروقاً ) Masruq ، الى ( المنذر بن الشقيقة ) ( منذر بر شقيقة) Mundhar bar Zaqiqa وهو يحرضه فيه على النصارى[4] .

ولا بد من الإشارة الى الأثر المهم المنشور باليونانية لـ ( يوحنا بولند ) Johann Bolland وجماعته في عشرات المجلدات ، والى أثر آخر نشره (بويسونا) Boissona في اليونانية كذلك في خمسة مجلدات[5] . فقد دوّنت في الكتاب الأول قصة الشهيد القديس ( الحارث ) Arethas وبقية شهداء نجران ، وقصة الحرب التي وقعت بين النجاشي وذي نواس . ودوّنت في الأثر الثاني مضامين رسالة ( مار شمعون ) . وقد بين ( فيننـد فل ) Winand Fell رأيه فيما جاء في مجموعة ( بولند ) Bolland[6] .

---

١ Axel Moberg, The Book of the Himyarites, Lund, 1924, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 349.

٢ Shshid, The Book of the Himyarites, in, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 354.

٣ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 352.

٤ The Book of Himyarites, Chapter XXV.

٥ النصرانية ( ١/٦١ ) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة عربية من هذه الاعمال : ( أعمال البولنديين ) ، Acta Sanctorum Oct. Tom. X, 721, Antwerp, 1643.

٦ ZDMG., 35, 1881, S. 5.

وللنصوص الحبشية ولا شك أهمية عظيمة عند من يريد تدوين غزو الأحباش لليمن وتأريخ شهداء نجران إذ كانوا الطرف الرئيسي في هذا الحادث، وهم الذين أغاروا على اليمن فقتلوا ملك حمير . لـذا وجّه الباحثون أنظارهم نحوها وفتشوا عنها ، غير انهم لم يعثروا على نصوص فيها أمور جديدة عن الحادث تنفرد بها. وما عثر عليه ليس بكثير. ومن ذلك كتابة عثر عليها (يوسف سابيتو) J. Sapeto أشير فيها باختصار إلى القديس الحارث ( حيروت ) Herut وبقية الشهداء ، وجملة مخطوطات حبشية محفوظة في المتحف البريطاني وردت فيهـا أخبار الشهداء وغزو الحبشة لليمن، وأمر ( ذو نواس ) المسمى فيها بـ (فنحاس)، وهي لا تختلف في الجملة اختلافاً كبيراً عما جاء في أعمال (البولنديين) وأعمال القديس ( أزقير ) التي نشرها (روسيني) ، وهو الذي استشهد بأمر ملك حمير ( شرحبيل بن ينكف ) مع (٣٨) آخرين[1] .

يتبين من بعض الموارد الإغريقية والحبشية أن الأحباش كانوا قد نزلوا بأرض حمير قبل قيـام ذي نواس بتعذيب نصارى حمير بسنين ، وانهـم انتصروا على ذي نواس ، فاضطر إلى التقهقر إلى الجبال للاحتماء بها ، وانهم تركوا في اليمن جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم . فلما مات قائد الجيش ونائب الملك ، انتهز ذو نواس هذه الفرصة فأغار على الحبش فتمكن منهم ، وعـذّب من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم ، وأغار على نجران ، وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر على زعم الرواية الحبشية . فلما طال الحصار، عمد ذو نواس إلى الخداع والغش ، ففاوض النجرانيين على التسليم له ، وتعهد إن فتحوا له المدينة ، ألاّ يتعرض لهم بسوء . فلما صدقوه وفتحوا المدينة له ، أعمل فيهم السيف ، فحمل ذلك الحبش على غزو اليمن[2] .

وورد في كتاب الشهداء الحميريين ، ما يفيد بأن الحبش بعد أن نزلوا أرض حمير ، عارضهم رجل اسمه ( مسروق ) وحاربهم وقاومهم ، وهاجم مدينـة

---

١ النصرانية ( ١/ ٦١ وما بعدها ) ، Sapeto, Viaggio e Mission e Cattalica fra I Mensa i Bogos etc., Roma, 1857, P. 412, ZDMG., 35, 1881, S. 9, Conti Rossini, Rendic. d. Reale Accad. d. Lencei, 1910, Ser., V, Vol., XIX, P. 705.

٢ ZDMG., 35, 1881, s. 13, Bury, II, P. 323.

( ظفار ) عاصمة حمير ، وكان الحبش قد استولوا عليها وتحصنوا بها ، ولما رأى ( مسروق ) أنه لا يتمكن من التغلب على الحبش الذين كانوا يحاربونه في مدينة ( ظفار ) ، أوفد اليهم كهاناً ويهوداً من طبرية ورجلين من الحيرة كانا نصرانيين في الاسم ، يحملون معهم كتاباً يعدهم فيه أنهم إن سلّموا له ( ظفار ) فلن يؤذيهم ، بل يعيدهم الى الحبشة سالمين . فوثقوا بكلامه وصدّقوه ، وخرجوا اليه وكانوا ثلاث مئة محارب على رأسهم القائد ( أبابوت ) ، فقبض عليهم وغدر بهم ، إذ سلمهم إلى اليهود فقتلوهم . ثم أرسل من حرق بيعة ظفار بمن كان فيها من الحبش ، عددهم مئتان وثمانون رجلاً ، وكتب إلى الحميريين آمراً بقتل النصارى قاطبة إن لم يكفروا بالمسيح ويتهوّدوا . وكتب الى الحارث من أشراف مدينة نجران أن يأتيه مع من عنده من حملة السلاح لحاجته الشديدة اليهم . فلما بلغ الحارث مدينة ظفار ، وسمع بما حدث ، رجع الى نجران . فحاصر مسروق المدينة ، وطال الحصار ، فراسل أهلها على الأمان . فلما فتحوا له مدينتهم ، غدر بهم ، وأحرق بيعتهم وأحرق خلقاً منهم بالنار رجالاً ونساءً وأطفالاً . وكان بعض قسيسيهم من حيرة النعمان ومن الروم والفرس والحبشة[1] .

فلما تمادى مسروق في غيه وفي قتل النصارى في نجران وغير نجران من مدن اليمن وقراها، سار سيد من سادات القوم اسمه ( أميّة ) الى الحبشة فأخبر مطرانها ( أوبروبيوس ) و ( كالب ) النجاشي بما حل بنصارى اليمن ، فأمر (كالب) جيوشه بغزو حمير ، فغزتها وقضى على ( مسروق ) اليهودي ، وهو ( ذو نواس ) في كتب الإسلاميين[2] .

هذه رواية في السبب المباشر لغزو اليمن . وفي رواية أخرى أن الملك (دميون) Dimion ( دميانوس ) Dimianos ، ملك حمير Homeritae ، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أساؤوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم ، فتجنب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة والى المناطق القريبة من حمير ، فتأثرت التجارة مع الحبشة ، وتضرر الأحباش . فعرض النجاشي على ملك حمير عروضاً لم يوافق عليها، فوقعت

---

١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور ( ١١ وما بعدها ) ، Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 48.

٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور ( ١٥ ) .

الحرب . وتزعم الرواية أن النجاشي لم يكن نصرانياً ، فقيل له : إن كتب الك النصر فادخل في دين المسيح . فوافق على ذلك . فلما انتصر ، تنصّر ، وانتقم من حمير . ثم أرسل رجلين من ذوي قرابته الى القيصر يلتمس منه إرسال أسقف وعدد من رجال الدين . وبعد بحث واستقصاء وقع الاختيار على Johannes Paramonaris من كنيسة القديس يوحنا ، فذهب مع عدد من الكهان ، فعمّد النجاشي وأتباعه ، وأقام الكنائس ، وأرشد الناس الى الدين الصحيح .[1]

وقد عرف ذو نواس في النصوص النصرانية باسم Dimnus = Damian و Damnus = Dimianos و( مسروق )[2] . ونرى تشابهاً كبيراً بين Dimnus و Damian و Damnus وكلمة ( ذو نواس ) العربية . فالظاهر أنها تحريف نشأ عن هذا الأصل . وأما النصوص الحبشية فقد دعته ( فنحاس ) Phin'has ، وهو اسم من أسماء يهود[3] .

أما النجاشي الذي حارب حمير وغزا أرضها ، فقد دعاه ( بروكوبيوس ) باسم Hellestheaeus[4] . ودعاه غيره بأسماء قريبة منه مثل Elesbowan = Elisbahaz و Ela-Atzbeha = Elesbaas = Elesboas . ويظهر انها أخذت من ( ايلا اصباح ) Ela-Asbah أو ( ايلاصباح ) Ela-Sebah في الحبشية[5] . ودعي أيضاً باسم آخر، هو Aidug ،دعاه به (يوحنا الأفسي) Johannes von Ephesus[6] و (اندس ) Andas وقد دعاه (ملالا) بذلك[7] . و Adad ودعاه به (ثيوفانس) و ( سدرينوس ) Cedrenus[8] . أما في الروايات الحبشية ، فقد سمي ( كالب )

---

١ Glaser, Die Abessinier, S. 175, Bury, II, P. 322, Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Noldeke, Tabari, S. 188.

٢ Glaser, Die Abessinier, S. 177, Fell, in ZDMG., 35, S. 17, 1881, Ludolf, Comm. Ad. Hist. Aeth., P. 233.

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور ( ١٥ ) . Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 17, Ludolf, Comm., P. 233.

٤ Procopius, History of the Wars, P. 189

٥ ZDMG., 35, 1881, S. 18.

٦ Galser, Die Abessinier, S. 176, ZDMG., 35, 1881, S. 19, Assemani, Bibl. Orient. I, 359.

٧ ZDMG., 35, 1881, S. 19, Malala, P. 434, Glaser, Die Abessinier, S. 176.

٨ Theophanes, I, P. 346, Cedrenus, I, P. 656.

Kaleb[1] . فهو إذن ( الا أصبحة كالب ) Elle 'Asbeha Kaleb وتعني ( الا ) Elle = Ella ( ذو ) أو من ( آل ) . وأما ( أصبحة ) ، فاسم أجداده وعشيرته التي انحدر منها . كما أن ( ذا نواس ) ، لا يعني اسم الملك ، بل لقب أسرته . فاسمه هو ( يوسف ) . ويكون النجاشي ، أي ملك الحبشة الذي جهز الجيش وفتح اليمن هو ( كالب ) من ( آل أصبحة ) أو ( الا أصبحة كالب ) كما عرف بذلك[2] .

وقد تحوّل اسم النجاشي Ela Sebah = Elesbass إلى ( أصحمة ) في العربية . فقد ذكر بعض العلماء أن(أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي)[3]، فـ ( أصحمة ) إذن هو النجاشي المذكور .

والنجاشي Ela Atybeba = Elesboas، وهو ابن النجاشي Tayena الذي كان على النصرانية . وقد خلف هذا النجاشي النجاشي Andas الذي كان قد أقسم أنه اذا انتصر في الحرب يتنصر . فانتصر، فدخل في النصرانية . وصارت النصرانية ديانة رسمية للحبشة . وقد لقب Tayena بلقب ( ملك اكسوم وحمير Homer وريدان وسبأ وسلحين ) في كتابة من كتاباته ، مما يدل على أنه كان قد حكم اليمن[4] .

وقد عثر في خرائب مدينة ( مأرب ) القديمة ، على نص مصاب بتلف في مواضع عديدة منه ، تبين من دراسة ما بقي منه أنه مدوّن بلغة أهل الحبشة ، وأنه يتحدث عن غزو بحري لميناء لم يذكر اسمه في النص ، وقد يكون ذلك بسبب التلف الذي أصاب النص ، قام بذلك الغزو مدوّن النص ، وقد كان في سفينة تبعتها إحدى عشرة سفينة أخرى ، فنزل بذلك الميناء وتغلب عليه ونزل المحاربون من سفنهم ودخلوا الميناء ، فأخذوا غنائم وأسرى . ثم تلت هذه السفن دفعة ثانية من سفن جاءت محملة بالمحاربين ، نزلوا في موضع يقع جنوب الموضع الذي نزل هو فيه . لم يذكر اسمه في النص كذلك . وقد انتصر الغزاة على الأماكن

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 20.

٢ Die Araber, III, S. 28.

٣ تفسير النيسابوري ( ١٦٣/٣٠ ، ( حاشية على تفسير الطبري ) .

٤ Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Nöldeke, Tabari, S. 188, Bury, II, P. 223.

التي هاجموها ، لأنهم كانوا مع الحق والشرع ، فكان الله معهم ، وكان أهل الميناء على الباطل وضد الشريعة الحقة فعوقبوا بالهزيمة[1] .

والنص المذكور – وإن كان خلواً من كل إشارة الى ( ذي نواس ) ، أو الى اسم ( نجاشي ) الحبشة ، أو الى زمن وقوع الغزو والأماكن التي وقع عليها – يشير الى غزو الحبش لليمن في حكم ( ذي نواس ) ، والى تغلب الحبش عليه . ويظهر منه أن القافلة الأولى تركت ساحل الحبشة من موضع ( ادولس ) (عدولس) ( عدولي ) Adulis على ما يظهر وكانت بإمرة ( الا اصبحة ) ، فعبرت باب المندب ، حتى وصلت الى ساحل اليمن . وقد اختارت ميناء ( مخا ) موضعاً للنزول ، فنزلت به وتغلبت على أصحابه . ثم جاءت قافلة أخرى نزلت في موضع يقع جنوب هذا الميناء ، وتغلبت على أصحابه كذلك . وبذلك تم النصر للحبش . ولم يشر النص الى أسماء الموانىء التي تحرك منها الجيش ، أو الموانىء التي نزل بها في ساحل اليمن .

وقد عالج الباحثون هذه الأسماء ، فرأى قسم منهم أنها تعني شخصاً واحداً هو ملك الحبشة الذي حارب ذا نواس . ورأى آخرون أن المراد بـ Aidug و Adad و Andas شخص واحد هو نجاشي حكم قبل هذا العهد ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وهو ( الا عاميدة ) ( علا عاميدة ) Ela Amida ، المعاصر للقيصر قسطنطين ، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة على بعض الروايات . وذلك لعدم انسجام هذه الرواية التي تنص على تنصر Aidug بعد انتصاره على حمير ، كما أشرت الى ذلك ، مع روايات أخرى تشير إلى تنصر ملوك الحبشة قبل غزو اليمن هذا بكثير[2] .

وترى الروايات العربية أن ذا نواس لما غُلب على أمره ورأى مصيره السيىء ، ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه . أما الروايات الحبشية والإغريقية ، فإنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه[3] .

---

١ Die Araber, III, S. 24. ff., Journ. af. Semit. Stud., 9, (1964), P. 56.

٢ ZDMG., 35, 1881, S. 20.

٣ ZDMG., 35, 1881, S. 16, Procopius, I, XX, I, Malala S. 433.

وهناك شعر نسب إلى علقمة ذي جدن زعم انه قائله ، هو :

أو ما سمعت بقتل حمير يوسفاً  أكل الثعالب لحمه لم يقتبر ؟

وقد استدل منه ( فون كريمر ) على أن ذا نواس لم يغرق في البحر كما في الروايات العربية الأخرى ، بل قتل قتلاً كما ورد في روايات الروم[1] .

## حكم السميفع أشوع :

وذكر ( بروكوبيوس ) ان الذي حكم حمير بعد مقتل ملكهم هو رجل اسمه Esimiphaios = Esimiphaeus اختاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية فرضي بذلك وحكم . غير أن من تبقّى من جنود الحبشة في أرض حمير ثاروا عليه وحصروه في قلعة ، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً اسمه ( ابراهام ) Abraham كان مملوكاً في مدينة ( أدولس ) (عدول) Adulis لتاجر يوناني . فغضب النجاشي وأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم اليه . فلما وصلت إلى اليمن ، التحقت بالثوار ، وقتلت قائدها وهو من ذوي قرابة النجاشي . فغضب Hellestheaeus عندئذ غضباً شديداً ،وسيّر اليه قوة جديدة لم تتمكن من الوقوف أمام أتباع Abram فانهزمت ولم يفكر النجاشي بعد هذه الهزيمة في إرسال قوة أخرى . فلما مات ، صالح Abraham خليفته على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك على اليمن ، فعيّن نائباً عنه[2] .

وذكر ( بروكوبيوس ) أيضاً أن القيصر ( يوسطنيانوس ) أرسل رسولاً عنه إلى النجاشي Ela Atzbeha Hellestheaeus والى Esimiphaeus اسمه (جوليانوس) Julianus ليرجو منهما اعلان الحرب على الفرس وقطع العلاقات التجارية معهم، لأنهما والقيصر على دين واحد ، فعليهما مساعدة أبناء دينهم الروم والاشتراك معهم في قضيتهم ، وهي قضية عامة مشتركة ، على النصارى جميعاً الدفاع عنها .

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 16, Von Kremer, Südarabische Sage, 92, 127.

٢ Procopius, I, XX. 1-2, Bury, II, P. 324, John Malalas, XVIII, 457.

وطلب من ملك حمير Homeritae خاصة أن يوافق على تعيين (قيس) Kaisos = Caisus ( Phylarch ) سيداً على قبيلة معد Maddeni، وأن يجهز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض الفرس. وكان قيس كما يقول (بروكوبيوس) من أبناء سادات القبائل ، وكان شجاعاً قديراً وكفؤاً جداً وحازماً ، قتل بعض ذوي قرابة Esimiphaeus فانهزم الى البادية هائماً . وقد وعد الملك خيراً ، غير أنه لم ينجز وعده ، إذ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من قومه في الحرب[1] .

وقد وصل رسول ( جستنيان ) ( يوسطنيان ) Justinian سنة ( ٥٣١ م ) الى ميناء ( ادولس ) من البحر ، ثم ذهب منه الى ( اكسوم ) حيث وجد النجاشي Ela Atybeba واقفاً على عربة ذات أربع عجلات ، وقد ربطت بها أربعة فيلة ، وكان عارياً إلا من مئزر كتان مربوط بذهب ، وقد ربط على بطنه وذراعيه حلياً من ذهب . وبعد أداء هذا الرسول رسالته ، ثار ( ابرام ) Abram على Esimiphios ، وقضى على حكمه[2] .

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته ، معتمداً على الوعود التي أخذها من الملكين . غير انهما لم يفعلا شيئاً ، ولم ينفذا شيئاً مما تعهدا به للسفير . فلم يغزوا الفرس ، ولم يعين ( السميفع أشوع ) ( قيساً ) ( فيلارخاً ) على قبيلة معد . وقد تحرش Abram = Abramos بالفرس، غير انه لم يستمر في تحرشه بهم ، فما لبث أن كفّ قواته عنهم[3] .

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة ، له عند قومه مكانة ومنزلة،وعند القيصر أهمية وحظوة . ولشخصيته ولمكانة أسرته ، أرسل رسوله إلى ( السميفع ) لاقناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه . وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيده في خططه السياسية الرامية إلى بسط سلطان الروم على العرب ، ومكافحة الساسانيين .

وقد زار ( ابرام ) Abram والد ( نونوسوس ) Nonnosus الذي أرسله

---

١ Procopius, I, XX, 9-13.

٢ Bury, II, P. 325. f.

٣ Procopius, I, XX, 9-13.

( جستنيان ) Justinian إلى النجاشي وإلى اليمن وإلى معد Caisos = Kaisos ( قيساً ) هذا مرتين ، وذلك قبل سنـــة ( ٥٣٠ م ) ، وزاره ( نونوسوس ) نفسه في أثناء حكمه ، فأرسل ( قيس ) ابنه ( معاوية ) معه إلى القسطنطينية إلى ( يوسطنيان ) ، ثم استقال ( قيس ) ، وصار أخوه رئيساً على معد ، وزار القسطنطنية ، فعيّن ( فيلارخاً ) على فلسطين[1] .

ويظهر من دراسة خبر المؤرخ ( بروكوبيوس ) أن قيصر الروم المذكور كان قد أرسل رسولاً عنه إلى ( النجاشي ) وإلى ( السميفع ) ، إبان حكم السميفع لليمن ، أي قبل ثورة ( أبرام ) ( أبرهة ) عليه . ولهذا كلمه الرسول في أمر ( قيس ) ، ولكنه أخفق في اقناعه بالعفو عنه وبالاعتراف به رئيساً على معد ، فلم يعترف به الى مقتله . فلما توفي ، جاء رسول القيصر ثانية الى النجاشي والى أبرهة والى ( قيس ) بمهمة تحريضهم لمعارضة الفرس ، وتوحيد كلمتهم . وكان ( أبرهة ) على عكس ( السميفع ) على علاقة طيبة بـ ( قيس ) ، وقد قرر تنصيبه رئيساً على معد .

وقد أشار المؤرخ ( ملالا ) الى خبر الرسول الذي أرسله القيصر الى النجاشي لاقناعه بالاشتراك مع الروم في محاربة الفرس ، غير أنه لم يذكر اسم الرسول الذي أوفده القيصر الى بلاط ( أكسوم ) . وقد ذكر أن النجاشي بعد أن تغلب على ملك حمير عيّن أحد ذوي قرابته ويدعى Anganes = Aggan على الحميريين[2] . وأما ( يوحنـــا الأفسي ) ، فقد دعـــاه Abramios ، ودعاه ( ثيوفانس ) ( الحارث ) Arethas[3] .

و Esimiphaeus الذي نصبه النجاشي ملكاً على حمير بعد مقتل ملكهم اليهودي ،

---

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي ( ٤/٣٩٤ ) ،
Bury, II, P. 326, Fragmenta Historicorum Graecorum, IV, P. 179, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, P. 435.

٢ Malala, P. 456, Fell in ZDMG., 35, 1881, S. 34, ZDMG., 7, 473, Bury, II, 324, Malala, XVIII, 457.

٣ Theophanes, I, P. 377, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 35, Glaser, Mitt., S. 428, S. 69, Seper.

هو ( السميفع أشوع ) ، صاحب النص الموسوم بـ CIH 621 بين العلماء . وقد دوّنه مع أولاده : ( شرحبيل ) يكمل ) و ( معديكرب يعفر ) ، وجماعة من سادات القبائل منهم : أبناء ملحم ( ملحهم ) ، وكبراء ( كبور ) قبائل محرج سيبان ذو نف . وقد كان السميفع أشوع من ( بني لحيعت يرخم )،وكان هو وأولاده سادة ( الهت ) على : ( كلعن ) ( كلعان ) أي الكلاع و(ذ يزن) ( ذى يزان ) ( ذى يزأن ) و ( ذى جدن ) و ( مثلن ) ( مثلان ) (مطلحن) ( مطلحان ) و ( شرفن ) ( شرفان ) ( شرقان ) و ( حب ) ( حبم ) ويثعن ( يثعان ) و ( يشر ) يشرم ويزر ومكرب ( مكربم ) و ( عقهت ) ( عقهة ) و ( بزاي ) ( بزايان ) ويلجب ( يلجبم ) وغيمن ( غيمان ) ( جيمان ) ويسب وجبح وجدوى ( جدويان ) و ( كزر ) ( كزران ) و ( رخيت ) وجردان ( الجرد ) وقبيل ( قبلان ) و شرجى ( شرجا )[1] .

أما أبناء ملحهم ، فقد كانوا على وحظت ( وحظة ) و ( الهان ) ( الهن ) و ( سلفن ) ( سلفان ) ( السلف ) ، و ( ضيفتن ) ( ضيفت ) ( الضيفة ) و ( ريان ) ( رثاج ) و ( رياح ) و ( ريحن ) و ( ركب ) ( ركبن ) و ( مطلن ) ( مطلان ) و ( مطلفن ) ( مطلفان ) و ( ساكلن ) (ساكلان)، و ( زكرد )[2] .

وقد دوّنوا النص المذكور ، لمناسبة ترميمهم واصلاحهم أسوار ودروب ومنافذ وصهاريج حصن ( مويت ) ( عرمويت ) ، ( ماويت ) ( ماوية ) ، وتحصنهم فيه بعد أن جاء الحبش إلى أرض حمير ففتحوها ، وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين ، وذلك في شهر ( ذو حجت ) ( ذي الحجة ) من سنة (٦٤٠) من

---

١ CIH 621, CIH, IV, III, I, P. 54, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Mlaker, in Zeitschrift für Semitistik, VII, I, 1929, S. 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 271.

٢ Glaser, Die Abessinier, 132.

التأريخ الحميري الموافق لسنة (٥٢٥) للميلاد[١] .

ويظهر ان ( السميفع أشوع ) ، كان من أهل ( نصاب ) ، وكان قد هاجر لسبب لا نعرفه هو وأولاده الى الحبشة فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرّمويت) أي في ( حصن ماوية ) ، وأخذ يوسع من هذا الحصن أرضه ويفتح أرضين جديدة ويتقدم نحو الأرضين التي حكمها ( ذو نواس ) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبة النصرانية والحبش والروم العداء، كلفه الحبش والروم بمهاجمة (ذي نواس) وقدّموا له المساعدات المادية من عون عسكري ومالي ، ليستعين بها في تنفيذ مشروعه هذا . وأخذ يشتري القبائل ويفرض نفوذه عليها بالقوة وبالمال حتى انتهى الأمر بزوال ملك ( ذي نواس ) ، فعيّن ( السميفع ) حاكماً على اليمن ونائباً عن ملك الحبشة عليها ، الا أن ثورة وقعت فيها ، قضت على حكمه ، فولى الأحباش شخصاً آخر في مكانه . وذلك بعد السنة (٥٣١) للميلاد[٢] .

و ( شرحب ال لحمى عت يرخم ) ( شرحبيل لحيعت يرخم ) ، هو والد ( السميفع أشوع ) ، ولم يكن ملكاً ، غير أنه لم يكن من العامة ، بل كان من ( اقول ) الأقيال . وذلك لعدم ذكر لقب الملك بعد اسمه ، وعدم نص ابنه ( السميفع ) على أن والده كان ملكاً . ويجوز أن يكون للسميفع أشوع أبناء آخرون، غير الولدين : ( شرحب ال يكمل ) ( شرحبيل يكمل ) و (معديكرب يعفر ) المذكورين في النص[٣] .

وفي متحف استانبول نص وسم بـ Osma. Mus. No: 281 نشره وترجمه العالم

---

١ ( سطرو ذن مزندن بعرن مويت ) ، السطران السادس والسابع من النص ، ( عرن ) الحصن في الحميرية ، العرب قبل الاسلام لزيدان ( ١٢٥ ) ، وقد اختلف الباحثون بعض الاختلاف في قراءة أسماء الاعلام الواردة في هذا النص . السطر الحادي عشر من النص .

G. Hunt, Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab, Translated and Elucidated, 1848, Praetorius, Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXVI, 1872, S. 436, J.H. Mordtmann, Neue Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXXIX, 1885, S. 230, Von Maltzen, Reise nach Sudarabien, 1873, S. 225, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Zwei Inschriften, S. 86, M. Hartmann, Die Arabische Frage, 1909, S. 367, J. Raymond Wellsted, Travels to the City of the Caliphs, P. 21 Rodiger, Versuch, S. 13.

٢ Beiträge, S. 92, 120.

٣ Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 273.

البلجيكي ( ريكمنس G. Ryckmans ) في مجلة Le Muséon ،وردت في مطلعه جملة : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبا » ، وفي آخره عبـارة : « بسم رحمنن وبنهو كرشتش غلبن » ، ومعناها « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب »[1] . وفي هاتين الجملتين دلالة صريحة على أن السميفع أشوع كان ملكاً على سبأ وأنه كان على دين النصارى . وقد استعمل النص كلمـة ( كرشتس ) بمعنى المسيح ويستعملها أهل الحبشة كذلك . وقد أخذوها ، ولا شك من الروم . ويؤيد كون ( السميفع أشوع ) نصرانياً ، ما ذكـره المؤرخ ( بروكوبيوس ) من أن الحبشة عينت رجلاً نصرانياً من حمير اسمه Esimiphaeus ملكاً على حمير ، وذلك بعد قتل الملك الحميري الذي عذّب النصارى في بلاده ، ويقصد به ذو نواس .

ولم يكن ( السميفع أشوع ) ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيف يشاء ، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة ( أكسوم ) . يُفهم ذلك صراحـة من هذا النص الذي أتحدث عنه . جاء في السطر الثالث منه:( امراهمو نجشت اكسمن برو وهوثرن ) ، أي ( في أيام أميرهم نجاشي أكسوم بنوا وأسسوا ) . وجاء في السطر السادس : ( املكن الابحه ملك حبشت ) ، أي ( الملك الابحـة ملك الحبشة ) ، ويقصد بـ ( الابحة ) نجاشي الحبشة ( الا أصبحة ) Elle 'Asbeha الذي كان ملك الحبشة في ذلك العهد ، وعاصمته مدينة ( أكسوم )[2] .

وتعني كلمة ( نجشت ) الواردة في النص ملكاً أو أميراً في العربية ، وقـد أخذهـا العرب من الحبش ، وأطلقوهـا على ملوك الحبشة ، وهي ( نجاشي ) و ( النجاشي ) في عربيتنا ، كما أطلقوا كلمة ( قيصر ) على أباطرة الروم[3] .

وقد ذكرت في النص أسماء ( ذويزان ) ( ذو يزن ) و ( حسن) (حسان) و ( شرحبال ) ( شرحبيل ) قيل ( ذو معفرن ) ، أي قيل المعافر . و(اسودن) أي الأسود ( وسميفع ) قيل ( ذو بعدان ) ( ذ بعدن ) ، وزرعة قيل مرحبم ، أي مرحب ( المراحب ) و ( حارث ) و ( مرثد ) أمراء ( ثعبان )و(شرحبيل

---

١ Handbuch, S. 105, Note : 4, Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 165, REP. EPIG. 3904, REP. EPIG., VI, II, P. 376, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Istanbul, 7600, Bis, Conti Rossini, Storia D'Etiopia, Milano, 1925, Vol., I, P. 180.

٢ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, P. 167.

٣ Ency., III, P. 817.

يكمل )[1] . وجاء بعض هذه الأسماء في نصوص أخرى ، ومنها نص ( حصن غراب ) المتقدم وقد اشتهر بعض هذه القبائل في الإسلام .

ولدينا نص غفل من التأريخ وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 4069 ، وردت فيه جملة أسماء ، هي : ( شرحب ال يكمل ) ( شرحبيل يكمل ) و (شرحب ال يقبل ) ( شرحبيل يقبل ) ، و ( مرثد علن احسن ) ( مرثد علن أحسن) ( مرثد عـلان أحسن ) ، و ( سميفع أشوع ) أبناء ( شرحب ال لحى عت يرخم ) ( شرحبيل لحيعت يرخم ) أقيال ( اقول ) ( ذو يزان ) ( ذو يزن) و ( جدنم ) ( ذو جدن ) و ( يلجب ) و ( يصبر )[2] . ويظن أن ( السميفع أشوع ) المذكور هنا ، هو الملك الذي نتحدث عنه[3] . ولم يلقب في هذا النص بلقب ملك ، كما لم يلقب به والده كذلك . والظاهر أنه كتب قبل عهد توليه الملك . وأنه لم يكن من الأسرة المالكة ، ولكن من أبناء الذوات والأعيان .

ووردت في نهاية النص جملة « الرحمن ربّ السماء والأرض » ، وهي عبارة تختلف عن العبارات المألوفة التي نعهدها في النصوص الوثنية القديمة ، تظهر منها عقيدة التوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة بكل جلاء[4] . غير أننا لا نستطيع أن نستخرج منها أن صاحبها كان يهودياً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، أو أنه كان نصرانياً[5] . انما نستطيع أن نقول ان أصحاب هـذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

ومن الأسماء الواردة في هذا النص : ( ضيفتن ) ( ضيفت ) ( ضيفة ) و ( ريحم ) ( ريح ) ( رياح ) و (مهرت) (مهرة) وقبيلة (سبين) (سيبان)[6] . وقد تكون مهرت ( مهرة ) ، هي مهرة التي تنسب الى ( مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ) في اصطلاح النسابين[7].

ويقع ( عرمويت ) ، أي حصن ( مويت ) ( ماوية ) في جزيرة بركانية

---

١ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, PP. 167, 171.
٢ REP. EPIG., VII, I, P. 66, Boscawen, 13.
٣ Ryckmans 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Beiträge, S. 92.
٤ السطر الحادي عشر من النص .
٥ Le Muséon, LXIII, 1950, PP. 273, 274.
٦ السطران الرابع والخامس من النص .
٧ منتخبات ( ١٠٠ ) .

تسمى ( حصن الغراب ) وهو الآن خراب . وقد عثر الباحثون في أنقاضه على كتابة وسمت بـ CIH 728 دوّنها ( صيد ابرد بن مشن ) ( صيد ابرد بن مشان ) ، أحد أقيال ( بدش ) ( باداش ) . وورد فيها اسم ( قنا ) . وقد كان لهذا الحصن شأن كبير في تلك الأيام لحماية الجزيرة والميناء من الأعداء المهاجمين ومن لصوص البحر . وللدفاع عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع افريقية والهند. ولهذا اهتم ( السميفع أشوع ) وأولاده بترميمه وبإصلاحه وتقويته[1] .

وأما ميناء ( قنا ) الذي ذكرته في مواضع من هذا الكتاب ، وهو في الموضع المسمى بـ ( بير علي ) في الوقت الحاضر على رأي بعض الباحثين ، فقد كان من الموانىء المهمة على البحر العربي . وقد كان مرفأ للتجارة الآتية من الشمال ، أو من البحر لارسالها الى ( شبوة ) ومواضع أخرى في شمال هذا الميناء[2] .

ومما يلاحظ أن المواضع الآثارية التي على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب قليلة معدودة . وتكاد تنحصر في أرض عدن وأبيَن وحصن الغراب وفي مواضع من أطراف ( ظفار ) وحول ( المكلا ) و ( الشحر ) وساحل مهرة . مع أن السواحل هي من المواضع التي يجب أن تكون في العادة عامرة بالمدن والمرافىء بسبب سهولة اتصالها بالعالم الخارجي ، ووقوعها على طرق مائية تجلب اليهن السفن والناس . والظاهر أن وخامة الجوّ في هذه السواحل وصعوبة حماية الساحل من لصوص البحر ، وتفشي الأمراض ، وملوحة المياه الجوفية ، وأسباباً أخرى ، كانت في جملة ما حال بين الناس وبين بناء المدن على هذه السواحل[3] .

وقد اشتهرت ( ظفار ) بأنها المرفأ المعد لتصدير اللبان والمرّ وحاصلات البلاد العربية الجنوبية الأخرى . وكان محاطاً بسور . أما المواضع الأخرى ، فلم تكن مسوّرة في الغالب . وقد أشار ( كرب ايل وتر ) في أخباره عن حروبه في السواحل الجنوبية أنه خرب مدينة ( تفض ) في ( أبين ) ، وأحرق مواضع أخرى على البحر ، يظهر أنها لم تكن مسوّرة . ويظهر أن هذه السواحل لم تكن مأهولة مثل الأرضين الشمالية العالية ، فلم يعثر الباحثون على كتابات كثيرة فيها

---

١ Beiträge, S. 91.
٢ Beiträge, S. 93.
٣ Beiträge, S. 87.

حتى الآن . وصارت مدينة ( عدن ) ومدينة ( قنـا ) من أهم المرافىء عـلى الساحل الجنوبي[1] .

هذا ولا بد لي هنا من الإشارة الى كتابة حبشية ناقصة عثر عليها (أحمد فخري) سنة (١٩٤٧م) بمأرب ، فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن ، وإن لم ينص على ذلك نصاً . ويظن أنها تشير الى استيلاء ( الا اصبحة ) النجاشي على اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وانتصاره على ( ذي نواس )[2] .

ويظهر من هذه الكتابة أن حملة الحبش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن: تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي السـذي كان قد احتجز سفينة خاصة به ، فعبرت به باب المندب ورست عند ساحل اليمن . وكانت سفينـة النجاشي أول سفينة بلغته ، ثم تلتها بقية السفن . وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رست السفن فيه ، ولعلّه ( مخا ) . فوقعت معارك بين الحبش وبين الحميريين ، انتصر فيها الأحباش فأخـذوا أسرى وغنائم . ولما كان النص ناقصاً وقد طمست من الكتابة الباقية منه كلمات ، فقد صار غامضاً مقتضباً،لا يفهم منـه إلا إشارات[3] .

**أبرهة :**

و Abraham و Abramios ، هما اسمان لمسمى واحد ، أريد به (أبرهة) المشهور عند أهل الأخبار الذي اغتصب الملك باليمن ، ونصب نفسه حاكماً عليها، ولقب نفسه بألقاب الملوك ، وإن اعترف اسمياً بأنه ( عزلى ملكن اجعزين ) ، أي ( نائب ملك الأجاعزة ) على اليمن[4] . وحكم اليمن أمداً ، وترك في نفوس اليمانيين اثراً قوياً .

ويرى بعض الباحثين أن ( كالب ايلا أصبحة ) ، كان قد أرسل حملة سنة (٥٢٣) للميلاد على اليمن ، حملتها اليها سفن بيزنطية ، نزلت في البـلاد وتغلبت على ( ذي نواس ) فهـرب ( ذو نواس ) من ( ظفـار ) ، ثم عاد فباغت

---

١ Beiträge, S. 88.
٢ Die Araber, III, S. 24.
٣ Die Araber, III, S. 24.
٤ راجع السطر الخامس من النص .

الحبش وأنزل بهم خسائر كبيرة ، واضطهد النصارى وعذّبهم . فحمل النجاشي على ارسال حملة جديدة عليه نزلت اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وصارت في أيدي الحبش حتى سنة (٥٣٠) للميلاد . اذ قامت ثورة على الحبشة ، وانتهز (أبرهة) الفرصة ، فأخذ الأمر بيديه ، وبقي حاكماً على اليمن منذ هـذا الوقت تقريباً حتى سنة (٥٧٥) للميلاد . وكان قد انتزع الحكم من ( السميفع أشوع ) ، الذي نصّبه الحبش ملكاً على اليمن حين دخولهم اليها وعيّنوا رجلين من الحبش يحكمان معه ويراقبان أعماله لئلا يقوم بعمل يضر مصالحهم[1] .

ولأهل الأخبار روايات عن كيفيـة استئثار ( أبرهة ) بالحكم واغتصابه له . لهم رواية تقول : إنه جاء الى اليمن جندياً من جنود القائد الحبش (أرياط) الذي كلفه نجاشي الحبشة بفتح اليمن ، فلما أقام باليمن سنين ، نازعـه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ، حتى تفرقت الحبشة ، وخرج أبرهة على طاعة قائده ، ثم غدر به وأخذ مكانه[2] . ورواية أخرى ، تقول إن النجاشي أرسل جيشاً قوامه سبعون ألفاً ، جعل عليه قائدين ، أحدهما : أبرهة الأشرم[3] . فلما ركب ذو نواس فرسه واعترض البحر فاقتحمه وهلك به ، نصب أبرهة نفسه ملكاً على اليمن ، ولم يرسل له شيئاً ، فغضب النجاشي ووجه اليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث اليه أبرهة : « إنه بجمعني واياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننـا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأينا ظفر بصاحبه كان الملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا». فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به . فاتعدا موضعاً يلتقيـان به ، واكمن أبرهة لأرياط عبداً يقال له : « أرنجده ، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحربته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه ، فسمي الأشرم ، ونهض أرنجده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله »[4] . وأخذ أبرهة الحكم لنفسه ، واستأثر به .

---

١ J. Ryckmans, L'Inst., P. 320, Grohmann, S. 31.

٢ الطبري ( ٢/١٢٥ ) ( دار المعارف ) .

٣ الطبري ( ٢/١٢٧ ) ( دار المعارف ) .

٤ وذكر الطبري في خبر آخر أن اسم العبد الذي قتل أرياط ( عتودة ) الطبري ( ٢/١٢٨ ، ١٢٩ ) .

وتذكر رواية أخرى ، أن النجاشي كان قد وجه أرياط أباصحم ( ضخم ) في أربعة آلاف الى اليمن ، فأداخهـا وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجـل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا الى طاعته . فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن[1] .

وتذكر رواية أن ( أرياط ) أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبينون وغمدان ، حصوناً لم يكن في الناس مثلها . ونسبوا في ذلك شعـراً إلى ( ذي جدن ) ، زعموا أنه قاله في هذه المناسبة[2] . ويظهـر من روايات أخرى أن تلك الحصون بقيت إلى ما بعد أيامه . وذكر أن (أرياط) كان فوق أبرهة ، أقام باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ، ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك[3] .

وتجمع روايات أهل الأخبار على أن النجاشي غضب على أبرهة لما فعله باليمن ولما أقدم عليه من قتل أرياط ، وأنه حلف ألاّ يدع أبرهـة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته ، ويهرق دمه . فلما بلغ ذلك أبرهة ، كتب إلى النجاشي كتاباً فيه تودد واعتذار وتوسل واسترضاء ، فرضي النجاشي عنه ، وثبته على عمله بأرض اليمن[4] .

ولما استقام الأمر لأبرهة باليمن ، بعث إلى ( أبـي مـرة بن ذي يزن ) ، فنزع منه امرأته ( ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان ) ، و (علقمة) هو ذو جدن . وكانت ولدت لأبي مرّة معديكـرب بن أبـي مـرّة ، وولدت لأبرهة بعد أبـي مـرّة مسروق بن أبرهـة ، وبسباسة ابنـة أبرهة . وهرب منه أبو مرة[5] .

ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتأريخ . وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ، وضرب به المثل في القوة والصيت والسلطان ، حتى لنجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم ( أبرهة ) ذكـروا أنهم حكموا اليمن .

---

١ الطبري ( ٢/١٣٧ ) ( دار المعارف ) ، أخبار مكة ، للازرقي (١/٨١ وما بعدها) ، ( ١/٨٨ ) ، ( طبعة خياط ) .
٢ الطبري ( ٢/١٢٥ ) ، ( دار المعارف ) .
٣ أخبار مكة ، للازرقي ( ١/٨٧ ) ، ( خياط ) ، الطبري ( ٢/١٢٨ ) ( سنين ) ، ( دار المعارف ) .
٤ الطبري ( ٢/١٢٨ وما بعدها ) ( دار المعارف ) .
٥ الطبري ( ٢/١٣٠ ) ( دار المعارف ) .

والظاهر أن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه القبائل العربية واستعماله القسوة معها، أحاطته بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد ، فأحيط بقصص وأساطير وصير من اسمه جملة حكام حكموا باسم ( أبرهة ) .

فقد ذكروا اسم ( أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ ). وكان يقال له ( الرائد )[1] . وجعلوا لأبرهة هذا ولدين ، هما : إفريقس ، والعبد ذو الأذعار . وأولد إفريقس شمر يرعش[2] . وذكروا ( أبرهة ) آخر ، قالوا له : ( أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة ) . وسمّى ( الهمداني ) جملة رجال ( أبرهة ) ، وأدخلهم في ( الأصابح )[3] . ويظهر من دراسة اسم (أبرهة) ونعته في الحبشية أن الأخباريين أخذوها فصيّروا منها أسماء عربية ربطوا بينها وبين تأريخ اليمن كما فعلوا مع أشخاص آخرين .

وقد ضرب ( لبيد بن ربيعة العامري ) المثل بـ ( أبي يكسوم ) وهو أبرهة في وجوب الاتعاظ بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد ، فقال :

لو كان حيّ في الحياة مُخلداً ... في الدهر ألقاه أبو يكسوم[4]
والتُبّعان كلاهما ومُحَرِّق ... وأبو قبيس فارس اليحموم[5]

وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية ، وهي النص الذي وسم بـ Glaser 618 وبـ CIH 541 عند الباحثين في العربيات الجنوبية[6] . وهي ثاني نص طويل يصل الينا من اليمن ، يتألف من (١٣٦) سطراً ومن حوالي (٤٧٠) كلمة[7] .وتبحث عن ترميم سدّ مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص

---

١ الطبري ( ٢/٥٦٦ ) ( دار المعارف ) ، ( ٢/١١١ ) .
٢ الاكليل ( ٢/٥٣ ) .
٣ الاكليل ( ٣/١٤٣ ) .
٤ ديوان لبيد ( ص ١٠٨) ، ( الكويت ١٩٦٢ م ) .
٥ الاكليل ( ٢/١٥٩ ) .
٦ Glaser 618, (+ 553 + 555 + 556), CIH 541, CIH, IV, II, III, P. 278, Glaser, Zwei Inschriften uber den Dammbruch von Mareb, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, , 1897, S. 390, Seper., S. 31-126, Ryckmans, 506, Jamme 546, A. J. Drewes, Inscriptions de L'Ethiopie Antique, 1962, 71, 1961, 65.
٧ Handbuch, S. 106, Die Araber, I, S. 587, Le Muséon, 66, 1953, P. 340, Beeston, in BSOAS, 16, 1954.

العربي وتجديده مرتين ، وذلك في أيام أبرهة . المرة الأولى في شهر (ذو المدرح) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة (٥٤٢) للميلاد ، والثانية في شهر ( ذو معان ) ( ذ معن ) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحميري ، أي في سنة (٥٤٣) من الميلاد[1] .

وقد افتتح النص بالعبارة الآتية : « بحيل وردا ورحمت رحمنن ومسحو ورح قدس سطرو ذن مزندن . ان ابره عزلى ملكن اجعزين رمحز زبيمن ملك سبأ وذ ريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت »[2] أي « بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزيين رمحز زبيمان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وأعرابها في النجاد وفي تهامة » . ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حمير قبل سقوط دولتهم ، مع أنه كان ( عزلى ملكن اجعزين ) ،أي نائب ملك الجعزين . والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي أكسوم غير الاسم ، حتى أنه دعاه في هذا النص بـ ( ملك الجعز ) حسب[3] .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها ( يزد بن كبشت ) ( يزيد بن كبشة ) من السادات البارزين في اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتي ( كدت ) و ( دا )[4] ، غير أنه ثار عليه لسبب لم يذكر في النص ، وأعلن العصيان . وانضم اليه أقيال (اقول) سبأ و (اسحرن)،وهم : ( ذو سحر ) و ( مرّة ) و ( ثمت ) ( ثمامة ) و ( حنش ) ( حنشم ) و ( مرثد ) و ( حنف ) ( حنفم ) ( حنيف ) و ( ذ خلل ) ( ذو خليل ) و ( ازانن ) ( الأزان ) والقيل ( معديكرب بن سميفع ) ، و ( همن ) ( همّان ) واخوته أبناء أسلم . فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع ( أبرهة ) ، سيّر اليه جيشاً بقيادة ( جرح ذزبنر ) ( جراح ذو زبنور ) ، فلم يتمكن أن يفعل شيئاً ، وهزمه

---

١ F. Praetorius, Bemerkungen zur den beiden grossen Inschriften vom Dammbruch zu Marib, in ZDMG., 1899, 5, 15.

٢ السطور الاولى من النص : CIH 541, Glaser 618.

٣ Glaser, Zwei Inschrifttten uber den Dammbruch von Marib, II, 1897, S. 421.

٤ ( خلفتهوذ ستخلفو على كدت ردا ) ، السطر الحادي عشر من النص ، Glaser, Zwei, S. 401, 413, Seper., 42, 54.

(يزيد) ، واستولى على حصن (كدر) (كدار) ، وجميع من أطاعه من (كدت) (كدة) ومن (حريب) حضرموت وهاجم ( هجن اذمرين ) ( هجان الذماري ) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع ( عبرن ) ( عبران ) ( العبر ) . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بارسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه ، فجهز في شهر ( ذ قيضن ) ( ذو القيض ) ( ذو قيضان ) من سنة (٦٥٧) من التقويم الحميري أي سنة (٥٤٢) للميلاد جيشاً لجباً من الأحباش والحميريين ، وجهه نحو أودية ( سبأ ) و ( صرواح ) ثم ( نبط ) على مقربة من (الوادي) ( عبرن ) ( عبران ) ( العبر ) . وفي ( نبط ) جعل أهل ( الو ) ( الوى ) و ( لمد ) والحميريين في المقدمة . أما القيادة ، فكانت بأيدي القائدين: (وطح) ( وطاح ) و ( عوده ) ( ذو جدن ) . وبينما كان الجيش في طريقه لحرب ( يزيد بن كبشة ) إذا به يظهر مع عدد من أتباعه أمام ( أبرهة ) يطلب منه العفو والصفح . أما الباقون،فقد تحصنوا في مواضعهم ، وأبو الخضوع والاستسلام.

وبينما كان أبرهة يفكر في أمر بقية الثائرين إذا به يسمع بخبر سيء جداً ، هو تصدع سد ( مأرب ) وتهدم بعض توابعه ، وذلك في شهر ( ذ مذرن ) ( ذو مذران ) ( ذو المذرى ) من سنة (٦٥٧) من تقويم حمير ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد . فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدد أجل ذلك بشهر ( ذ صربن ) ( ذو الصرب ) من السنة نفسها . وفي أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر أنه هو الذي أمر ببنائها، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ . ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السدّ لوضع أسسه واقامته مستعيناً بحمير وبجنوده الحبش ، ولكنه اضطر بعد مدة الى السماح لهم باجازة ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون اليه ، وليريحهم مدة من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تذمر العشائر التي لم تتعود مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة . ورجع أبرهة في أثنائها إلى مأرب ، فعقد معاهدة مع أقيال سبأ وتحسنت الأحوال ، وأرسلت اليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت اليه جموع من الفعلة وأبناء العشائر ، فعاد إلى العمل بهمة وجد، فأنجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طوله خمسة وأربعين ( أمماً ) ، أي ذراعاً ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين ( أمماً ) . أما عرضه ، فكان أربع عشرة ذراعاً ، بني بحجارة حمر من ( البلق ) . وانجزت أعمال قنواته وأحواضه والمشروعات الفرعية

المتعلقـــة به في ( خبشم ) ( خبش ) وفي ( مفـــلم ) ( مفلل ) ( مفلول ) . وقد دوّن أبرهة في نهاية النص ما أنفقه على بناء هذا السد من أموال، وما قدّمه إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام واعاشة من اليوم الذي بدىء فيه بالانشاء حتى يوم الانتهاء منه في شهر ( ذو معن ) ( ذو معان ) من سنة (٦٥٨) الموافقة لسنة (٥٤٣) للميلاد .

مدينة مأرب ، وتقع على أنقاض مأرب القديمة
من كتاب : (Qataban and Sheba)

ويظهـر من النص أن ثورة ( يزيد بن كبشة ) ( يزد بن كبشت ) كانت ثورة عنيفة قوية،وأنها شملت حضرموت و (حريب) و ( ذو جدن ) و (حباب) عند ( صرواح ) . ولكنها فشلت وتغلب أبرهة عليها بمساعدة قبائل يمانية ذكرها في النص[1] .

أما ( يزيد بن كبشة ) فلا نعرف من أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً، وهو ما ذكره أبرهة في نصه عنه ، من أنه عيّنه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة ( كدت ) ( كدة ) . وهي كندة على رأي أكثر العلماء[2] .

---

١ Beiträge, S. 121.
٢ Glaser, Mitt., S. 434.

وأما الأقيال الذين انضموا اليه وساعدوه ، وهم : ( ذو سحر ) و (مرّة) و ( ثمامة ) و ( حنش ) و ( مرثد ) و ( حنيف ) وآل ذو خليل وذو يزان ( ذ يزن ) ( ذو يزن ) ، و ( معديكرب بن سميفع ) و ( هعن ) ( هعّان ) واخوته أبناء أسلم . فهم يمثلون على الجملة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ . فآل ذو خليل وذو سحر ، من الأسر التي ذكرت أسماؤها في النصوص المدونة قبل الميلاد . وقد أرخ بأسرة ( ذي خليل ) في نصوص المسند ، وذكروا في كتابات السبئيين العتيقة التي تعود إلى أيام المكربين . وكان لهم في أيامهم شأن يذكر في تأريخ سبأ ، إذ كان منهم المكربون[1] . وذكر ( الهمداني ) اسم جماعة يقال لهم ( البحريون ) ، قال : انهم من ولد ذي خليل من حمير[2] .

وليس من السهل تشخيص ( مرّة ) و ( ثمامة ) ، فهما من الأسماء المتعددة المذكورة في الكتب العربية . وقد أشير إلى ( ثمامة بن حجر ) ملك ( قصر الهدهاد ) في ( عمران )[3] . وذكر الهمداني ( بني ثمامة ) وقال : إن جبأ مدينة المعافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر[4] ، فهل يكون لهؤلاء صلة بـ ( ثمامة ) النص ؟

وذكر بعض الأخباريين اسم ملك من ملوك اليمن سمّوه ( مرثداً ) زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم قسم منهم أنه حكم مدة قصيرة بعد ( ذي نواس ) ، فهل صاحب هذا الاسم هو ( مرثد ) المذكور في النص ؟ ولا عبرة بالطبع بما ذكر من أنه كان ملكاً ، فقد كان من عادة الأقيال والأذواء التلقب بلقب ملك[5] .

وورد ( ذو مراثد بن ذو سحر ) ، في الموارد العربية[6] ، فجمعت بين ( مراثد ) و ( سحر ) ، وورد اسم ( سحر ) واسم مرثد في النص ، فهل هنالك صلة بين هذه الأسماء ؟

ويرى ( كلاسر ) أن ( ازان ) ، هم ( يزن ) ، ومنهم ( سيف بن

---

١ Glaser, Mitt., S. 456.
٢ الصفة ( ١١٢ ) .
٣ Glaser, Mitt., S. 458.
٤ الصفة ( ٥٤ ) .
٥ Glaser, Mitt., S. 100.
٦ Glaser, Mitt., S. 100.

ذى يزن ) الذي ثار على الحبش،واستعان بالفرس لانقاذ بلاده من أيدي الأحباء

وأما معديكرب بن سميفع ، فيرى الباحثون أنه ابن ( السميفع أشوع )[2]. جاء اسمه بين أسماء الأقيال الذين ثاروا على أبرهة ، وانضموا الى ثورة ( ابن كبشة ) . فهو من الأقيال الحاقدين على أبرهة لاغتصاب أبرهة الملك والده . ولهذا انضم الى ( يزين بن كبشة ) سيد ( كدت ) ( كندة ) وحـ معه الحبش[3] .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب قضي على عصيان الأقيال الذين انضموا ثورة ( يزيد ) ، وأبوا الخضوع لحكم أبرهة بعد استسلام يزيد وخضوعه.وكـ استسلمت قبيلة كدار ( كيدار ) ( كدر )[4] ، وتحسن موقفه بذلك كثير وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر . أما الذين ساعدوه وآزروه وعاونوه واا حوله ، فهم : ذو معاهر[5] و ( بن ملكن ) ابن الملك[6] ومرجزف وذو ذر وعدل ( عادل ) و ذو فيش ، وذو شولمان ( ذو الشولم )[8] و ( ذو شعبان ( ذو الشعب ) وذو رعين ( ذرعن ) ، و ( ذو همدان )[10] و( ذو الكلاع )[11] و ( ذ مهدم ) ( ذو مهد ) و ( ذ ثت ) ( ذو ثت ) ( ذو ثات )و(علـ و ( ذو يزان ) ( ذ يزن ) ( ذو يزن ) ، و ( ذو ذبين ) ( ذو ذبيا و ( كبر حضرموت ) كبير حضرموت ، وذو فرنة ( ذ فرنة ) . وقد ذ النص انهم كانوا إلى جانب الملك ، وانهم كانوا على ود وصداقة معه . و بالطبع من أسر عريقة ، ومن كبراء القوم ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم النصوص المدونة قبل الميلاد .

---

١ Glaser, Mitt., S. 101.
٢ Handbuch, S. 106.
٣ Beiträge, S. 93.
٤ ( كدر ) في النص ، السطر ٣٤ من النص .
٥ ( ذ معهر ) في النص السطر ٨٢ .
٦ ( بن ملكن ) السطر ٨٣ .
٧ ( ذ ذرنح ) ، السطر ٨٣ من النص .
٨ ( ذ شولمن ) ، السطر ٨٤ من النص .
٩ ( ذ شعبن ) ، السطر ٨٤ من النص .
١٠ ( ذ همدن ) ، السطر ٨٥ من النص .
١١ ( ذ كلعن ) ، السطر ٨٥ من النص .

ولم يذكر في هذا النص اسم ( كبر حضرموت ) ، أي كبير حضرموت الذي كان يحكم حضرموت في أيام أبرهة ، ويظهر من ذكره مع الرجال الذين حضروا إلى مأرب أنه كان تابعاً لأبرهة ، أو أنه كان حليفاً له[1] .

وتدل جملة ( بن ملكن ) ، على أن المراد بها ( ابن الملك ) ، أي ( ابن أبرهة ) ، ولم يشر النص إلى اسمه . فلعله قصد أكبر أولاده . ويرى البعض انه كان يحكم (وعلان) ( ذو ردمان ) ، وانه كان يلقب بـ (ذ معهر) ( ذو معاهر ) ( ذو معهر ) . وقد أشار ( الهمداني ) إلى ( ذي المعاهر ) . وذكر انه قصر ( وعلان ) بـ ( ردمان )[2] .

وفي اثناء وجود أبرهة في مأرب ، وفدت اليه وفود من النجاشي ومن ملك الروم ( ملك رمن ) ومن ملك الفرس ( ملك فرسن ) ، ورسل من ( المنذر ) ( رسل مذرن ) ومن ( الحارث بن جبلة ) ( رسل حرثم بن جبلت ) ومن ( أب كرب بن جبلة ) ( أبكرب بن جبلة ) ( رسل ابكرب بن جبلت )ومن رؤساء القبائل[3] . ويلاحظ ان النص قد قدّم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم ملك الروم على ملك الفرس ، ثم ذكر من بعد ملك الفرس اسم المنذر والحارث ابن جبلة وأبي كرب بن جبلة ( ابكرب بن جبلت ) . أما تقديم النجاشي على غيره فأمر لا بد منه ، وذلك لسيادة الحبشة ولو بالاسم على اليمن ، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة اكسوم عليه . وفي ارسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية ، دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم ، واستقلاله في ادارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل ، يستقبل وفود الدول ورسلهم ومن بينهم وفد من ملك قامت حكومته بغزو اليمن والاستيلاء عليها . وأما تقديم ملك الروم على ملك الفرس ، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن ، فللروم الأسبقية والأفضلية اذن على الفرس .

ويلاحظ أيضاً أن النص قد استعمل كلمة ( محشكت ) للوفد أو الرسل الذين جاؤوا الى أبرهة من النجاشي ومن ملك الروم ، فكتب ( محشكت نجشين )

---

١ Glaser, Mitt., S. 467.

٢ Beiträge, S. 39.

٣ السطر ٨٨ من النص ، وما بعده الى السطر ٩٣ .

و ( محشكت ملك رمن ) أي ( رسل النجاشي ) ( سفراء النجاشي ) ( سفير النجاشي ) و ( رسل ملك الروم ) . وتعني كلمة ( محشكت ) في اللغة السبئية ( الزوجة ) ، فعبّر في هذا النص بهذه الكلمة عن معنى ( سفير ) ( سفراء ) و ( رسل حكومة صديقة مقربة ) ، فلها إذن هنا معنى دبلوماسي خاص[1] . أما بالنسبة الى رسل ( ملك الفرس ) ، فقد أطلق عليهم كلمة ( تنبلت ) ، فكتب ( تنبلت ملك فرس ) ، أي ( وفد ملك الفرس ) وذلك يشير الى أن لهذه الكلمة معنى خاصاً في العرف السياسي يختلف عن معنى ( محشكت ) ، وأن الوفد لم يكن في منزلة وفدي الحبشة والروم ودرجتها .

ولقد أحدث مجيء مندوب النجاشي ( رمحيز زبيمن ) ومندوب ملك الروم ومبعوث ملك الفرس،ورسل المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة وأبي كرب ابن جبلة ، أثراً كبيراً ولا شك في نفوس العرب الجنوبيين ، وفي نفوس الأقيال وقبائلهم ، فمجيء هؤلاء الى اليمن ، وقطعهم المسافات الشاسعة ، ليس بأمر يسير ، وفيه أهمية سياسية كبيرة . وفيه تقدير لأبرهة ولمكانته في هذه البقعة الخطيرة المسيطرة على البحر الأحمر وفمه عند باب المندب ، وعلى المحيط الهندي . كما أحدثت الأبهة التي اصطنعها أبرهة لنفسه في اليمن . والقوة التي جمعها في يديه أثراً كبيراً ولا شك أيضاً في نفوس المبعوثين الذين قطعوا تلك المسافات للوصول إلى عاصمة سبأ ذات الأثر الخالد في النفوس[2] .

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين الى أبرهة لمجرد التهنئة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة . ولكن لأمور أخرى أبعد من هذه وأهم ، هي جرّ أبرهة الى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى ، وخنق التجارة في البحر الأحمر ، أو توسيعها ، ومن وراء ذلك اما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، واما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، جبهتين : جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية : الروم والفرس . ولكل طبّالون ومزمرون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبّلون ويزمرون ، ويرضون أو يغضبون ، ويثيبون أو يعاقبون إرضاء

---

١ Glaser, Mitt., S. 408, Praetorius, in ZDMG., 48, S. 650.

٢ Glaser, Mitt., S. 421.

للجبهة التي هم فيها ، وزلفى اليها وتقرباً . لقد سخر الروم كل قواهم السياسية للهيمنة على جزيرة العرب ، أو ابعادها عن الفرس وعن الميالين اليهم على الأقل. وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب . وعمل المعسكران بكل جد وحزم على نشر وسائل الدعاية واكتساب معركة الدعاية والفكر ، ومن ذلك التأثير على العقول . فسعى الروم لنشر النصرانية في الجزيرة ، فأرسلوا المبشرين وساعدوهم ، وحرضوا الحبشة على نصرها ونشرها ، وسعى الفرس لنشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم والحبشة ولتأييد اليهودية أيضاً، وهي معارضة لسياسة الروم أيضاً . ولم يكن دين الفرس كما نعلم نصرانياً ولا يهودياً ، وإنما هو دين بغيض إلى أصحاب الديانتين . ولم يكن غرض الروم من بث النصرانية أيضاً خالصاً لوجه الله بريئاً من كل شائبة .

أما النجاشي الذي أرسل الوفد إلى أبرهة فاسمه ( رمحيز زبيمن ) (رمحيز زبيان) كما ذكر ذلك أبرهة نفسه . ولا يعرف من أمر هذا النجاشي شيء كثير ، ولا يعرف كذلك أكان قد خلف النجاشي ( كالب ايلا أصبحة ) Kaleb Ela Asbeha الذي بأمره كان الفتح،أم كان خلفاً لخليفته[1] . وقد أشرت من قبل إلى ما ذكره ( بروكوبيوس ) وأهل الأخبار عن التوتر الذي كان بين نجاشي الحبشة وأبرهة، وعن امتناع أبرهة عن دفع جزية سنوية اليه . ويظهر ان أبرهة رأى أن من الخير له مصالحة النجاشي والاعتراف بسلطانه اسمياً ، وفي ذلك كسب سياسي عظيم ، كما هو كسب للنجاشي ولو صورياً ، فدفع الجزية له ، وتحسنت العلاقات .

وأما ( ملك رمن ) ملك الروم ، فلم يذكر ( أبرهة ) اسمه في نصه . ولكن يجب أن يكون هو القيصر ( يوسطنيانوس ) Justinian الذي حكم من سنة(٥٢٧) حتى سنة (٥٦٦) للميلاد ، وكان حكمه بعد حكم ( يسطين ) الذي ولي الحكم من سنة (٥١٨) حتى سنة (٥٢٧) للميلاد . وكان ( يوسطنيانوس ) ( يوسطنيان) قد وضع خطة للتحالف مع الحبش ومع حمير للإضرار بالفرس . وراسل ( السميفع أشوع ) Esimiphaeus للاتحاد معه ولمحاربة الفرس . فلما تولى ( أبرهة ) الحكم عاد القيصر فاتصل به ، وتودد اليه لتنفيذ ما عرضه على ( السميفع أشوع )

---

١ Glaser, Mitt., S. 427.

من مهاجمـــة الفرس . فوافق أبرهة على ذلك ، وأغار عليهم ، غير أنه ترجع بسرعة[1] .

وأما ( حرثم بن جبلت ) ، فهو الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ، وأمـــا ( ابكرب بن جبلت ) ، فإنه Abochorabus المذكور في تأريخ (بروكوبيوس). وقد ذكر هـذا المؤرخ أن القيصر ( يوسطنيانوس ) ( يوسطنيان ) Justinian كان عينـــه عاملاً ( فيلارخا ) Phylarch عـــلى عرب السرسين Saracens بفلسطين ، وأنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية ، تمكن من تأمين الحـدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، ويجاور عربها عرب آخرون يسمون ( معديني ) ( معدّ ) Maddeni هم أتباع لـ ( حمير ) Homeritae[2] .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقرّبه اليه وفي إكرامه له ، فنزل له عن أرض ذات نخل كثير ، عرفت عنـد الروم بـ Pholnikon ( واحة النخيل ) ، أو (غابة النخيل ) وهي أرض بعيدة ، لا تُبلغ إلا بعـــد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ ( بروكوبيوس ) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا الرئيس عاملاً ( فيلارخاً ) على عرب فلسطين[3] .

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسية بالروم كذلك ، هو ( امرؤ القيس ) Amorkesos الذي سبق ان تحدثت عنه في كلامي على علاقة العرب بالبيزنطيين .

و ( غابة النخيل ) التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة (معد) Maddenoi ، وكانت معد كما يظهر من أقوال المؤرخ ( بروكوبيوس ) خاضعة في عهده لحكم الحميريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى ( السميفع أشوع ) ليوافق

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 36.

٢ Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437.

٣ Procopius, I, XIX, 2-16, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 428, Musil, Hegay, P. 307.

على تعيين ( قيس ) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على ( أبرهة ) ، فسيّر اليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر ( أبرهة ) بكتابتها لهذه المناسبة . أدّبها بقوة سيّرها اليها في شهر ( ذو ثبّتن ) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن تأدبت وخضعت ، اعترف ( أبرهة ) بحكم ( عمرو بن مذر ) عليها ، وتراجعت القوة عنها[1] .

و Maddenoi ، هي قبيلة Ma'addaya التي ذكرها ( يوحنا الأفسوسي ) John of Ephesus مع ( طيابة ) Taiyaye في كتابه الذي وجّهه إلى أسقف ( بيت أرشام ) Beth Arsham ،ويظهر من هذا الكتاب أن عشائر منها كانت مقيمة في فلسطين .

وفي القرآن الكريم سورة ، أشارت إلى سيل العرم ، هي سورة سبأ ، ورد فيها : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنّات عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنيتهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل»[2]. ولم يحدد المفسرون الوقت الذي تهدّم فيه السد[3] .

ولـ ( أبرهة ) نص آخر ، كتبه بعد النص المتقدم ، لمناسبة غزوه ( غزيو ) ( معداً ) ، في شهر ( ذ ثبّتن ) ( ذى ثبت ) ( ذى الثبت ) ( ذى الثبات) من شهور سنة (٦٦٢) من التقويم الحميري الموافقة لسنة ( ٥٤٧ ) أو ( ٥٣٥ ) للميلاد . وهذا النص عثرت عليه بعثة ( ريكمنس ) مدوّناً على صخرة بالقرب من بئر ( مريغان ) . فوسم بـ Ryckmans 506 . وقد ترجمه ( ريكمنس ) G. Ryckmans الى الفرنسية ، ثم الى لغات أخرى[4] .

---

١ Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4, P. 277, Ryckmans, No. 506.

٢ سورة سبأ ، الآية ١٥وما بعدها .

٣ تفسير الطبري ( ٢٢/٥٢ وما بعدها ) ، تفسير النيسابوري ( ٢٢/٥٠ وما بعدها ) ، ( حاشية على تفسير الطبري ) تفسير الالوسي ( ٢٢/١١٥ ) .

٤ تأريخ العرب قبل الاسلام ( ٤/٣٩٦ وما بعدها ) ،
Le Muséon, 66, 1953, P. 275, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, Vol., XVI, Part, 3, P. 435, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 27, Sidney Smith, Events in Arabia in the 6th Century A. D. BSOAS, 1954, P. 435, A. F. L. Beeston, Notes on the Muraighan Inscriptions, in BSOAS, 1954, P. 389.

وفي النص مواضع طمست فيها معالم بعض الحروف ، عزّ بذهابها فهم المعنى وضبط الأعلام . كما أن فيها بعض تعابير معقدة ، عقدت على من عالجه فهم المعنى فهماً واضحاً ، ثم هو نص قصير لا يتجاوز عشرة أسطر ، واختصر وصف الحوادث حتى صيّره وكأنه برقية من برقيات ( التلغراف ) ، ولكنه مع كل هذا ذو خطر بالغ ،لأنه يتحدث عن حوادث لم نكن نعرف عنها شيئاً ، ويصف الأوضاع السياسية في ذلك العهد ، ويشير الى اتصال ملوك الحبرة بالحبش والى سلطان حكّام اليمن على القبائل العربية ، مثل معدّ ، مع أنها قبائل قوية وكثيرة العدد . وهو مما يؤيد رواية أهل الأخبار في أنه كان لليمن نفوذ على قبائل معدّ وأن تبابعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكّام على تلك القبائل .

وقد تلقب ( أبرهة ) في هذا النص كما تلقب في نص سدّ مأرب بلقب الملك الذي كان يتلقب به ملوك اليمن ، وهو : ( ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ( اليمن ) وأعرابها في النجاد ( طودم ) وفي المنخفضات ( تهمّم ) ، ( تهامة ) ، كما افتتحه بجملة : ( بخيل رحمنن ومسحهو ) ، أي ( بحول الرحمن ومسيحه ) ، وقد سبق لـ ( ابرهة ) أن افتتح نصه الذي دوّنه على (سد مأرب) بجملة : ( بخيل ودا ورحمت رحمنن ومسحهو ورح قدس ) ، ومعناها : (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس ) ، والجملتان من الجمل التي ترد في نصوص اليمن لأول مرة،وذلك بسبب كون أبرهة نصرانياً ، وقد صارت النصرانية في أيام احتلال الحبش لليمن ديانة رسمية للحكومة ، باعتبار أنها ديانة الحاكمين . وعرف ( أبرهة ) في النصين بـ ( ابره زيبمن ) ، أي ( أبرهة زيبمان ) ، ولفظة ( زي ب م ن ) ( زيبمن ) من ألقاب الملك في لغة الأحباش[1] .

واليك هذا النص كما دوّنه ( ريكمنس ) عن النص الأصيل :

« بخيل رحمنن ومسحهو ملكن ابره زبيمن ملك سبا وذ ريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت سطرو ذن سطرن كغزيو معدم غزوتن ربعتن بورخن ذ ثبتن كقسدو كل بنيعمرم وذكى ملكن ابجر بعم كدت وعل وبشرم بنحصنم بعم سعدم و م . خ ض . و وضرو قدمى جيشن على بنيعمرم كدت وعلى ود . ع. ز . رن . مردم وسعدم بود بمنهج تربن وهرجو وازرو ومنمو ذ عسم ومخض ملكن

---

١ Le Muséon, 1953, 3-4, P. 279.

بحلبن ودنو كظل معدم ورهنو وبعدنهو وزعهمو عمـــرم بن مذرن ورهنهمو بنهو وستخلفهو على معدم معـــدم وقفلو بن حلبن بخيل رحمـــنن ورخهو ذ لثنى وسثى وست ماتم »[1] .

ونصه في عربيتنا :

« بحول الرحمن ومسيحه . الملك أبرهة زبيان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ( اليمن ) وأعرابها في الطود ( الهضبة ) وفي تهامة (المنخفضات) . سطروا هذه الأسطر لما غزت معد : الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات (ذ ثبّتن) (ذو الثبت). ولما غلظ ( ثار ) كل ( بنو عامر ) . أرسل الملك ( أبا جبر ) بقبيلة (كدت) كندة وقبيلة ( عل ) و ( بشر بن حصن ) ( بشرم بن حصنم ) بقبيلة (سعد) لحرب ( بني عامر ) فتحركا بسرعة[2] وقدّما جيشهما نحو العدو: فحاربت (كدت) كندة وقبيلة ( عل ) بني عامر ومراداً ، وحاربت ( سعد ) بواد ( بمنهج ) ينهج ( يؤدي ) إلى ( تربن ) ( التّرب ) . فقتلوا من بني عامر وأسروا وكسبوا غنائم[3] . وأما الملك ، فحارب بـ ( حلبن ) (حلبان) ، وهزمت معد ، فرهنت رهائن عنده .

وبعدئذ ، فاوض ( عمرو بن المنذر ) ( عمرم بن مـذرن ) ، وقدّم رهائن من أبنائه . فاستخلفه ( اقره ) على معد . وقفل ( أبرهة ) راجعاً من ( حلبن) ( حلبان ) . بحول الرحمن . بتأريخ اثنين وستين وست مئة » .

وقد درس بعض الباحثين هذا النص ، فذهب بعضهم الى أنـه يشير الى حملة أبرهة على مكة في العام الذي عرف عند أهل الأخبار بـ ( عـام الفيل ) وأشير اليها في القرآن الكريم[4] . وذهب بعض آخر الى أنه يشير الى غزو قام به أبرهـة تمهيداً لحملة كان عزم القيام بها نحو أعالي جزيرة العرب ، فتوقفت عند مكة[5] .

---

١ Le Muséon, 1953, 3-4, P. 277.

٢ ( ومخضو ) ، ( وفي الحديث : أنه مر عليه بجنازة تمخض مخضا ، اي تحرك تحريكا سريعا ) ، اللسان ( ٧/٢٣١ ) ، ( صادر ) ، ( م/خ/ض ) .

٣ ( ذعسم ) ( العســـم : الاكتســـاب ، والاعتسام : الاكتســـاب ) ، اللســـان ( ١٢/٤٠٢ ) ، ( صادر ) ، ( ع/س/م ) .

٤ سورة الفيل ، الآية ١ فما بعدها ) ،
F. Altheim — R. Stiehl, Araber und Sasaniden, Berlin, 1954, S. 200-207, Finanzgeschichte der Spatantike, S., 145, 353, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

٥ W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 30, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

وذهب آخرون الى أن ما جاء في هذا النص لا علاقة له بحملة الفيل ، ذلك لأن هذه الحملة كانت في سنة (٥٤٧) للميلاد على تقديرهم ، على حين كانت حملة الفيل سنة (٥٦٣) على تقديرهم أيضاً[١] .

وذهب ( بيستن ) الى أن هذا النص يتحدث عن معركتين : معركة قام بها ( أبرهة ) في ( حلبان ) : ومعركة كندة وسعد – مراد بموضع ( تربن ) ( التَرب ) ( تربة ) ، وقد حاربت فيها جماعة من القبائل[٢] .

ويظهر من النص ان ( أبرهة ) غزا بنفسه معداً في شهر ( ذى ثبّتن ) من ربيع سنة (٦٦٢) من التقويم السبئي ، والتقى بها في موضع (حلبن) ( حلبان ) ، فهزمها وانتصر عليها ، فاضطرت عندئذ الى الخضوع له ومهادنته ، والى وضع رهائن عنده تكون ضماناً لديه بعدم خروجها مرة ثانية عليه . فوافق على ذلك . وفيما كان في ( حلبان ) بعد اتفاقه مع معد ، جاءه ( عمرو بن المنذر ) ( عمرم ابن مذرن ) ، وكان أبوه ( المنذر ) عينه أميراً على معد ، ليفاوضه في أمر ( معد ) فقابله بـ ( حلبان ) ، وأظهر له استعداد أبيه ( المنذر ) على وضع رهائن عنده لئلا يتكرر ما حدث ، وبحصول اعترافه على تولي عمرو حكم (معد) فوافق أبرهة على ذلك ، وقفل ( وقفلو ) أبرهة راجعاً الى اليمن ، وسوّى بذلك خلافه مع معدّ . وصار ( عمرو بن المنذر ) رئيساً على معد بتعيين أبيه له عليها وبتثبيت ( أبرهة ) هذا التعيين[٣] .

و ( حلبان ) موضع في اليمن في أرض ( حضور ) ، وذكر انه موضع في اليمن على مقربة من ( نجران ) ، وانه موضع ماء في أرض ( بني قُشَير ) . وقد وعت ذاكرة أهل الأخبار على ما يظهر شيئاً عن المعركة التي نشبت في هذا الموضع إذ رووا شعراً للمخبّل السعدي يفخر بنصرة قومه ( أبرهة بن الصباح ) ملك اليمن[٤] . وكانت ( خندف ) حاشيته . ذكروا أنه قال :

---

١ A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke (Palestynski Sbornik, 1961, PP. 73, 82), Le Muséon, 1965, 3-4, P. 427.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426, BSOAS, 1954, P. 391.

٣ في النص ثغرات والفاظ تجعل من الصعب على الباحث ضبط الترجمة الحرفية والمعنى للنص .

٤ البكري ، معجم ( ٤٦١/٢ ) ، ( حلبان ) ( حلبان من أرض الأخروج بين حضور وحدان ) ، الاكليل ( ١٥٨/٢ ) ، ( حاشية ١ ) .

صرموا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهمـا شركاؤنا في الصهر والأموال[1]

وأورد ( الهمداني ) أبياتاً فيها اسم موضع (حلبان) واسم ( أبي يكسوم ) ، وهي قوله :

ويوم أبي يكسوم والناس حضرٌ على حلبـان إذْ تقضي محامله
فتحنا له باب الحضير وربّـه عزيز يمشي بالسيوف أراجلـه

وقد روى هذان البيتان وهما من شعر ( المخبل المعدي ) في هذا الشكل :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبـان إذ تقضي محامله
طوينا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقاوله[2]

ويظهر من هذا الشعر أن ( أبرهة ) لما جاء بجيشه إلى موضع ( حلبان ) ، وجد مقاومة ، ووجد أبواب الحصن مقفلة ، وقد تحصن فيه المقاومون له ودافعوا عنه ، فهجم قوم الشاعر عليه ، ففتحوا باب الحصن ، ودخلوه .

أما تأديب ( بني عامر ) ، فلم يقم به ( أبرهة ) بنفسه ، بل قام به قائد اسمه ( ابجر ) ( أبو جبر ) ، قاد قبيلتي ( كدت ) ، أي (كندة) و (عل) ، وقائد آخـر اسمه ( بشرم بن حصنم ) ، أي ( بشر بن حصن ) ، قاد قبيلة ( سعدم ) ، أي ( سعد ) ( بنو سعد ) . وسار القائـدان بجيشهما وتقدما بهما الى ( بني عامر ) ، وحاربا على هذا النحو : حاربت ( كنـدة ) و ( عل ) قبائل سقطت بعض الحروف من اسم كل واحدة منها، فبقي من احداهما (ود.ع) وبقي من الأخرى ( زرن ) ( ز. رن ) وقبيلة ( مردم ) ، أي ( مراد ) . وحاربت ( سعد ) بوادٍ يؤدي الى ( تـربن ) ( الـتّرب )[3] ، فقتلوا وأسروا ( ازرو ) وأصابوا غنائم[4] . ولم يسم النص الوادي الذي يؤدي الى ( التّرب ) .

---

١ اللسان ( ١/٣٣٤ ) ، ( صادر ) ، تاج العروس ( ٢/٣١٤ ) ، ( طبعة الكويت ) ، ( ضربوا ) بدلا من ( صرموا ) ، البكري ( ٢/٤٦١ ) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P 430.

٣ ( بود بمنهج تربن ) ، السطران الخامس والسادس من النص .

٤ السطر السادس من النص .

ويظهر أن موضع ( تربن ) الذي يؤدي اليه الوادي الذي جرت فيه المعركة، هو موضع ( تربة ) ، مكان في بلاد بني عامر ، ومن مخاليف مكة النجدية ، على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من الطائف[1] . وذكر أنه وادٍ بقرب مكة على يومين منها ، يصب في بستان ابن عامر ، حوله جبال السَّراة، وقيل انه وادٍ ضخم ، مسيرته عشرون يوماً أسفله بنجد وأعلاه بالسراة،وقيل : يأخذ من السراة ويفرغ في نجران ، وقيل : موضع من بلاد بني عامر بن كلاب واسم موضع من بلاد بني عامر بن مالك[2] .

و ( عمرم بن مذرن ) ، هو ( عمرو بن المنذر ) ملك الحيرة ، وكان أبوه ( المنذر ) حليفاً للساسانيين . فيكون قد عاصر (ابراهة ) اذن ، ويكون (عمرو) ابنه من المعاصرين له أيضاً .

وقصد بـ ( بنيعمرم ) ، ( بني عامر ) . وهم ( بنو عامر بن صعصعة ) من ( هوازن )[3] .

ومراد ، هي قبيلة مراد التي منها ( غطيف ) . وفي أيام الرسول وفد عليه ( فروة بن مسيك المرادي ) مفارقاً لملوك كندة . وقد كانت بين مراد وهمدان قبيل الاسلام وقعة ظفرت فيها همدان ، وكثر فيها القتلى في مراد . وعرفت تلك الوقعة بيوم الروم . ورئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق[4] .

وأما ( سعدم ) أي قبيلة ( سعد ) ، التي قادها ( بشر بن حصن ) في هذه المعركة ، فلم يذكر النص هويتها . غير أننا إذا ما أخذنا بشعر ( المُخبّل السعدي ) الذي افتخر به بنصرة قومه لأبرهة في يوم ( حلبان ) وبانضمامهم اليه، ففي استطاعتنا أن نقول حينئذٍ : إن قومه هم ( سعدم ) أي ( سعد ) القبيلة المذكورة في النص .

و ( ابجر ) اسم قد يقرأ ( أبو جبر ) ، وقد يكون ( أبو جابر ) وقد

---

١ البكري ( ١/٣٠٩ ) ، ( مادة تربة ) ،
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, VOL., XVI, Part 3, 1954, P. 430.

٢ تاج العروس ( ٢/٦٨ وما بعدها ) ( طبعة الكويت ) ، اللسان ( ١/٢٣١ ) ، ( صادر ) .

٣ الاشتقاق ( ٢/١٧٧ ، ١٧٨ ) ، Le Muséon, 3-4, 1953, P. 341.

٤ ابن الاثير ( ٢/١٢٣ ) .

يكون ( أبجر ) وقد يكون ( أبو جبار ) . وكل هذه الأسماء هي أسماء معروفة عند الجاهليين . وقد ذهب ( كستر ) (M. J. Kister) الى احتمال كونه ( يزيد ابن شرحبيل الكندي ) أو ( أبو الجبر بن عمرو ) ، وهو من كندة أيضاً[1] . وهو من ( آل الجون ) من بطون كندة[2] .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى أمير من أمراء كندة عرف بـ( أبي الجبر) وقد ذكر في مقصورة ( ابن دريد )[3] . وروى أنه زار ( كسرى ) ليساعده على قومه ، فأعطاه جماعة من ( الأساورة ) أخذهم معه ليساعدوه ، فلما وصل إلى ( كاظمة ) سئموا منه ، وأرادوا التخلص منه فدسّوا السم له في طعامه . ولكنه لم يمت منه ، بل شعر بألم منه ، فأكرهه الأساورة على أن يكتب كتاباً لهم يحملونه معهم الى ( كسرى ) يذكر فيه أنه سمح لهم بالعودة ، فكتب لهم كتاباً ثم سافر الى ( الطائف ) ، فعالجه ( الحارث بن كلدة الثقفي ) ، حتى شفي ، فوهبه جارية كانت له اسمها ( سميّة ) أهداها له ( كسرى )، ثم ذهب الى اليمن ، ولكن عاوده مرضه في طريقه اليها فمات . وقد رأى ( كستر ) أنه هو ( أبو جبر ) المذكور في النص[4] .

وأما ( بشرم بن حصنم ) ، أي ( بشر بن حصن ) ، أو ( بشر بن حصين) أو ( بشار بن حصن ) أو ( بشار بن حصين ) أو ( بشير بن حصن ) ، فقد ذهب ( لُندن ) Ludin ، الى أنه احد سادات ( كندة )[5] .

لقد أشرت الى رأي بعض الباحثين في هذه الحملة ، والى ذهاب بعضهم الى انها كانت حملة الفيل ، أي حملة أبرهة المذكورة في القرآن الكريم على مكة . كما أشرت الى رأي آخر ، ذكر أن هذه الحملة كانت مقدمة لحملة الفيل ، أي حملة

---

١ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 436.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.
مقصورة ابن دريد ، ( ص ٨٢ ) ( طبعة الجوائب ) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، نزهة الجليس ( ١/٤٨٤ ) .

٤ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٥ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 435, A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke Palestyniski Sbornik 1961, PP. 73-84.

تجريبية سبقت تلك الحملة . وحجة الفريق الأول ما ورد في بعض الروايات من أن مولد الرسول كان بعد عام الفيل بثلاث وعشرين سنة[1] . أي في حوالي السنة (٥٤٧) للميلاد . وهو تأريخ ينطبق مع السنة المذكورة في النص ، اذا أخذنا برأي من يجعل مبدأ التقويم الحميري سنة (١١٥) قبل الميلاد[2] . ومن ورود رواية أخرى في حساب السنين عند قريش ، تظهر بنتيجة حسابها وتحويلها أن عام الفيل كان في سنة (٥٥٢) بعد الميلاد ، وهو تأريخ ينطبق مع تأريخ النص أيضاً اذا أخذنا برأي (ريكمنس) في مبدأ التقويم الحميري من أنه كان سنة(١٠٩)لا(١١٥) قبل الميلاد[3] .

وأبرهة هذا هو ( صاحب الفيل ) الذي قصد بفيلته وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج الى ( القُلَّيْس ) الكنيسة التي بناها بمدينة (صنعاء ) في روايات الأخباريين . وهي كنيسة قال عنها أهل الأخبار ، انها كانت عجيبة في عظمتها وضخامتها وتزويقها من الداخل والخارج ، حتى ان (أبرهة) لما انتهى من بنائها كتب الى النجاشي : « إني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبن العرب ولا العجم مثله »[4]. أو « إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك»[5]. ويبالغ أهل الأخبار في وصفها فيذكر (الأزرقي) ، انه بناها بجانب قصر غمدان ، وأنه أقامها بحجارة قصر بلقيس بمأرب ، نقلها العمال والفعلة والمسخرون من مأرب الى صنعاء . فهدموا ذلك القصر وأخذوا حجره وما يصلح للبناء من مادة ، ثم نقلوه الى صنعاء لاستعماله في بناء تلك الكنيسة التي بنوها بناءً ضخماً عالياً ، وجعلوا جدرانها من طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة . لون كل طبقة يختلف عن الطبقة التي تحتها أو التي فوقها . وزينوا الجدران بأفاريز من الرخام والخشب المنقوش . وجعلوا الرخام ناتئاً عن البناء ، وجعلوا فوق الرخام

---

١ البدء والتاريخ ( ٤/١٣١ وما بعدها ) ، تأريخ العرب في الاسلام ( ١/٩١ ) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 426, 427.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 427, 428.

٤ الازرقي ( ١/٨٢ وما بعدها ) ، تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٣ ) ، تفسير القرطبي ( ٢٠/١٨٧ ) .

٥ ابن هشام ( ١/٤٣ ) ، ابن كثير ، البداية ( ٢/١٦٩ ) ، ( ٢/١٧٠ وما بعدها ، ( مطبعة السعادة ، سنة ١٩٣٢ م ) ، ( القاهرة ، تفسير ابن كثير ( ٤/٥٤٨ وما بعدها ) ، ( عيسى البابي الحلبي ) .

حجارة سوداً لها بريق ، وفوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس . وكان عرضه ست أذرع . وكان للقليس باب من نحـاس عشر أذرع طولاً في أربع أذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق العمد بالسياج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعاً ، عن يمينه وعن يساره، وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة ، بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخـل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، جدرها بالفسيفساء ، فيهـا صلب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعـة عشر أذرع في عشر أذرع ، تغشي عينَ من ينظر اليها من بطن القُبّـة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة ، وكان تحت القبة منبر من خشب اللبخ ، وهو عندهم الآبنوس ، مفصد بالعاج الأبيض . ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وكان في القبة سلاسل فضة[1] . وفي القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب ، وخشبـة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحوزي،والأحوزي بلسانهم الحر[2] .

وكان أبرهة قد أخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً ، وأمر بالعمل في بناء الكنيسة ليل نهار . وإذا تراخى عامل أو تباطأ عن عمله أنزل وكلاؤه به عقاباً شديداً ، يصل الى قطع اليد . وبقي هذا شأنه ودأبه حتى أكمل بناؤها وسرّ من رؤيتها، فأصبحت بهجة للناظرين .

ونجد في وصف ( الأزرقي ) ومن تقدم عليه من أهل الأخبار للقليس شيئـاً من المبالغة ، ولكنه على الاجمال وصف يظهر أنه أخذ من موارد وعته وشاهدته وأدركته . لذلك جاء وصفاً حياً نابضاً بالحياة ، ينطبق على الكنائس الضخمة التي أنشئت في تلك الأيام في القسطنطنية أو في القـدس أو في دمشق ، أو في المدن الأخرى . والظـاهر من هذا الوصف ، أن فن العمارة اليماني القديم قد أثر في شكل بناء هذه الكنيسة ، التي تأثرت بالفن البيزنطي النصراني في بناء الكنائس .

---

١ نهاية الأرب ( ١/٣٨٢ ) .

٢ الأزرقي ( ١/٨٤ وما بعدها ) ، ( ١/٩٠ ) ، ( خياط ) .

ويذكر ( الأزرقي ) ان القليس بقي في صنعاء على ما كان عليه حتى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ، فولي ( العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي ) ( العباس بن الربيع بن عبد الله العامري ) اليمن ، فذكر له ما في القليس من ذخائر ، وقيل له انك تصيب فيه مالاً كثيراً وكنزاً فتاقت نفسه الى هدمه . ثم استشار أحد أبناء وهب بن منبه وأحد يهود صنعاء فألحا عليه بهدمه،وبيّن اليهودي له أنه اذا هدمه فإنه سيلي اليمن أربعين سنة ، فأمر بهدمه ، واستخرج ما فيه من أموال وذهب وفضة . وخاف الناس من لمس الخشبة المنقوشة التي كانوا يتبركون بها،ثم اشتراها رجل من أهل العراق كان تاجراً بصنعاء وقطعها للدار له[1]. وخرب القليس حتى عفى رسمه وانقطع خبره[2] .

واذا كان ما يقوله الأزرقي نقلاً عن رواة أدركوا تلك الكنيسة من أن أبرهة أقامها بأحجار قصر بلقيس باليمن ، فإنه يكون بذلك قد قوّض أثراً مهماً من آثار مدينة مأرب ، وأزال عملاً من الأعمال البنائية التي أقامها السبئيون في عاصمتهم قبله . وهو عمل مؤسف .

وفي صنعاء اليوم موضع يعرف بـ ( غرفة القليس ) ، يظن أنه موضع تلك الكنيسة ، وهو موضع حُفَيْر صغير ترمى فيه القمامات وعليه حائط ويقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير[3] .

وذكر ( الهمداني ) اسم قصر دعاه ( القليس ) نسب بناءه الى ( القليس بن عمرو ) ، وهو في زعمه من أبناء ( شرحبيل بن عمرو بن ذي غمدان بن الى شرح يحضب ) . وقال : انه بناه بصنعاء ، وهو بناء قديم . وذكر أيضاً أن ( عمرو ينأر ذو غمدان ابن الى شرح يحضب بن الصوار ) هو أول من شرع في تشييد ( غمدان ) بعد بنائه القديم[4] .

---

١ الازرقي ( ٨٦/١ ) ، نهاية الارب ( ٣٨٣/١ ) ، وفي رواية أخرى ، أن السفاح أول خلفاء بني العباس ، هو الذي أمر بهدمها ، البداية ، لابن كثير ( ١٧٠/٢ وما بعدها ) . ( السعادة ) .

٢ البلدان ( ١٥٦/٧ ) ( القليس ) .

٣ الاكليل ( ٨٧/٢ ) ، حاشية لـ ( لمحمد بن علي الاكوع الحوالي ) ، رحلة في بلاد العرب .

٤ الاكليل ( ٨٦/٢وما بعدها ) .
السعيدة ، لنزيه مؤيد العظم ، ( ١٦٥/١ ) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية ( ٢٨٥/١ ) .

وقد أمر ( أبرهة ) ببناء كنيسة في ( مأرب ) أشار الى بنائها في نصه الشهير، أقامها في سنة (٥٤٢ م) ، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ ، واحتفل هو نفسه بافتتاحها ، ولعله استعان ببنائها بحجارة قصور مأرب ومعبدها الكبير ، ذلك لأن حجارتها منحوتة نحتاً جيداً، يجعل من السهل استعمالها في البناء على حين يتطلب الحجر الجديد وقتاً طويلاً وأموالاً باهظة . ولهذا السبب ذهب أهل الأخبار الى أنه أمر بنقل حجارة قصر مأرب الى صنعاء .

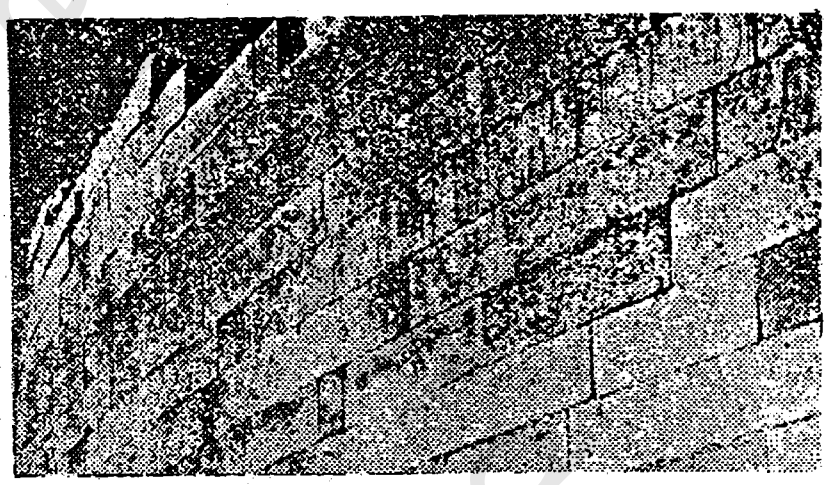

جدار معبد ( أوم ) ( أوام ) بمأرب ، وهو معبد اله سبا
من كتاب (Qataban and Sheba)

لقد أصيب مشروع أبرهة الرامي الى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة باخفاق ذريع ، يذكرنا بذلك الاخفاق الذي مُني به مشروع ( أوليوس غالوس ) . لقد كان في الواقع مشروعاً خطيراً ، لو تم إذن لاتصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن ، ولتحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الإستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما ، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك . لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن ، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن ، وملك البيزنطيين في بلاد الشام وملك الفرس في العراق وفي

كل مكان[1] .

ويظهر من الرواية العربية أن نهاية ( أبرهة ) كانت بعد عودته من مكة بقليل إذ لازمه الوباء الذي نزل برجال حملته أثناء محاصرتهم لها ، ولم يتركه حتى بلغ صنعاء وهو مريض متعب ، فهلك بها عند وصوله[2] . ويجب أن يكون ذلك سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد . أما المصادر اليونانية ، فلم تشر الى سنة وفاته .

ويذكر الأخباريون أن الذي حكم بعد ( أبرهة ) ، هو ابنه ( يكسوم ) . وبه كان أبرهة يكنى . فذلّت حمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة ، وعم أذاهم وقتلوا خلقاً من رجالهم ، وأخذوا نساءهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب[3] . ويذكر ( المسعودي ) أن ( يكسوم ) كان سيء السيرة في أهل اليمن فعمّ أذاه سائر الناس ، الى أن هلك بعد عشرين سنة من الحكم[4] .

وذكر ( أبو حنيفة الدينوري ) ، أن ( النجاشي ) أقر (أبرهة) على سلطان اليمن ، فمكث على ذلك أربعين عاماً[5] . أما ابنه ( يكسوم ) ، فمكث على اليمن تسع عشرة سنة[6] . وصيّر (حمزة) مدة حكم أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، مذ قتل ( أرياطاً ) ، الذي حكم على زعمه عشرين سنة . وجعل حكم ( يكسوم ) سبع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة ، ومدة حكم الحبشة، اثنتين وسبعين سنة[7] .

ويرى ( كلاسر ) أن أبرهة كان قد عيّن ابنه ( أكسوم ) ( يكسوم ) على أرض ( معاهر ) ( معهرن ) ، وكانت له ( ذي معاهر ) ، فعرف (يكسوم) بـ ( ذي معاهر ) . وفي معاهر ( عر وعلن ) ، أي حصن وعلان[8] .

---

١ Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 188, Paullys — Wissowa, Supplementband, VII, 1950, S. 75.

٢ الطبري ( ١٣٧/٢ ) ( دار المعارف ) .

٣ الطبري ( ١٣٩/٢ ) ، مروج ( ٨/٢ وما بعدها ) ( محيي الدين ) ، المعارف ( ٢٧٨ ) .

٤ مروج ( ٨/٢ وما بعدها ) ( محيي الدين ) .

٥ الاخبار الطوال ( ص ٦٢ ) .

٦ المصدر نفسه ( ص ٦٣ ) .

٧ حمزة ( ص ٨٩ ) .

٨ Glaser, Mitt., S. 420, 46I.

وانتقل الحكم من بعد هلاك ( يكسوم ) الى شقيقه ( مسروق ) . وهو من أم عربية هي ( ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان ) وهو ( ذو جدن). وكانت تحت ( أبا مرة الفيّاض ذا يزن ) فانتزعها منه أبرهة، وأولدها مسروقاً . ففرّ ( ذو يزن ) من اليمن ، ولحق ببعض ملوك بني المنذر ، ويظن (الطبري) بأنه ( عمرو بن هند ) وأقام هناك[1] . وقد كان أسوأ سيرة من ( يكسوم ) ، ويذكر ( المسعودي ) أنه حكم ثلاث سنين[2] . وقد قتل الفرس مسروقاً ، وذلك حين دخولهم اليمن ، وأخرجوا الحبشة عن اليمن[3] .

وقد ذكر المؤرخ ( ثيوفانس ) ملكاً من ملوك حمير قال ان الفرس أسروه ، وذلك في حوالي السنة ( ٥٧٠ ) للميلاد ، دعاه باسم ( سنطرق ) ( سنطرقس ) Sanaturces . وهو فيما يرى (كلاسر) تحريف (شناتر) ، والأصل (ذو شناتر). و ( شناتر ) اسم موضع ، والمراد به ( مسروق بن أبرهة ) ، وكان والده قد عيّنه على هذا الموضع فعرف به . وقد ذكر ( ابن قتيبة ) أن ( ذا شناتر ) ، هو الابن الثاني لأبرهة ، ولهذا يرى (كلاسر) أن Sanaturces هو (مسروق)[4] .

وبهلاك ( مسروق ) هلك حكم الحبش لليمن . اذ أخرجوا بعد انتصار الفرس وأهل اليمن عليهم . ويذكر الطبري ، أن حكم الحبشة لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة[5] .

وجاء في شعر للشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) انه دخل على ملك من ملوك الحبش، اسمه ( خمر ) ، أتاه فكلمه في فداء قوم ، فأجازه ، وأحسن اليه ، وحمله على خيل ، (وبذرقه)[6] ، أي : أرسل معه من يحرسه ، وأجازه ، وأعطاه (طِرساً)، اي كتاباً ، كتبه له لأن يعطى ، وغلاماً أطلس اي حبشياً[7] . ولم يذكر كيف

---

١ الطبري ( ٢/١٤٢ ) .
٢ مروج ( ٢/٨ ) ( محيي الدين ) .
٣ الطبري ( ٢/١٣٩ ) .
٤ Glaser, Zwei Inschriften, S. 486.
٥ الطبري ( ٢/١٣٩ ) .
٦ ( بذرته : فارسي معرب ) ، شرح ديوان لبيد ( ص ١٥٥ ) .
٧ ( والاطلس : الحبشي ) ، شرح ديوان لبيد ( ص ١٥٥ ) .

وصل الى ( خمير ) ، ولا في اي مكان كان يحكم . وما علاقة ذلك الملك الحبشي بجزيرة العرب إن صح انـــه ملك الحبش حقاً ؟ وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر وصدّقناه ، فقد يكون ذهب ليتوسل الى الحبش لفك أسر جماعـــة من قومه أو من أصحابه قد يكونون ذهبوا للاتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من الأسباب واحتجزوا ، فذهب لالتماسهم فنجح في وساطته وقد يكون ( خمير ) هذا احد الحكّام أو الاقطاعيين ، لا النجاشي ملك الأحباش .

ويظهر من كتاب ( الإشتقاق ) أنه كان لأبرهة حفيد اسمه ( ابن شمر ) إذ ذكر مؤلفه ( ابن دريد ) اسم رجل سماه ( ابن شمر بن أبرهة بن الصباح ) ، قال : إنه قتل مع (علي بن أبي طالب ) بصفين[1] . ومعنى هذا أنه كان لأبرهة ولد اسمه ( شمر ) . ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء رجال كانوا من حفـــدة ( أبرهة ) .

وقد سعى الأحباش ، مدة مكثهم في اليمن ، في نشر النصرانية بين الناس ، وبناء الكنائس . ويحدثنا ( قزما الرحالـة ) Cosmas Indicopleustes في نحـــو سنة (٥٣٥ م) ، اي بعد اندحار ( ذي نواس ) ، عن كثرة الكنائس في العربية السعيدة ، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبني جرم[2] . وقد اشتهرت كنيسة ( نجران ) ، وكذلك كنيسة صنعـاء ، وكنيســة ( ظفار ) التي بناها الحبش،وقد أشرف عليها الأسقف ( جرجنسيوس ) صاحب ( كتاب شرائع الحميريين ) ، وكان مقرباً لدى النجاشي ومستشاره ومساعده في تنصير الحميريين[3] .

وورد أن القيصر ( يوسطين ) ( جستين ) كان قد أرسل ( كريكنتيوس ) Gregentius of Ulpana من الاسكندرية الى ( ظفار ) ليكون ( أسقفاً ) على نصاراها . وقد تناظر مع ( حبر ) من أحبار يهود فيها ، فغلبه . وقدّم قانون الشريعة الى ( أبرام )( Abram )ملك حمير[4] .

---

١ الاشتقاق ( ٢/٣٦١ ) ، جمهرة أنساب العرب ، ( لابن حزم ( ٤٣٥ ) .

٢ النصرانية ( ١/٦٥ ) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., LXXX, Col., 169.

٣ النصرانية ( ١/٦٤ ) ، الاغاني ( ٢/٧٥ ) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., 86, col. 567-620.

٤ Bury, II, P. 327.

## حملة أبرهة :

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة أبرهة على مكة ، وهي حملة روّعت قريشاً وأفزعتهم ، لما عرفوه من قساوة أبرهة ومن شدته في أهل اليمن ، ومن انفراده بالحكم ، واستبداده في الأمور،حتى انه لما مات وذهب مع الذاهبين لم تمت ذكراه كما ماتت ذكرى غيره من الحكام ، بل تركت أثراً عميقاً في ذاكرة أهل اليمن، انتقل منهم الى أهل الأخبار ، فرووا عنه أقاصيص ، ونسجوا حوله نسيجاً من أساطير وخرافات ، على عادتهم عند تحدثهم عن الشخصيات الجاهلية القوية التي تركت أثراً في أهل تلك الأيام ، حتى انهم لم يكتفوا بكل ما قالوه فيه ، وكأنه لم يكن كافياً ، فجعلوا منه جملة رجال سمّوهم ( أبرهة) نصبوهم ملوكاً وتبابعة على مملكة سبأ وحمير .

والرأي الغالب بين الناس ان حملة أبرهة على مكة ، كانت قبل المبعث بزهاء أربعين سنة ، وميلاد الرسول كان في عام هذه الحملة ، وهو العام الذي عرف بـ ( عام الفيل ) . وهو يوافق سنة (٥٧٠) أو ( ٥٧١ م ) . وانما عرف بعام الفيل ، لأن الحبش كما يزعم أهل الأخبار جاءوا الى مكة ومعهم فيل سمّوه ( محموداً ) ، وقد جاءوا به من الحبشة . وفي بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلاً ، أو اثني عشر ، أو دون ذلك ، أو أكثر ، وأوصلوا العدد إلى ألف فيل . ولوجود الفيل أو الفيلة في الحملة ، عرفت بحملة الفيل ، وعبر عن الحبش في القرآن الكريم بـ ( أصحاب الفيل )[1] .

وقد ذهب بعض الرواة الى أن عام الفيل إنما كان قبل مولد النبي بثلاث وعشرين سنة ، وذكر بعضهم أنه كان في السنة الثانية عشرة من ملك ( هرمز ابن انو شروان ) . ولما كان ابتداء حكم ( هرمز بن أنو شروان ) سنة (٥٧٩) فعام الفيل يكون في حوالى السنة (٥٨١) للميلاد لا سنة (٥٧٠) او (٥٧١) للميلاد

---

١ سورة الفيل ، الطبري (٢/ ١٣٠ وما بعدها) ( دار المعارف ) ، الكامل (١/ ٢٦٠)، تفسير ابن كثير ( ٤/ ٥٤٨ وما بعدها ) ، مروج ( ٢/ ٧١ ) ، روح المعاني ( ٢٨/ ٢٣٣ ) ، الطبرسي ، مجمع ( ٣٠/ ١٩١ ) ، الازرقي (١/ ٨٣ وما بعدها ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير ( ٢/ ١٧٠ ) ، تفسير الطبري ( ٣٠/ ١٦٦ ) ، ( المطبعة الميمنية ) ، دائرة المعارف الاسلامية ( ١/ ٦١ وما بعدها ) ، ترجمة الشنتاوي .

كما يذهب الأكثرون الى ذلك . وأما إذا اخذنا برواية من قال من الرواة وأهل الأخبار من أن عام الفيل قد كان لاثنتين واربعين سنة من ملك ( انو شروان ) ، فيكون هذا العام قد وقع في حوالى السنة (٥٧٣) للميلاد[1] وهو رقم قريب من الرقم الذي ذهب اليه أكثر المستشرقين حين حوّلوا ما ذكره اهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول الى التقويم الميلادي .

وقد ورد ذكر هذا الحادث في القرآن الكريم : « ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »[2] ؟ وقد خاطبت هذه الآيات الرسول بأن قريشاً سوف تخيب وتحل بها الهزيمة ، كما حلت بأصحاب الفيل ، واصحاب الفيل اعظم منهم قوة واشد بطشاً ، وهم لا شيء تجاههم ، وفيها تذكير لقريش بما حل بالحبش ، وما كان عهد الحبش عنهم ببعيد .

وينسب الأخباريون حملة أبرهة على مكة الى تدنيس رجل من كنانة (القليس) الّتي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محجة للناس . فلما بلغ أبرهة خبر التدنيس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لهدم الكعبة،فسار ومعه جيش كبير من الحبش واهل اليمن ، وهو مصمم على دكها دكاً ، وصرف الناس عن الحج اليها الى الأبد . فلما وصل ، هلك معظم جيشه ، فاضطر الى العودة الى اليمن خائباً مدحوراً[3] .

ويذكر اهل الأخبار ان الرجل الذي دنس القليس،هو من النّسأة أحد بني فقيم، ثم احد بني مالك من كنانة . وقد غضب لما رآه من شأن تلك الكنيسة،ومن عزم أبرهة على صرف حاج العرب اليها ، ومن مبالغته في الدعاية لها ، ففعل ما فعل[4] .

---

١ تفسير القرطبي ( ٢٠/١٩٤ ) .

٢ سورة الفيل ، الرقم ١٠٥ ، تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٣ ) ، ( بولاق ) ، القرطبي ( ٢٠/١٨٧ ومابعدها ) .

٣ الروض الانف ( ١/٤٠ وما بعدها ) ، تفسير القرطبي ( ٢٠/١٨٨ ) ، الازرقي ( ١/٩٠ وما بعدها ) ، ( خياط ) .

٤ الطبري ( ٢/١٣٠ ) ، تاج العروس ( ٩/١٤ ) ، الكشاف ( ٤/٢٣٣ ) ، تفسير الطبري ( ٣٠/١٦٧ ) ، تفسير النيسابوري ( ٣٠/١٩٣ ) ، ( حاشية على تفسير الطبري ) .

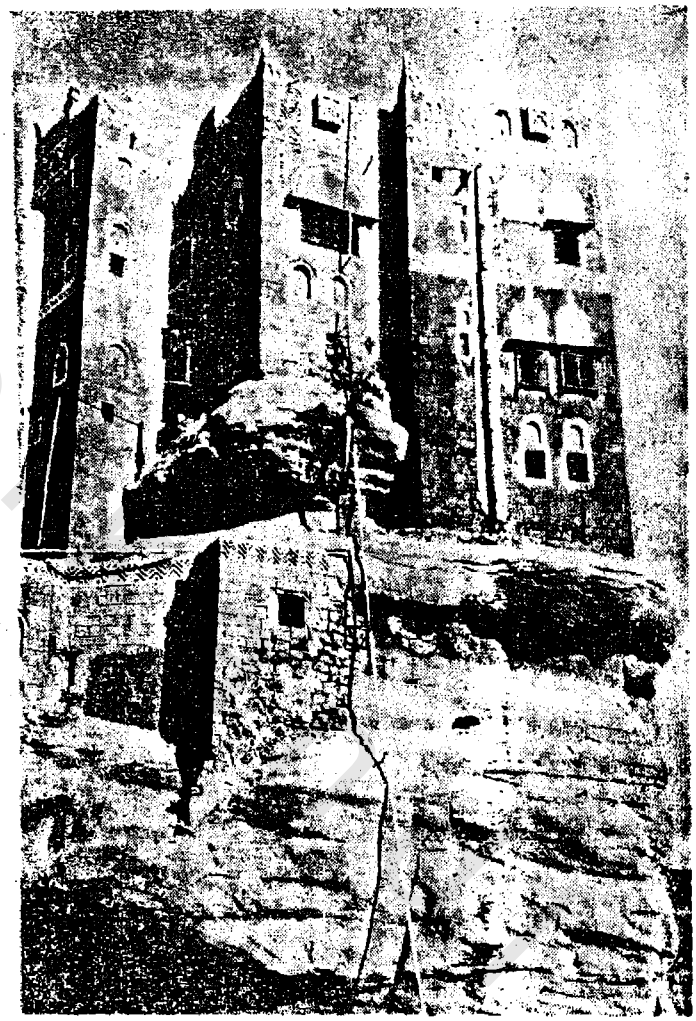

أحد القصور ، وهو يمثل الطراز اليماني في البناء
من كتاب : (Günther Pawelke) (JEMEN)

وقيل ان الرجل المذكور كـان من النساك ، من نساك بـني فقـيم ، غاظه ما كان من عزم ابرهة على صرف العرب عن الحج الى مكة، فأحدث في القليس للحط من شأنها في نظر العرب ، ولطخ قبلتها بحدثه ، فشاع خبره بين الناس ، وهزىء القوم من ( قُلَيس ) حدث به ما حدث . وغضب أبرهة من عمله المشين هذا الموجه اليه والى كل الحبش ، فعزم على هدم البيت الذي يقدسه ذلك الكناني

ومن يحج اليه[1] .

وينسب أخباريون آخرون عزم ( أبرهة ) على دك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر ، فهم يذكرون ان فتية من قريش دخلوا القليس فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه ريح شديدة ، فاحترقت وسقطت الى الأرض ، فغضب أبرهة ، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم ، كما تسببوا في هدم معبده الذي باهى النجاشي به[2] .

وذكر أن ( أبرهة ) بنى القلّيس بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانياً ، ثم كتب الى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي ، غضب رجل من النَّسأة ، فخرج حتى أتى الكنيسة ، فأحدث فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة ، فغضب عند ذلك ، وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . وبعث رجلاً كان عنده الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة ، فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل ، فزاد أبرهة ذلك غضباً وحنقاً ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل[3] .

وذكر ( السيوطي ) سبباً آخر في قرار أبرهة غزو مكة ، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن ، وان ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً ، فلما انصرف من مكة ، نزل في كنيسة بنجران ، فعدا عليها ناس من أهل مكة ، فأخذوا ما فيها من الحلي وأخذوا قناع أكسوم ، فانصرف الى جده مغضباً ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له (شهر بن معقود) على عشرين ألفاً من خولان

---

١ الكامل ( ١/ ٢٦٠ وما بعدها ) ، تفسير البيضاوي ( ٢٦٩/٣٠ ) ، روح المعاني ( ٢٣٣/٣٠ وما بعدها ) ، الكشاف ( ٢٨٨/٣ ) ( بولاق ) ( ٣٥٨/٣ وما بعدها ) ( ١٩٤٨ م ) .

٢ الكشاف ٢٣٣/٤ ) ، روح المعاني ( ٢٣٣/٢٨ ) ، تفسير الفخر الرازي ( ٩٦/٣١ ) ، تفسير ابن كثير ( ٥٤٩/٤ ) ، تفسير أبي السعود ( ٢٨٥/٥ ) ، تفسير النيسابوري ( ١٦٣/٣٠ ) ،وهو حاشية على تفسير الطبري ( بولاق ) ، التيجان في ملوك حمير ، لوهب بن منبه ( ص ٣٠٣ ) ، حيدر آباد الدكن ) بالهند . تفسير الطبرسي ، مجمع ( ٥٣٩/١٠ ) ، ( طهران ) ، ابن هشام السيرة ( ٤٤/١ وما بعدها ) ، روح المعاني ، للالوسي ( ٢٣٣/٣٠ وما بعدها )، تفسير البيضاوي ( ٢٦٩/٣٠ ) .

٣ ( تفسير القرطبي ( ١٨٨/٢٠ ) ، تفسير الطبري ( ١٩٣/٣٠ وما بعدها ) .

والأشعريين ، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فتيمنت خثعم عن طريقهم . فلما دنا من الطائف خرج اليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف ، فقالوا : ما حاجتك الى طائفنا ، وإنها هي قرية صغيرة ؟ ولكنا ندلك على بيت بمكة يعبد فيه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ، ودعنا منك ، فأتاه حتى إذا بلغ المغمس ، وجد إبلاً لعبد المطلب مئة ناقة مقلدة ، فأنهبها بين أصحابه . فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه ، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له : ذو عمرو ، فسأله أن يردّ عليه ابله ، فقال : إني لا أطيق ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك . فقال عبد المطلب : افعل . فأدخله عليه ، فقال له : ان لي اليك حاجةً . قال قضيت كل حاجة تطلبها ، ثم قصّ عليه قصة ابله التي انتهبها جيشه . فالتفت الى ذي عمرو ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً ، فقال : لو سألني كل شيء أحوزه ، أعطيته اياه ، ثم أمر بإرجاع ابله عليه . وأمر بالرحيل نحو مكة لهدمها . وتوجه ألف شهر وأصحاب الفيل ، وقد اجمعوا ما اجمعوا نحو مكة ، فلما بلغوها ، خرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس ، فرمتهم بحجارة مدحرجة كالبنادق ، فشدختهم ، ونزل الهلاك بهم فانصرف شهر هارباً وحده ، ولكنه ما كاد يسير ، حتى تساقطت اعضاء جسده فهلك في طريقه الى اليمن وهم ينظرون اليه[1] .

ويتفق خبر ( السيوطي ) هذا في جوهره وفي شكله مع الروايات الأخرى التي وصلت الينا عن حملة ( أبرهة ) ، ولا يختلف عنها الا في أمرين : في السبب الذي من أجله قرر أبرهة هدم الكعبة ، وفي الشخص الذي سار على مكة . اما السبب الذي اورده السيوطي ، فهو غير معقول ، لسبب بسيط واضح ، هو ان ابن ابرهة ، وهو أكسوم بن الصباح الحميري ، هو رجل نصراني ،والنصارى لا تحج إلى مكة ، لأنها محجة الوثنيين ، وقد عزم جدّه ابرهة على صرف العرب من الحج اليها ، فكيف يحج اليها ابن ابنته،وهو على دين جدّه ؟ واما ما زعمه من ان ( شهر بن معقود ) ( مقصود ) هو الذي سار على مكة لهدمها ، وذلك بأمر من ابرهة ، فإنه يخالف اجماع اهل الأخبار والمفسرين من ان ابرهة هو نفسه

---

١ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ( ٦/٣٩٤ ) ، الاصبهاني ، دلائل النبوة ( ١٠٠وما بعدها ) ، الكشاف ( ٣/٢٨٨ ) .

قاد تلك الحملة ، وانه هو الذي اخذ الفيل او الفيلة معه،وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من اهـــل اليمن كانت تخضع له . ثم إن السيوطي يشير الى وجود ( الملك ) في الجيش ، ولم يكن شهر بن معقود ملكاً ولم يلقبه اهل الأخبار بلقب (ملك) ، وانما أنعموا بهذا اللقب على ابرهة وحده . أضف الى ذلك ان ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبـــين الملك هو حوار يذكر اهل الأخبار انه جرى بين عبد المطلب وبين ابرهة . لذلك ارى ان الأمر قد التبس على السيوطي،فخلط بين ابرهة وبين شهر احد قادته من العرب ، وانه قصد بالملك ابرهة لا القائد ، وإن لم يشر اليه ، بل جعل الفعل كل الفعل للقائد المذكور .

وأورد ( القرطبي ) رواية اخرى نسبها الى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي ، خلاصتها : ان سبب الفيل هو ما روى ان فتيـة من قريش خرجوا تجـــاراً الى ارض النجاشي ، فنزلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى ، تسميها النصارى : الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم ، وتركوها وارتحلوا ، فهبت ريح عاصفة على النار فأضرمت البيعـة ناراً واحترقت ، فأتي الصريـــخ الى النجاشي ، فأخبره ، فاستشاط غضباً ، فأتاه ابرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة . وكان النجاشي هو الملك ، وابرهة صاحب الجيش ، وابو يكسوم نديم الملك ، وقيل وزيره ، وحجر بن شرحبيل من قواده . فساروا معهم الفيل ، وقيل ثمانية فيلة ، ونزلوا بذي المجاز ، واستاقوا سرح مكة[1] .

وتتفق هذه الرواية مع الروايات السابقـة من حيث الجوهر ، ولا تختلف عنها الا في جعل الكنيسة المحترقة بيعـة في ارض النجاشي ، اي في ساحـل الحبش ، لا في ارض اليمن ، والا في جعل الآمر بالحملة النجاشي ، لا ابرهة نفسه . أما المنفذون لها ، فهم ابرهة ومن معه .

وهناك سبب آخر سأتعرض له فيما بعد ، يذكره أهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا انها حملت ابرهة على السير نحو مكة لتهديمها . وهو سبب ارجحـــه وأقدمه على السببين المذكورين ، لما فيه من مساس بالسياسة ، ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها اقدم ساسة العالم للسيطرة عـــلى

---

١ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ( ١٨٧/٢٠ ، ١٩٢ وما بعدها ) .

الطرق الموصلة الى المياه الدافئة والى الأرضين المنتجة لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد .

وتذكر روايات اهل الأخبار ان أبرهة لما رتب كل شيء وجهز نفسه للسير من اليمن نحو مكة ، خرج له رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له : ( ذو نفر ) وعرض له فقاتله ، فهزم ( ذو نفر ) واصحابه ، واخذ له ذو نفر اسيراً . ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، عرض له ( نفيل بن حبيب الخثعمي ) في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نُفيل أسيراً وخرج معه يدلّه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج اليه (مسعود بن معتب ) في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، انما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف،وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد — يعني اللات — انما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلّك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس ، فهلك أبو رغال به . فرجمت العرب قبره،فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس[1] .

وكان نفيل بن حبيب الخثعمي من سادات خثعم ، ولما أخذه أبرهة أسيراً واحتبسه عنده ، جعله دليله إلى مكة ، وهو الذي أوصله إلى الطائف ، حيث تسلم أبرهة الدليل الآخر من ثقيف ، وهو أبو رغال[2] . وذكر بعضهم أن (نفيل ابن حبيب ) كان دليل أبرهة على الكعبة ، وأنه عرف بـ ( ذي اليدين )[3] .

ولأهل الأخبار قصص عن ( أبي رغال ) ، صيّره أسطورة ، حتى صيّره بعضهم من رجال ثمود ومن رجال ( صالح ) النبي . فزعموا ان النبي كان قد وجهه على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه (ثقيف) وهو قسيّ بن منبه ، فقتله قتلة شنيعة . وهو خبر وضعه أناس من ثقيف ولا

---

١ الطبري ( ٢/١٣١ وما بعدها ) ، تفسير الطبري ( ٣٠/١٦٧ ) ، ( ٣٠/١٩٤ ) ( بولاق ) ، تفسير القرطبي ( ٢٠/١٨٨ ) .

٢ الاشتقاق ( ٣٠٦ ) ، تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٤ ) ( بولاق ) .
وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال

٣ نوادر المخطوطات ( القاب الشعراء ) ( ص ٣٢٧ ) .

شك ، للدفاع عن أنفسهم ، إذ اتهموا بأن ( أبا رغال ) منهم ، وقد جاءوا بشعر ، زعموا أن ( أمية بن أبي الصلت ) قاله في حقه ، منه :

وهم قتلوا الرئيس أبا رغالٍ بمكة إذ يسوق بها الوضينا [1]

فصيّروا القاتل جدّ ثقيف ، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله .

وقد أشار ( جرير بن الخطفي ) في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس قبر أبي رغال ، إذ قال :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال [2]

وذكر (المسعودي) ، أن العرب ترجم قبراً آخر ، يعرف بينهم بقبر العبادي في طريق العراق الى مكة . بين الثعلبية والهبير نحو البطان . ولم يذكر شيئاً عن سببه ، إذ أحال القارىء على مؤلفاته الأخرى [3] .

وذكر ( الهمداني ) ان قبر أبي رغال عند (الزيمة) . و ( الزيمة ) موضع معروف حتى هذا اليوم [4] .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى الى مكة : فساق اليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . ثم قرروا على أن يرسلوا سيدهم ( عبد المطلب ) لمواجهة أبرهة والتحدث اليه ، فذهب وقابله ، وتذكر رواية أهل الأخبار ان أبرهة لما سأله عن حاجته وعما معه من أنباء ، قال له : حاجتي الى الملك أن يردّ علي مئتي بعير أصابها لي ، فعجب أبرهة من هذا القول وقال له : أتكلمني في مئتي بعير قد أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الابل ، وان

---

١ مروج ( ٢/٥٣ ) .
٢ اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر ابي رغال
مروج ( ٢/٥٣ ) ، ( دار الاندلس ) ، البداية ( ٢/١٧٠ وما بعدها ) .
٢ مروج ( ٢/٥٤ ) .
٤ الاكليل ( ١/٣٧٣ ) .

للبيت رباً سيمنعه[1] .

وتذكر هذه الرواية أن أبرهة ردّ على عبد المطلب ابله ، فرجع الى قومه ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرّة الجيش . فلما وصل جيش الحبش ، لم يجد أحداً بمكة،وتفشى الوباء فيه ، واضطر الى التراجع بسرعة . فلما وصل أبرهة الى اليمن، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث[2] .

ويذكر (الطبري) ان الأسود بن مقصود لما ساق أموال اهل مكة من قريش وغيرهم ، وفي ضمنها ابل عبد المطلب ، وأوصلها الى أبرهة ، وأن قريشاً وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس عزمت على ترك القتال ، إذ تأكدوا انهم لا طاقة لهم به . بعث ابرهة ( حناطة الحميري ) إلى مكة، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إني لم آتِ لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرد حربي فائتني به ، فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله ابراهيم ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا له من دافع عنه . ثم انطلق معه الى أبرهة . فلما وصل المعسكر، سأل عن ( ذي نفر ) ، وكان له صديقاً ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه، فكلمه ، ثم توصل بوساطته إلى سائق فيل أبرهة وهو أنيس ، وأوصاه خيراً بعبد المطلب ، وكلمه في إيصاله الى ابرهة ، وان يتكلم فيه عند ابرهة بخير . ونفذ انيس طلب ( ذو نفر ) ، وأدخله عليه ، فكان ما كان من حديث[3] .

وذكر الطبري : أن بعض اهل الأخبار زعموا ان نفراً من سادات قريش رافقوا عبد المطلب في ذهابه مع حناطة الى ابرهة ، ذكروا منهم : يعمر (عمرو)

---

١ الطبري ( ٢/١٣٢ وما بعدها ) ( دار المعارف ) ، ابن الاثير ( ١/٣٢١ ) ، تفسير القرطبي ( ٢٠/١٨٩ ) .

٢ الطبري ( ٢/١٣٧ وما بعدها ) .

٣ تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٤ وما بعدها ) ( بولاق ) ، تفسير القرطبي ( ٢٠/١٨٩ وما بعدها ) .

ابن نفاثة بن عديّ بن الدُّئل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذلي ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث اموال اهل تهامة على ان يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم[1] .

ويذكر أهل الأخبار ان جيوش ( ابرهة ) حين دنت من مكة، توسل عبد المطلب الى ربه وناجاه بأن ينصر بيته ويذل ( آل الصليب ) وأنه أخذ بحلقة باب الكعبه وقال :

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا  يا ربّ فامنع منهم حماكا
إن عدوّ البيت من عاداكا  امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال :

لاهُمَّ إن العبد يمنع رحله  فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم  عدواً محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك[2]

وقد بلغ أبرهة مكة ، غير انه لم يتمكن من دكّها ومن هدمها ، وخاب ظنه، إذ تفشى المرض بجيشه وفتك الوباء به ، فهلك أكثره ، واضطر الى الإسراع في العودة ، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق ، وهم في عودتهم الى اليمن. وذكرت بعض الروايات ان أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض . ولم يبلغ صنعاء الاّ بعد جهد جهيد . فلما بلغها ، مات إثر وصوله اليها[3] .

وعلى هذه الصورة أنهى اهل الأخبار أخبار حملة ابرهة ، فقالوا انها انتهت

---

١ تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٥ ) ، الطبري ( ٢/١٣٤ ) ( دار المعارف ) ، تفسير القرطبي ( ٢٠/١٩٠ ) .

٢ السيرة الحلبية ( ١/٢٤ وما بعدها ) ، يرد البيت الثاني بشكل آخر في كتاب أخبار مكة للأزرقي ( ١/٢٨٣ ) ، تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٥ وما بعدها ) ( بولاق ) .

٣ تفسير الطبري ( ٣٠/١٩٥ وما بعدها ) ( بولاق ) ، تفسير البيضاوي ( ١/٢٦٩ )، مروج ( ٢/٤٦ ) ، روح المعاني ( ٣٠/٢٣٣ ) ، تفسير القرطبي ، ( ٢٠/١٨٧ ) ، تفسير الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ( ٤/٥٦٣ ) ، تفسير الرازي ( ٣١/٩٦ ) ، البداية والنهاية ( ٢/١٦٩ ) ، ابن هشام ( ١/٢٨ ) ، الكامل ( ١/٢٥٤ ) ، الطبرسي ( ٢٥/١٩١) حمزة ( ٨٩،٩٤ ) .

باخفاق ذريع ، انتهت باصابة ابرهة بوباء خطير ، وبإصابة عسكره بذلك المرض نفسه : مرض جلدي ، أصـــاب جلود أكثر جيشه ، فمزقها ، وأصابها بقروح وقيوح في الأيدي خاصة ، وفي الأفخاذ ، أو بمرض وبائي هو الحصبة والجُدري، فيذكر أهل الأخبار في تفسير سورة الفيل ، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملـة وبعد شرحهم لمعنى ( طير أبابيل ) : مباشرة ، هذين المرضين ويقولون : «ان أول ما رئيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام»[1] . وتفسير ذلك بعبارة أخرى ان ما اصاب الحبش ، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكتسح البشرية فيما مضى ، فلا تذهب حتى تكون قد أكلت آلافاً من الرؤوس .

وكان لرجوع الأحباش الى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يفتك بهم، وتعب ألمَّ بهم ، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش،ثم ما لبث ابرهة ان مات بعـد مدة غير طويلة ، فازداد اعتقاد قريش بـ ( رب البيت ) وبأصنامهـا ، وهابت العرب مكة ، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوّى من معنوياتها. ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في سورة الفيل ، وهي من السور المكّية القديمة : ( ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول )[2] .

وقصة تدنيس ( القليس ) ، قد تكون حقيقية وقعت وحدثت ، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت ، على كل حال ، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير الى مكة لهـدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً ، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم ، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسمو على فكرة تهديم البيت وتخريبه ، خطة ترمي الى ربط اليمن ببلاد الشأم ، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية ، وبذلك يستقيد الروم والحبش

---

١ تفسير الطبري ( ١٩٦/٣٠ ) ( بولاق ) ، ( وهو أول جدري ظهر في الارض ) ، تفسير النيسابوري ( ١٦٥/٣٠ ) ، ( حاشية على تفسير الطبري ) ، ( أول مـــا رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأول ما دعـي من مرايـــر الشجر : الحرمل والحنظل والعشر ، ذلك العـام ) ، الازرقي ( ٩٧/١ ومـــا بعدها ) ، ( خياط ) .

٢ السورة رقم ١٠٥ .

وهم نصارى ، وان اختلفوا مذهباً ، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً ، فيتخلص الـروم بذلك من الخضوع للأسعار العاليـة التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم، إذ سترد اليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد العرب ، فتنخفض الأسعار ويكون في امكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار .

وآية ذلك خبرٌ يرويه أهل الأخبار يقولون فيه إن ( أبرهة ) توّج ( محمد ابن خزاعي بن حزابة الذكواني ) ، ثم السلمي ، وكان قد جاءه في نفـر من قومه ، مع أخٍ له ، يقال له ( قيس بن خزاعي ) ، يلتمسون فضله ، وأمّره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، فيدعوهم في جملة مـا يدعوهم اليه الى حج ( القليس ) ، فسار محمـد بن خزاعي ، حتى اذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا اليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قتل أخوه ، فلحق بأبرهـة ، فأخبره بقتله ، فغضب وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمنّ البيت[1] .

فقتل ( محمد بن خزاعي ) ، هو الذي هاج أبرهة وحمله على ركوب ذلك المركب الخشن . ولم يكن هياجه هذا بالطبع بسبب أن القتيل كان صاحبه وصديقه بل لأن من قتله عاكس رأيه وخالف سياسته ومراميـه التوسعية القاضيـة بفرض ارادته وارادة الحبش وحلفائهم على أهل مكة وبقية كنانة ومضر ، وبتعيين ملك أو أمير عليهم ، هو الشخص المقتول ، فقتلوه . ومثـل هذا الحادث يؤثر في السياسة وفي الساسة ، ويدفع إلى اتخاذ اجراءات قاسية شديدة ، مثل ارسال جيش للقضاء على المتجاسرين حتى لا يتجاسر غيرهم ، فتفلت من السياسي الأمور .

ومن يدري ؟ فلعلّ الروم كانوا هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة وغـير مكة حتى تكون العربية الغربية كلها تحت سلطان النصرانيـة ، فتتحقق لهم مآربهم في طرد سلطان الفرس من بلاد العرب . وقد حاولوا مراراً اقنـاع الحبش بتنفيذ

---

١ الطبري ( ١٣١/٢ ) ، تفسير الطبري ( ١٩٤/٣٠ ) ، ( بولاق ) ، الازرقـي ( ٨٦/١ وما بعدها ) .

هذه الخطة والاشتراك في محاربة الفرس ، وهم الـذين حرضوا الحبشة وساعدوهم بسفنهم وبمساعدات مادية أخرى في فتح اليمن . وهم الـذين أرسلوا رسولاً اسمه ( جوليانوس ) Julianus ، وذلك في أيام القيصر ( يوسطنيـان ) Justinian لاقناع النجاشي Hellestheaeus و ( السميع أشوع ) Esimiphaeus بالتحالف مع الروم ، وتكوين جبهة واحدة ضد الفرس والاشتراك مع الروم في اعلان الحرب على الفرس بسبب الرابطة التي تجمع بينهم ، وهي رابطة الدين[1] . وكان في جملة ما رجاه القيصر من ( السميفع أشوع ) ، هو أن يوافق على تنصيب ( قيس ) Casius رئيساً على (Maddeni) معد[2] .

وقـد ذكر ( المُسكّري ) ، أن ( محمد بن خزاعي بن علقمـة بن محارب ابن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي ) كان في جيش ابرهة مع الفيل، أي انه لم يقتل كما جاء في الرواية السابقة[3] .

وقد ورد في بعض الأخبـار أن عائشة أدركت قائد الفيل وسائسه ، وكانا أعميين مقعدين يستطعمان . وقد رأتهما[4] .

وقد كان من أشراف مكة في هذا العهد غير عبد المطلب ، المطعم بن عدي، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقـد صعدوا على حِراء ينظرون ما سيفعل أبرهة بمكة[5] .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن فلالاً من الحبش من جيش أبرهـة وعفاء وبعض من ضمّه العسكر ، أقاموا بمكة ، فكانوا يعتملون ويرعون لأهل مكة[6].

وليس في كتب أهل الأخبار اسماء القبائل العربية التي جاءت مع ( أبرهة ) للاستيلاء على مكة بتفصيل . وكل ما نعرفه انه كان قـد ضم الى جيشه قوات عربية قد يكون بينها قوم من كندة ، وقد أشير الى اشتراك خولان والأشعريين فيها ،وذكر أن (خِندفاً) كانوا ممن اشترك في جيش أبرهة،وكذلك (حميس بن أد)[7].

---

١ Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437.
٢ Procopius, I, XX, 9-12, P. 193.
٣ المحبر ( ١٣٠ ) .
٤ الكشاف ( ٤/٢٣٣ ) .
٥ تفسير ابن كثير ( ٤/٥٤٨ وما بعدها ) .
٦ الأزرقي ( ١/٩٧ ، وما بعدها ) ، ( خياط ) .
٧ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 433.

وقد اشير الى أبرهـــة الأشرم والى الفيل في شعر شعراء جاهليين ومخضرمين واسلاميين . وقد ورد في شعر ( عبدالله بن الزبعرى ) أنه كان مع (أمير الحبش) ستون ألف مقاتل[1] . وورد في شعر (امية بن ابي الصلت ) ان الفيل ظل يحبو بـ ( المغمس ) ولم يتحرك ، وحوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صقور[2] . ومعنى هذا أن سادات كندة كانوا مع الحبش في زحفهم على مكة .

وذكر ( عبـــدالله بن قيس الرقيّات ) : ان ( الأشرم ) جاء بالفيل يريـد الكيد للكعبـــة ، فولى جيشه مهزوماً ، فأمطرتهم الطير بالجندل ، حتى صاروا وكأنهم مرجومون يمطرون بحصى الرجم[3] .

وذكر ان ( عمر بن الخطاب ) كان في جملة من ذكر ( أبا يكسوم أبرهة ) في شعره ، واتخذه مثلاً على من يحاول التطاول على بيت الله وعلى ( آل الله ) سكان مكة . وذكر أهل الأخبار انه قال ذلك الشعر في هجاء (زنباع بن روح ابن سلامة بن حداد بن حديدة ) وكان عشاراً ، أساء الى ( عمر بن الخطاب ) وكان قد خرج في الجاهلية تاجراً وذلك في اجتيازه واخذ مكسه ، فهجاه عمر ، فبلغ ذلك الهجـــاء ( زنباعاً ) ، فجهز جيشاً لغزو مكة . فقال عمر شعراً آخر يتحداه فيه بأن ينفذ تهديده ان كان صادقاً ، لأن من يريد البيت بسوء يكـــون مصيره مصير أبرهة الأشرم،وقد كف زنباع عن تنفيذ ما عزم عليه ولم يقم به[4] .

لقد تركت حملة (الفيل) أثراً كبيراً في أهل مكة ، حتى اعتبرت مبدأ تقويم عندهم،فصار أهل مكة يؤرخون بعام الفيل ( في كتبهم وديونهم من سنة الفيل). فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تؤرخ بعام الفيل ، ثم أرخت بعام الفجار ، ثم أرخت ببنيان الكعبة[5] .

لقد كان لأهل مكة صلات باليمن متينة ، إذ كانت لهم تجارة معها،تقصدها قوافلها في كل وقت ، وخاصة في موسم الشتاء ، حيث تجهز قريش قافلة كبيرة يساهم فيها أكثرهم ، واليها أشير في القرآن الكريم في سورة قريش : « لإيلاف

---

١ بلوغ الأرب ( ١/٢٥٨ ) ، روح المعاني ( ٢٨/٢٣٣ ) .
٢ بلوغ الأرب ( ١/٢٦٠ ) .
٣ بلوغ الأرب ( ١/٢٦٠ ) .
٤ بلوغ الأرب ( ١/٢٦١ وما بعدها ) ، الاشتقاق ( ٢٢٥ ) .
٥ الأزرقي ( ١/١٠٢ ) .

قريش . ايلافِهم رحلة الشتاء والصيف »[1] . ولهذا فقد كان من سياستهم مداراة حكام اليمن وارضاؤهم ، ومنع من قد يعتدي منهم على أحد من أهل اليمن أو الحبش ممن قد يقصد مكة للاتجار أو للاستراحة بها في أثناء سيره الى بلاد الشأم، خوفاً من منع تجارهم من دخول أسواق اليمن . فلما وثب أحدهم على تجار من اليمن كانوا قد دخلوا مكة ، وانتهبوا ما كان معهم ، مضت عدة من وجوه قريش الى ( أبي يكسوم ) ، أي أبرهة وصالحوه أن لا يقطع تجار أهل مكة عنهم . وضماناً لوفائهم بما اتفقوا عليه وضعوا ( الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ) وغيره رهينة ، فكان ( أبرهة ) يكرمهم ويصلهم ، وكانوا يبضعون البضائع الى مكة لأنفسهم[2] .

وقد وضع أهل الطائف رهائن عند أبي يكسوم كذلك ، ضماناً لحسن معاملتهم للحبش ولمن قد يقصد الطائف للاتجار من الحبش أو من أهل اليمن[3] .

## طرد الحبشة :

لقد عجل الحبش في نهايتهم في اليمن ، وعملوا بأيديهم في هدم ما أقاموه بأنفسهم من حكومة ، باعتدائهم على أعراض الناس وأموالهم ، وأخذهم عنوة كل ما كانوا يجدونه أمامهم ، حتى ضجّ أهل اليمن وضجروا ، فهبوا يريدون تغيير الحال ، وطرد الحبشة عن أرضهم ، وإن أدى الأمر بهم الى تبديلهم بأناس أعاجم أيضاً مثل الروم أو الفرس ، اذا عجزوا هم عن طردهم ، فلعل من الحكام الجدد من قد يكون أهون شراً من الحبش ، وان كان كلاهما شراً ، ولكن اذا كان لا بد من أحد الشرين فإن أهونهما هو الخيار ولا شك .

وهبّ اليمانون على الحبش ، وثار عليهم ساداتهم في مواضع متعددة غير أن ثوراتهم لم تفدهم شيئاً ، اذ أخمدت ، وقتل القائمون بها . ومن أهم اسباب إخفاقها انها لم تكن ثورة عارمة عامة مادتها كل الجماهير والسادات ، بل كانت ثورات سادات ، مادة كل ثورة مؤججها ومن وراءه من تبع . هنا ثورة وهناك

---

١ الآية الأولى وما بعدها .
٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 432.
٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 431.

ثورة ، ولم تكن بقيادة واحدة ، أو بإمرة قائد خبير أو قادة متكاتفين خبراء بأمور الحرب والقتال ، فصار من السهل على الحبش، الانقضاض عليها واخمادها، أضف الى ذلك انها لم تؤقت بصورة تجعلها ثورات جماعية ، وكأنها نيران تلتهب في وقت واحد،يعسر على مخمدي النيران إخمادها ، او اخمادها على الأقل بسهولة .

ولتحاسد الأقيال وتنافسهم على السيادة والزعامة نصيب كبير في هذا الإخفاق ، لذلك وجه بعض السادة أنظارهم نحو الخارج في أمل الحصول على معونة عسكرية أجنبية خارجية ، تأتيهم من وراء الحدود ، لتكره الحبش على ترك اليمن. وكان صاحب هذا الرأي والمفكر فيه ( سيف بن ذي يزن ) ، من ابناء الأذواء ومن أسرة شهيرة . وقد نجح في مشروعه ، فاكتسب صفة البطولة وانتشر اسمه بين اليمانيين ، حتى صير أسطورة من الأساطير ، وصارت حياته قصة من القصص أمثال قصة أبي زيد الهلالي وعنترة وغيرهما ممن تحولوا الى أبطال تقص حياتهم على الناس في المجالس وفي المقاهي وحفلات السمر والترفيه،أو تقرأ للتسلية واللهو .

و ( سيف بن ذي يزن ) ، هو ( معديكرب بن ابي مرّة ) ، وقد عرف ابوه ايضاً بـ ( ابي مرة الفياض ) ، وكان من أشراف حمير ، ومن الأذواء[1]. وأمه ( ريحانة ابنة علقمة ) ، وهي من نسل ( ذي جدن ) على نحو ما ذكرت. يقال إن أبرهة لما انتزع ريحانة من بعلها ( ابي مرة ) ، فرّ زوجها الى العراق فالتجأ الى ملك الحيرة ( عمرو بن هند ) على ما يظن ، وبقي ( معديكرب ) مع امه في بيت ( أبرهة ) على ذلك مدة ، حتى وقع شجار بينه وبين شقيقه من امه ( مسروق ) الذي ولي الملك بعد موت اخيه ( يكسوم ) فأثر ذلك في نفسه وحقد على ( مسروق ) ، فلما مات يكسوم ، خرج من اليمن ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب اليه ان يخرجهم عنه ، ويليهم هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه ولم يجد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فأسكنه عنده ثم اوصله بكسرى ، وحدثه في شأنه وفي خاطره في قومه ، فأمده بثماني مئة محارب ، وبـ ( وهرز ) أمّره عليهم ، وبثماني سفن جعل في كل سفينة مئة

---

١ الطبري ( ٢/١٣٠ ، ١٤٣ ) ، ( معد يكرب بن سيف ) ، مروج ( ٢/٥٥ ) ، ( دار الاندلس ) .

رجل وما يصلحهم في البحر ، فخرجوا ، حتى اذا لجوا في البحر غرقت من السفن سفينتان بما فيها ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهن ستمئة رجل فيهم وهرز وسيف بن ذي يزن ، نزلوا ارض اليمن، فلما سمع بهم مسروق بن أبرهة ، جمع اليه جنده من الحبشة ، ثم سار اليهم ، فلما التقوا رمى ( وهرز ) مسروقاً بسهم ، فقتله ، وانهزمت الحبشة ، فقتلوا ، وهرب شريدهم ، ودخل ( وهرز ) مدينة صنعاء ، وملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، وكتب بذلك الى كسرى . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وارضها وان يرجع وهرز الى بلاده ، فرجع اليها . ورضي سيف بدفع جزية وخرج يؤديه في كل عام[1] .

وذكر ( الطبري ) في رواية له اخرى عن ( سيف بن ذي يزن ) وعن مساعدة الفرس له ، فقال : « فخرج ابن ذي يزن قاصداً الى ملك الروم ، وتجنّب كسرى لابطائه عن نصر ابيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب،ووجده يحامي عن الحبشة لموافقتهم اياه على الدين ، فانكفأ راجعاً الى كسرى »[2] . فقابله وحيّاه وقال لكسرى : « انا ابن الشيخ اليماني ذي يزن ، الذي وعدته ان تنصره فما بابك وحضرتك ، فتلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرقّ له كسرى ، وامر له بمال . فخرج ، فجعل ينشر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل اليه كسرى : ما الذي حملك على ما صنعت : قال : إني لم آتك للمال ، انما جئتك للرجال ، ولتمنعني من الذل ، فأعجب ذلك كسرى ، فبعث اليه : ان أقم حتى انظر في امرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له الموبذان : إن لهذا الغلام حقاً بنزوعه وموت ابيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عدته اياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس، فلو ان الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح وأراح اهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد الصواب . قال كسرى : هذا الرأي . وعمل به[3] ».

---

١ الطبري ( ٢/١٣٦ ) ( دار المعارف ) ابن خلدون ( ٢/٦٣ ) ، المعارف ( ٢٧٨ ) ،
٢ الاخبار الطوال ( ص ٦٣ وما بعدها ) ، مروج ( ٢/٥٥ ) ، ( دار الاندلس ) ٠
الطبري ( ٢/١٤٤ ) ، ( دار المعارف ) ٠
٣ الطبري ( ٢/١٤٤ ) ، ( دار المعارف ) ٠

ويظهر من هذه الرواية ، ان ( ابا مرّة ) ، والد ( معـديكرب ) ، كان قد فرّ من اليمن الى العراق ، وقـد حاول عبثاً حث كسرى على تقديم العون العسكري لـه لطرد ابرهة وقومه الحبش عن اليمن ، وبقي يسعى ويحاول حتى مات بالعراق ، مات بالمدائن على حد زعم هذه الرواية . ويظهر منهـا أيضاً ، ان سيف بن ذي يزن ، أي ولد ابني مرّة ، كان قد أيس هـو من كسرى بعد ان رأى ما رأى من موقفه مع ابيه ، فذهب أولاً الى ملك الروم ، عـلى أمـل مساعدته ومعاونته في طرد الحبش عن بلاده ، حتى وان أدى الأمر الى استيلاء الروم على اليمن ، فلما خاب ظنه ذهب الى الفرس ، فساعدوه .

ويذكر (الطبري) أن وهرز لما انصرف الى كسرى ، ملّك سيفاً على اليمن، ف « عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويبقر النساء عما في بطونها ، حتى اذا أفناها الا بقايا ذليلة قليلة ، فاتخذهم خولاً ، واتخذ منهم جمّازين يسعون بين يديـه بحرابهم ، حتى اذا كان في وسط منهم وجأوه بالحراب حتى قتلوه ، ووثب بهم رجل من الحبشة ، فقتـل باليمن وأوعث ، فأفسد ، فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم ( وهرز ) في أربعة آلاف من الفرس ، وأمره الا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله ، صغيراً كان او كبيراً. فأقبل وهرز ، حتى دخل اليمن ففعـل ذلك . ثم كتب الى كسرى بذلك ، فأمره كسرى عليها . فكان عليها ، وكان يجبيها الى كسرى حتى هلك»[1].

لقد كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة (٥٢٥) للميلاد . أمـا القضاء على حكمهم فكان قريباً من سنة (٥٧٥) للميلاد[2] . ولكن الحبش كانوا في اليمن قبل هذا العهد ، اذ كانوا احتلوا بعض الأرضين قبـل السنة (٥٢٥) للميلاد ، وكانوا يحكمونها باسم ملك الحبشة .

وجاء في تأريخ الطبري وفي موارد اخرى ان حـكم الحبش لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم اربعة : أرياط ، ثم أبرهـة ، ثم يكسوم بن ابرهة ، ثم مسروق ابن ابرهة[3] . وهو رقم فيه زيادة ، اذا اعتبرنا ان نهايـة

---

١ الطبري ( ١٤٨/٢ ) ( دار المعارف ) ، المعارف ( ٢٧٨ ) .

٢ W. Phillips, P. 223.

٣ الطبري ( ١٣٩/٢ ) .

حكم الحبش في اليمن ، كانت في حوالى السنة ( ٥٧٥ م ) . اما اخذنا برواية اهل الأخبار مثل حمزة ، الذي ذكر كما سبق ان بيّنت ان حكم ( أرياط ) دام عشرين سنة ، وان حكم ابرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وان حكم ( يكسوم ) سبع عشرة ، وان حكم مسروق اثنتي عشرة سنة ، فيكون ما ذكره (الطبري) وحمزة صحيحاً من حيث المجموع ، لأن مجموعه (٧٢) سنة . ولكني أشك في ان حكم (أرياط) كان (٢٠) سنة . إذ يعني هذا ان حكمه استمر الى سنة (٥٤٥) للميلاد، والمعروف من نص ( ابرهة ) المدون على جدار سد مأرب ، ان ابرهة رمم السد وقوّى جدرانه سنة ( ٥٤٢ ) للميلاد . ومعنى هذا انه كان قد استبد بأمر اليمن قبل هذا الزمن .

وقد تعرّض ( حمزة ) لهذا البحث ، ولفت النظر الى تفاوت الرواة في مدة لبث الحبشة باليمن وفي تأريخ اليمن كله . فقال : « وليس في جميع التواريخ تأريخ أسقم ولا أخلّ من تأريخ الأقيال ملوك حمير ، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم ، مع قلة عدد ملوكهم » ، و « قد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافاً متفاوتاً »[1] . والواقع اننا نجد اختلافاً كبيراً بين اهل الأخبار في تأريخ اليمن،حتى في المتأخر منه القريب من الاسلام .

ويذكر ( ابو حنيفة الدينوري ) ، ان ( وهرز ) كان شيخاً كبيراً ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان العجم وابطالها،ومن اهل البيوتات والشرف ، وكان اخاف السبيل ، فحبسه كسرى . ويقال له ( وهرز بن الكاسجار )،فسار بأصحابه الى ( الأبلة ) فركب منها البحر . وذكر ان ( كسرى ) لما ردّه الى اليمن ، بعد وثوب الحبش بـ ( سيف بن ذي يزن ) ، وبقي هناك الى ان وافاه اجله ، قُبر في مكان سمّي ( مقبرة وهرز ) ، وراء الكنيسة ، ولم يشر الى اسم الكنيسة[2] ، ولعله قصد موضع ( القليس ) .

أما ( المسعودي ) ، فصير ( وهرز ) موظفاً كبيراً بدرجة ( اصبهبذ ) ، ودعاه بـ ( وهرز اصبهبذ الديلم ) . اي انه كان اصبهبذاً على الديلم اذ ذاك . وذكر انه ركب ومن كان معه من اهل السجون البحر في السفن في دجلة ومعهم

---

١ حمزة ( ص ٨٩ ) .
٢ الاخبار الطوال ( ص ٦٤ ) .

خيولهم وعُددهم وأموالهم حتى أتوا ( الأبلة ) ، فركبوا في سفن البحر،وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت في موضع يقال له ( مَثْوب ) ، فخرجوا من السفن فأمرهم ( وهرز ) ان يحرقوا السفن ، ليعلموا انه الموت . ثم ساروا من هناك براً حتى التقوا بـ ( مسروق )[1] .

وذكر ( المسعودي )،ان ( كسرى انو شروان ) ، اشترط على (معديكرب) شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها ، وخراج يحمله اليه . فتوج ( وهرز ) معديكرب بتاج كان معه وبدنة من الفضة ألبسه اياها ، ورتبه بالملك على اليمن ، وكتب الى ( أنو شروان ) بالفتح[2] .

قال ( المسعودي ) ولما ثبت ( معديكرب ) في ملك اليمن ، أتته الوفود من العرب تهنّيه بعود الملك اليه ، وفيها وفد مكة وعليهم عبد المطلب ، وأمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العُزى ، وابو زمعة جد اميّة بن ابي الصلت ، فدخلوا اليه ، وهو في اعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان ، وهنأوه ، وارتجل عبد المطلب خطاباً ، ذكر المسعودي وغيره نصه ، وأنشد ( ابو زمعة ) شعراً ، فيه ثناء على الملك وحمد للفرس ( بنو الأحرار ) الذين ساعدوا أهل اليمن ، على ( سود الكلاب )[3] .

واذا أخذنا برواية ( المسعودي ) عن وفد مكة ، وبما يذكره اهل الأخبار عن مدة حكم الحبش على اليمن ، وهي اثنتين وسبعين سنة ، وجب ان يكون ذهاب الوفد الى صنعاء بعد سنة (٥٩٧) للميلاد ، وهذا مستحيل . فقد كانت وفاة ( عبد المطلب ) في السنة الثامنة من عام الفيل ، والرسول في الثامنة اذ ذاك فتكون وفاة ( عبد المطلب ) اذن في حوالي السنة (٥٧٨) أو (٥٧٩) للميلاد ، اي في ايام وجود الحبش في اليمن ، وقبل طردهم من بلاد العرب . اما لو اخذنا برواية الباحثين المحدثين التي تجعل زمن طرد الحبش عن اليمن سنة (٥٧٥) للميلاد ، او قبلها بقليل ، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب (عبد المطلب) الى اليمن ، على نحو ما يرويه ( المسعودي ) .

---

١ مروج ( ٢/٥٥ وما بعدها ) .
٢ مروج ( ٢/٥٦ وما بعدها ) ، دار الاندلس .
٣ مروج ( ٢/٥٨ وما بعدها ) .

لم يذكر اهل الأخبار السنة التي تولى فيها ( سيف بن ذي يزن ) الحكم على اليمن بعد طرد الحبش عنها ، ويرى بعض الباحثين انها كانت في حوالي السنة (٥٧٥) للميلاد . وان حكمه لم يكن قد شمل كل اليمن ، بل جزءاً منها . ويظهر ان الفرس استأثروا بحكم اليمن لأنفسهم ، اذ نجد ان رجالاً منها تحكمها منذ حوالي السنة (٥٩٨) للميلاد تقريباً،وكان احدهم بدرجة (ستراب) (سطراب) Satrapie[1] .

وذكر ( ابن دريد ) ان من ذرية ( سيف بن ذي يزن ) ، ( عُفير بن زرعة بن عفير بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف ) . وكان سيد حمير بالشأم في ايام عبد الملك بن مروان[2] .

ورووا ان ( وهرز ) كان يبعث العير الى كسرى بالطيوب والأموال فتمر على طريق البحرين تارة وعلى طريق الحجاز اخرى،فعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيرة بطريق البحرين ، فكتب الى عامله بالانتقام منهم ، فسار عليهم وقتل منهم خلقاً ، وذلك يوم ( الصفقة )[3] . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم ، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس ، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة[4] .

وامر كسرى بتولي ابن وهرز ، وهو ( المزربان بن وهرز ) منصب ابيه ، لما توفي والده . فكان عليها الى ان هلك[5] .

ثم امر كسرى ( البينجان بن المرزبان ) اي حفيد ( وهرز ) بتولي منصب ابيه حين داهمته منيته . فأمّر كسرى بعده ( خُرّخرة بن البينجان ) ، فكان عليها ، ثم غضب كسرى عليه . واستدعاه الى عاصمته ، فذهب اليها ، فخلعه كسرى وعين باذان ( باذام ) في مكانه ، فلم يزل على اليمن حتى بعث الرسول[6]. وذكر بعض اهل الأخبار ان ( خذ خسرو بن السيحان بن المرزبان ) هو الذي

---

١ Beiträge, S. 121, W. Phillips, P. 223.
٢ الاشتقاق ( ٢/٣٦٠ ) .
٣ ابن خلدون ( ٢/٦٥ ) ، الاغاني ( ١١/١٣١ ) .
٤ ابن خلدون ( ٢/٦٥ ) ، اللسان ( ٦/٣٥٤ ) ، القاموس ( ٢/١٠٨ ) .
٥ الطبري ( ٢/١٤٨ ) ، صبح الأعشى ( ٥/٢٥ ) .
٦ الطبري ( ٢/١٤٨ ) .

حكم بعد ( المرزبان بن وهرز ) ، وهـو الذي عزله كسرى ، وولى ( باذان ) ( باذام ) بعده على اليمن[1] .

لقد كانت السنة السادسة من الهجرة ، سنة مهمة جداً في تاريخ اليمن . فيها دخل ( باذان ) ( باذام ) في الاسلام ، وفيها قضى الاسلام على الوثنية واليهودية والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في البلاد ، فلم يبق حكم حبشي ولا حكم فارسي[2]. ويرى بعض المستشرقين ان دخول باذان في الإسلام كان بين سنة (٦٢٨) و(٦٣٠) للميلاد[3] . ويذكر ( الطبري ) ، ان اسلام ( باذان ) ، كان بعد قتل (شيرويه) لأبيه ( كسرى أبرويز ) ، وتوليه الحكم في موضع والده . فلما جاء كتاب شيرويه اليه يبلغه بالخبر ، ويطلب منه الطاعة ، اعلن اسلامه ، وأسلم من كان معه من الفرس والأبناء[4] . وقد ولى ( شيرويه ) الحكم في سنة (٦٢٨) للميلاد ، ولم يدم حكمه اكثر من ثمانية اشهر . وقد عرف بـ ( قباذ )[5] .

وقد ذكر ان ( باذان ) ( باذام ) كان من ( الأبناء ) ، أي من الفرس الذين ولدوا في اليمن ، وأن الرسول استعمل ابنه ( شهر بـن باذان ) مكانه ، أي بعد وفاة والده[6] .

ويذكر أهل الأخبار ان الفرس الذين عاشوا في اليمن وولدوا بهـا واختلطوا بأهلها ، عرفوا بـ ( الأبناء ) ، وبـ ( بني الأحرار )[7] .

ولما قتل ( الأسود العنسي ) ( شهر بن باذام ) ( شهر بن باذان ) ، واستبد ( العنسي ) بأمر اليمن ، خرج عمال الرسول عن اليمن . فلما قتل ( العنسي ) ورجع عمال النبي الى اليمن ، استبد بصنعاء ( قيس بن عبد يغوث المرادي ) ، وتوفي الرسول والأمر على ذلك . ثم كانت خلافة ابـي بكـر ، فولى على اليمن ( فيروز الديلمي )[8] .

---

١ صبح الاعشى ( ٥/٢٥ ) .
٢ الطبري ( ٢/٦٥٥ وما بعدها ) .
٣ W. Phillips, P. 223.
٤ الطبري ( ٢/٦٥٥ ، وما بعدها ) ، ( دار المعارف ) .
٥ Ency., 4, P. 178.
٦ الاصابة ( ١/١٧٠ ) .
٧ الاغاني ( ١٦/٧٣ ) .
٨ صبح الأعشى ( ٥/٢٦ ، ٤٦ ) .

وقد تطرق ( ابن قتيبة ) الى ( ملوك الحبشة في اليمن ) ، فذكر اسم (أبرهة الأشرم ) ، ثم ( يكسوم بن أبرهة ) ، ثم ( سيف بن ذي يزن ) ، فقال عنه : انه ( أتى كسرى أنو شروان بن قباذ ) في آخر ايام ملكه — هكذا تقول الأعاجم في سيرها،وانا احسبه هرمز بن أنو شروان على ما وجدت في التأريخ—»[1] مما يدل على أنه نقل أخباره عن حملة الفرس على اليمن من كتب سير ملوك العجم ، المؤلفة بلغتهم ، كما نقل من موارد أخرى غير أعجمية . وقد ذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا اختلافاً متفاوتاً في مكث الحبشة في اليمن[2] .

وكوّن الأبناء طبقة خاصة في اليمن ، ولما قدم ( وبر بن يُحَنّس ) على الأبناء باليمن ، يدعوهم الى الاسلام ، نزل على بنات النعمان بن يُزرج فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى (مركبود) وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه[3] .

ونجد عهد استيلاء الحبشة الأخير على اليمن عهداً كريماً من ناحيته التأريخية ، اذ دوّن جملة نصوص ، تحدثت عنها فيما سلف . أما عهد استيلاء الفرس على اليمن الى دخولها في الاسلام ، فلم يترك شيئاً مدوناً ولا أثراً يمكن أن يفيدنا في الكشف عن اليمن في هذا العهد . لم يترك لنا كتابة ما،لا بالمسند ولا بقلم الساسانيين الرسمي يشرح الأوضاع السياسية أو أي وضع آخر في هذا العهد .

وحالنا في النصوص الكتابية في أول عهد دخول اليمن في الاسلام ، مثل حالنا في استيلاء الفرس عليها ، فنحن فيه معدمون لا نملك ولا نصاً واحداً مدوناً من ذلك العهد . وهو أمر مؤسف كثيراً ، وكيف لا وهو والعهد الذي قبله المتصل به ، من أهم العهود الخطيرة في تأريخ اليمن وجزيرة العرب ، ونص واحد من هذين العهدين ثروة لا تقدّر بثمن لمن يريد الوقوف على التطورات التأريخية التي مرّت بالعرب قبيل الاسلام وعند ظهوره .

---

١ المعارف ( ص ٦٣٨ ) ، ( ثروت عكاشه ) .
٢ المصدر نفسه .
٣ الطبري ( ١٥٨/٣ ) .

بئر من آبار صنعاء
من كتاب : Jemen, das Verbotene Land
لمؤلفه : Günther Pawelke

هذا ولا بد لي من الاشارة الى أن حكم الفرس لليمن لم يكن حكماً فعلياً واقعياً ، فلم يكن ولاتهم يحكمون اليمن كلها ، وانما كان حكمهم حكماً اسمياً صورياً ، اقتصر على صنعاء وما والاها ، أما المواضع الأخرى ، فكان حكمها لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة القديمة والأقيال والأذواء . ذلك أن أهل كل

ناحية ملّكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا ( ملوك الطوائف )[1] فكان على حمير عند مبعث رسول الله سادات نعتوا أنفسهم بنعوت الملوك،من بينهم (الحارث ابن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر وزرعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوي ) . وقد أرسلوا الى الرسول مبعوثاً عنهم يخبره برغبتهم في الدخول في الاسلام ، وصل اليه مقفله من أرض الروم ، ثم لقيه بالمدينة وأخبره باسلامهم وبمفارقتهم الشرك ، فكتب اليهم رسول الله كتاباً يشرح فيه ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق[2] .

**همدان وصنعاء ومأرب :**

وكانت همدان عند مبعث الرسول ، مستقلة في ادارة شؤونها ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد على يد علي بن أبي طالب[3] .

ولقد صارت ( صنعاء ) عاصمة لحكام اليمن منذ عهد الحبش حتى هذا اليوم، أما ( مأرب ) فقد صارت مدينة ثانوية ، بل دون هذه الدرجة ، وأفل كذلك شأن ظفار ، وسائر المواضع التي كان لها شأن يذكر في عهد استقلال اليمن وفي عهد الوثنية . ويرجع بعض أهل الأخبار بناء صنعاء الى ( سام بن نوح ) ، وزعموا أنها أول مدينة بنيت باليمن ، وأن قصر ( غمدان ) كان أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه ( الضحاك ) على اسم الزُّهرة . وكان الناس يقصدونه الى أيام ( عثمان ) فهدمه ، فصار موضعه تلاً عظيماً[4] .

---

١ المعارف ( ٢٧٨ ) .

٢ ( قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم ) ، الطبري ( ٣/١٢٠ ) ( دار المعارف ) .

٣ الطبري ( ٣/١٣٢ ) ، (دار المعارف ) .

٤ صبح الأعشى ( ٥/٣٩ وما بعدها ) ، ( وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخربه عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ خراب قد هدم فصار تلا عظيما ، وقد كان الوزير علي بن عيسى الجراح ، حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء ، بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا . ورأيت غمدان ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن ) ، ( وقد قيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في أعلى البنيان بالليل واشتعلت الشموع ، رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام ) ، مروج ( ٢/٢٢٩ وما بعدها ) ، ( والبناء القائم مكانه يدعى باسمه ويختصر في صنعاء ، فيقولون: القصر ، وفيه معمل للخرطوش ) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية ( ١/٢٨٤ ) .

وقد ورد اسم ( صنعاء ) لأول مرة على ما نعلم في نص يعود عهده الى أيام الملك ( الشرح يحضب ) ( ملك سبأ وذي ريدان ) ، ودعيت فيه بـ ( صنعو)[1] . وذكر الأخباريون أنها كانت تعرف بـ ( ازال ) وبـ ( أوال )[2] . أخذوا ذلك على ما يظهر من (أزال ) في التوراة بواسطة أهل الكتاب مثل ( كعب الأحبار ) ووهب بن منبّه[3] . وذكروا أن قصر غمدان الذي هو بها قصر (سام بن نوح )، أو قصر ( الشرح يحضب ) ( ليشرح يحضب )[4] . وذكروا أيضاً أنها أول مدينة اختطت باليمن بنتها ( عاد )[5] . ورووا قصصاً عن ( غمدان ) ، فزعم بعضهم أن بانيه ( سليمان ) أمر الشياطين ، فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور : غمدان وسلحين وبينون . وزعم بعضهم أن بانيه هو : ( ليشرح يحضب ) أراد اتخاذ قصر بين صنعاء و ( طيوة ) ، فانتخب موضع ( غمدان )[6] . وقد وصف ( الهمداني ) ما تبقى منه في أيامه ، وأشار الى ما كان يرويه أهل الأخبار عنه[7] .

**نجران :**

وأما ( نجران ) ، فقد كانت مستقلة بشؤونها ، يديرها ساداتها وأشرافها ، ولها نظام سياسي واداري خاص تخضع له ، ولم يكن للفرس عليها سلطان . وكان أهلها من ( بني الحارث بن كعب ) ، وهم من ( مذحج ) و ( كهلان ) ،

---

١ Glaser 424.

٢ ( وكانت تسمى أوال من الاولية بلغتهم ) ، مختصر تأريخ اليمن المنقول عن كتاب العبر لابن خلدون ، ( ص ١٢٥ ) ، تحقيق ( H. C. Kay ) لندن ١٨٩٢ م ، Ency., IV, P. 144, Glaser, Skimme, II, S. 310, 424.

٣ الاكليل ( ص ١٨ ) .

٤ الاكليل ( ص ٤ ) ، القزويني ، آثار البلاد (٥١) .

٥ مختصر تأريخ اليمن ( ١٢٥ ) .

٦ البلدان ( ٦/٣٠١ وما بعدها ) ، Ency., II, P. 166, Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien, I, S. 418, 421.

٧ الاكليل ( ٨/١٢ وما بعدها ) .

وكانوا نصارى . ومن أشرافهم ( بنو عبد المدان بن الديّان ) ، أصحاب كعبة نجران[1] وكان فيهـا أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة ، مع وفد مؤلف من ستين أو سبعين رجلاً راكباً ، فيهم أربعـة عشر رجلاً من أشرافهم ، منهم ثلاثة نفر اليهم يـؤول أمرهم . العاقب أمـير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم ( وهب ) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مِدْراسهم[2] .

ويذكر الأخباريون ،ان أبا حارثة كان قد شرف في أهل نجران ودرس الكتب حتى حسن علمه في دينهم ، وصار مرجعهم الأكبر فيه . وكانت له حظوة عند ملك الروم ، حتى أنه كان يرسل له الأموال والفعلة ليبنوا له الكنائس ،لما كانت له من منزلة في الدين وفي الدنيا عند قومه . وكان له أخ اسمه (كوز بن علقمة). وقد أسلما مع من أسلم من الناس بعد السنة العاشرة من الهجرة[3] .

ويظهر من الخبر المتقدم أن ملوك الروم كانوا عـلى اتصال بنصارى اليمن ، وانهم كانوا يساعدون أساقفتهم ويموّلونهم ، ويرسلون اليهم العطايا والهبات . وقد أمدّوهم بالبنّائين والفعلة وبالمواد اللازمة لبناء الكنائس في نجران وفي غيرهـا من مواضع اليمن . وقد كان من مصلحة الروم مساعدة النصرانية في اليمن وانتشارها ، لأن في ذلك كسباً عظيماً لهـم . فبانتشارها يستطيعون تحقيق مـا عجز عنه ( أوليوس غالوس ) حينما كلفه انبراطور روما اقتحام العربية السعيـدة والاستيلاء عليها .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرئاسة الى غيره ، انتقلت الكتب اليه وقد عرفت

---

١ الطبري ( ٣/١٣٢ ) ( دار المعارف ) . صبح الأعشى ( ٥/٣٩وما بعدها ) .

٢ ابن هشام ( ٢/٢٢٢ وما بعدها ) ، ابن الاثير ( ٢/١٢٢ ) ، ابن خلـدون ( ٢/٥٧ ) ( الوفود ) ، البلدان ( ٨/٢٥٨ وما بعدها ) ، الطبري ( ٣/١٣٩ ) ، تاج العروس ( ١/٣٨٩ ) ، Raccolta, III, P. 128.

٣ ابن هشام ( ٢/٢٢٢ وما بعدها ) .

تلك الكتب بـ ( الوضائع ) . وكانوا يختمونها ، فكلما تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخواتم السابقة ختماً[1] . وذكر علماء اللغة ان الوضائع هي كتب يكتب فيها الحكمة . وفي الحديث : أنه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع[2] .

ونجران أرض في نجد اليمن خصبة غنية ، وفيها مدينة نجران من المدن اليمانية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها ( سترابون ) في جغرافيته ، وسماها Negrana = Negrani في معرض كلامه على حملة ( أوليوس غالوس ) على العربية ، كما ذكرها المؤرخ ( بلينيوس ) في جملة المدن التي أصابتها يد التخريب في هذه الحملة[3] . كما ذكرها ( بطلميوس ) ، فسماها Negara Metropolis = Nagera Mytropolis[4] .

وفي ذكر (بطلميوس) لها على أنها ( مدينة ) دلالة على أنها كانت معروفة أيضاً بعد الميلاد . وأن صيتها بلغ مسامع اليونان .

ويعدّ النص الموسوم بـ Glaser 418, 419 ، من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم مدينة نجران . إذ يرتفع زمنه الى أيام ( المكربين ) . وقد ذكر كما سبق في أثناء كلامي على دور المكربين ، في مناسبة تسجيل أعمال ذلك (المكرب) وتأريخ حروبه وما قام به من فتوح . وورد ذكرها في النص: (Glaser 1000) ، الذي يرتقي زمنه الى أيام المكرب والملك( كرب ايل وتر ) آخر ( مكربي) سبأ، وأول من تلقب بلقب ( ملك سبأ )[5] . فورود اسم ( نجران ) في النصين المذكورين يدل على أنها كانت من المدن القديمة العامرة قبل الميلاد ، وأنها كانت من المواضع النابهة في أول أيام سبأ .

وورد اسمها في نصوص أخرى . كما ذكرت في جملة المواضع التي دخلها رجال

---

١ ابن هشام ( ٢/٢٢٢ وما بعدها ) .
٢ اللسان ( ٨/٣٩٩ ) ، ( و/ض/ع ) .
٣ Strabo, XVI, IV, 24, vol., III, P. 212, Pliny, Nat. Histo., II, P. 458, VI, 160.
٤ Ptolemy, VI, 7, 37.
٥ Beiträge, S. 9.

حملة ( أوليوس غالوس ) على اليمن . وذكرها نص ( النمارة ) الذي يرتقي زمنه الى سنة (٣٢٨) بعد الميلاد . وقد كانت في أيدي الملك ( شمر يهرعش ) إذ ذاك على رأي أكثر الباحثين . اذ كان قد وسع رقعة حكومة ( سبأ وذي ريدان وحضرموت ) وأضاف اليها أرضين جديدة منها أرض ( نجران )[١] ، وأشار الى تدمير ذلك الملك لـ ( نبطو ) ، أي النبط[٢] .

وقد ذهب ( ريستر ) الى أن Negara Mytropolis ، هو الموضع المسمى بـ ( القابل ) على الضفة الغربية لوادي نجران[٣] . أما ( هاليفي ) ، فذهب الى أنها الخرائب المسماة ( الأخدود )[٤] . وذهب ( كلاسر ) الى أنها الأخدود أو ( رجلة ) ، أو موضع آخر في ( وادي الدواسر )[٥] .

وقد ذكر ( الهمداني ) ان موضع ( هجر نجران ) أي مدينة نجران ، هو الأخدود . ومدح خصب أرض نجران . ولم يكن (نجران) اسم مدينة في الأصل كما يتبين من النص CIH 363 ، بل كان اسم أرض بدليل ورود أسماء مواضع ذكر انها في ( نجرن ) نجران . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (رجمت) كانت من المدن الكبرى في هذه الأرض ، ثم تخصص اسم نجران فصار علماً على المدينة التي عرفت بنجران[٦] .

وذهب بعض الباحثين الى أن (رجمت) ( رجمة ) هي ( رعمة ) المذكورة في التوراة . وقد تحدثت فيما سلف عن (رعمة) وعن اتجار أهلها وتجار ( شبا ) Sheba مع ( صور ) Tyrus[٧] .

---

١ Beiträge, S. 11.

٢ Beiträge, S. 11.

٣ Paulys-Wissowa, 32ter Halbband, 1574.

٤ Halevy, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asia., VI, XIX, 1872, 39, 90.

٥ Glaser, Skizze, II.

٦ Beiträge, S. 10.

٧ أخبار الايام ، الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٩ ، التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ٧ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٢٢ ، Beiträge, S. 11.

ويذكر الأخباريون أن قوماً من ( جرهم ) نزلوا بنجران ، ثم غلبهم عليها بنو حمير ، وصاروا ولاة للتبابعة ، وكان كل من ملك منهم يلقب ( الأفعى ) . ومنهم ( أفعى نجران ) واسمه ( القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب ابن زيد بن وائل بن حمير ) ، وكان كاهناً . وهو الذي حكم على حد قولهم بين أولاد نزار . وكان والياً على نجران لبلقيس ، فبعثته الى سليمان ، وآمن ، وبث دين اليهودية في قومه ، وطال عمره ، وزعموا انه ملك البحرين والمشلل . ثم استولى ( بنو مذحج ) على نجران . ثم ( بنو الحارث بن كعب ) ، وانتهت رياسة بني الحارث فيها الى بني الديّان ، ثم صارت الى بني عبد المدان ، وكان منهم ( يزيد ) على عهد الرسول[1] .

ويرى بعض أهل الأخبار أن ( السيد ) والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران[2].

وقد سميت ( نجران ) بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على رأي بعض أهم الأخبار . وقد اشتهرت بالأدم[3] .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى ( بني الحارث بن كعب ) بنجران ، وأمره أن يدعوهم الى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فإن استجابوا اليه قبل منهم ، وإن لم يفعلوا قاتلهم . فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه ، ورجع خالد مع وفد منهم الى رسول الله ، فأعلنوا إسلامهم أمامه ، ثم رجعوا وقد عين الرسول ( عمرو ابن حزم ) عاملاً على نجران . فبقي بنجران حتى توفى رسول الله[4] .

ولما عاد خالد بن الوليد من نجران الى المدينة ، أقبل معه وفد ( بلحارث بن

---

١ ( مختصر تاريخ اليمن المنقول من كتاب العبر لابن خلدون ( ١٣٣ وما بعدها ) ، مطبوع مع كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمني ، سنة ١٨٩٢ ، بلندن ، بعناية : Henry Cassels Kay. صبح الأعشى ( ٥/ ٤٥ ) .

٢ المحبر ( ١٣٢ ) .

٣ صبح الأعشى ( ٥/ ٤٠ وما بعدها ) ، الاكليل ( ١/ ١٤ ) .

٤ الطبري ( ٣/ ١٢٦ وما بعدها ) ( سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب واسلامهم ) .

كعـــب ) ، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المُحجّل،وعبد الله بن قريظ الزيادي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي . فلما رآهم الرسول ، قـــال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ ثم كلمهم ، وأمَّر ( قيس بن الحصين) عليهم، ورجعوا ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بأربعة أشهر[1] .

وقد اشتهرت نجران بثيابهـــا ، ولما توفى الرسول ، كُفِّن في ثلاثة أثواب نجرانية[2] .

وقد زار ( فلبي ) وادي نجران ، وعثر على خرائب قديمة ، يرجع عهدها الى ما قبل الإسلام ، كما تعرف على موضع ( كعبة نجران ) . ووجـــد صوراً قديمة محفورة في الصخر على مقربة من ( أم خرق ) ، وكتابات مدوّنة بالمسند. وعـــلى موضع يعرف بـ ( قصر ابن ثامر ) ، وضريح ينسب الى ذلك القـديس الشهيد الذي يرد اسمه في قصص الأخباريين عن شهداء نجران . ويرى ( فلبي ) أن مدينة (رجمت) (رجمة) هي ( الأخدود ) ، وأن الخـــرائب التي لا تزال تشاهد فيهـــا اليوم تعود الى أيام المعينيـــين[3] . ويقع ( قصر الأخدود ) الأثري بين ( القابل ) و ( رجلة ) ، وهو من المواضع الغنية بالآثار[4] . وقـــد تبسط ( فلبي ) في وصف موضع الأخدود ، ووضع مخططاً بالمواضع الأثرية التي رآهـا في ذلك المكان[5] .

ويتضح من مخطط ( فلبي ) لمدينة (نجران) أنها كانت مدينة كبيرة مفتوحة، وعندها أبنية محصنة على هيأة مدينة مربعة الشكل ، وذلك للدفاع عنها،وبها مساكن وملاجىء للاحتماء بها ولتمكين المدافعين من صدّ هجمات المهاجمين لها[6] .

---

١ الطبري ( ١٢٨/٣ ) ، سيرة ابن هشام ( ٣٤٧/٢ وما بعدها ) .
٢ اللسان ( ١٩٥/٥ ) ، ( ن/ج/د ) .
٣ Philby, Arabian Highlands, PP. 221, 238, 252, 257.
٤ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ( ١٩٠ ) ( القاهرة ١٩٥١ م ) .
٥ Philby, Arabian Highlands, P. 237.
٦ Beiträge, S. 11. Beiträge, S. 17.

## أثر الحبش في أهل اليمن :

ولا بد أن يكون فتح الحبش لليمن قد ترك أثراً في لهجات أهلها ، ولا سيما بين النصارى منهم ، ممن دخلوا في النصرانية بتأثـير الحبش من ساسة واداريين ومبشرين ، فاستعملوا المصطلحات الدينية التي كان يستعملها الأحباش لعدم وجود ما يقابلها عندهم في لهجاتهم لوثنيتهم . ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أقول إن تلك المصطلحات كانت كلها حبشية الأصل والأرومة ؛ لأن الكثير منها لم يكن حبشياً في المنشأ والوطن ، وانما كان دخيلاً مستورداً ، جاءت به النصرانية من لغة بني إرم ، أو من اللغات الأخرى المتنصرة ، فأدخلتها الى الحبشة ، فاستعملها الأحباش وحرّفوا بعضها على وفق لسانهـم ، ومنهم انتقلت بالفتوح وبالاتصال الى اليمن .

وقد عرض علماء اللغة المسلمون والمستشرقون لعدد من الألفاظ العربية ، ذكروا انها من أصل حبشي ، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة معروفة قبل الاسلام، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم وفي الشعر المنسوب الى الجاهليين . ومثل هذه الألفاظ تستحق أن تكون موضع درس وتمحيص لمعرفة صحة أصلها ونسبها ودرجة أرومتها في الحبشية ، لمعرفة أثر الأحباش في العرب ، وأثر العرب في الأحباش ، لأن بعض ما نسب الى الأحباش من كلم هو من أصل عربي جنوبي ، هاجر من اليمن بطرق متعددة الى افريقية ، واستعمل هناك ، ظن انه حبشي الأصل ، وان العرب أخذوه من الأحباش .

وقد أثر فتح الحبش لليمن على سحن الناس أيضاً . فظهر السواد على ألوانهم عند غلبة الحبشة على بلادهم . وقد تأثروا بأخلاق الحبش كذلك[1] .

---

١ الروض ( ٢/٣١٥ ) .